صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجهودهم في تعليم القرآن الكريم والعناية به

منهج تربوي توجيهي للمعاهد القرآنية

د. أنس أحمد كرزون

دار نور المكتبات

4

حياة الصحابة على مائدة القرآن

الدرس الأول : التعريف بالصحابة y .

الدرس الثاني : فضائل الصحابة y في القرآن .

الدرس الثالث : فضائل الصحابة y في السنة النبوية .

الدرس الرابع : إعجاز القرآن الكريم وتأثيره في النفوس .

الدرس الخامس : إسلام بعض الصحابة لسماعهم القرآن .

الدرس السادس : محبة الصحابة للقرآن الكريم .

الدرس السابع : تدبُّر القرآن وتذوُّق حلاوة الإيمان .

الدرس الثامن : تعليم القرآن الكريم تكليف وتشريف .

الدرسان التاسع والعاشر : المنهج النبوي الَّذِي سار عليه الصحابة في تعليم القرآن الكريم .

J

الحمد لله الَّذِي أنعم علينا بالإسلام ، وهَدانا للإيمان ، والصلاة والسلام على المصطفى المختار وآله الأبرار ، وصحابته الأخيار ، والتابعين لهم بإحسان، وبعد:

يَسْلُكُ الناسُ في هذه الحياة طُرُقاً مختلفةً ، واتجاهاتٍ شتَّى ، وتتفاوتُ هِمَمُهُمْ في السَّعْيِ إلى بلوغِ المقاصد والأهداف ، فمنهم مَن يرضى أن يكونَ غاية قصدِهِ في حياته الطعامُ والشراب ، وجمعُ الأموال ، والسهرُ على حراستها ، وبذلُ الوقت والجهد من أجلها ، ومنهم من لا تَشغله متطلبات الجسد بمقدار ما يحرص على نيل الشهرة ويُشقِي نفسه للحصولِ على الجاهِ ، والتَّصَدُّرِ بين الناس إرضاءً لشهوةِ حبِّ الذاتِ والأنانية ورغبةً في التعالي على الآخرين .

ولكنَّ طائفةً أخرى عرفت الطريقَ فاستقامت عليه ، واستنارت بهدي كتابِ ربِّها فأدركت مقصدها ، وتذوَّقَت حلاوةَ الإيمانِ فسعدت أيَّما سعادة ، ونظرت بإشفاقٍ إلى تلك الأمواجِ المتلاطمةِ من أهل الجهل والضلال ، فهبَّت طالبةً العون من ربها لتُرشِدَ الحيارى وتُنيرَ الطريق للسائرين في الظلمات ، وتأخذَ بأيديهم إليه بعنايةٍ وحرص وإخلاص في القصد لبلوغِ طريقِ الهداية ونيل السعادة .

أولئكَ هم أهل القرآن ، الدعاةُ إلى نورِهِ في كل زمانٍ ومكان ، الحاملون لرايَته حَتَّى بَلَغُوا بها أصقاعَ الأرض ، ينشرون هُداهُ ، ويدعون إِلى اتباعه وتعلُّمِهِ والعمل بِهِ وتذوُّق حلاوته والحياةِ في رحابه .

أجل..! **إنه القرآن الكريم** ، الَّذِي اهتدَت به القلوبُ بعد ضلالةٍ ، واستنارت به العقولُ بعد جهالة .

إنه القرآنُ الَّذِي تشرَّفَ الإنسانُ بحملِ أمانته فسعد به أناسٌ ، وشَقِيَ بالإعراضِ عنه آخَرون .

? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / }

. [١]{ H G F E D C B A @

. [٢]{ w v u t s r q p }

[Z Y X W V U T S R Q P O N M}

. [٣]{ f e d c b a ` _ ^] \

ولئن تنوَّعَت مقاصدُ الأسفار لدى الناسِ فَإِنَّ الصحابةَ الكِرامَ، والسلفَ الصالح **y** انطلقوا يجوبونَ الفيافي والقِفارَ ويقطعونَ المفاوِزَ والبحار .. ينشرونَ القرآنَ في أصقاعِ الأرضِ.

سافَروا فأكرِمْ بأسفارهم ورحلاتهم ، وجاهَدوا فأعظِمْ بجهادِهِمْ وجهودِهِمْ ، وصَبَروا فظفروا بالحسنَيَيْنِ خيري الدنيا والآخرة .

واليوم وقد تيسَّرَتْ وتنوَّعَتْ وسائلُ السفر ، وتطوَّرت هذا التطوُّرَ الهائل بحيث يقطع المسافر في ساعاتٍ ما كانَ أسلافُنا يقطَعونه في أشهر ، فَإِنَّ المسؤوليةَ تزداد على الدُّعاةِ وأهلِ القرآن الكريم في ترَسُّمِ خُطى سَلَفِنا الصالح ، والانطلاقِ بهذا القرآنِ إلى كلِّ مكان .

إِنَّ الملايينَ من البشَر حيارى تائهونَ يتخبَّطونَ في الظلامِ، وهُم بأَمَسِّ الحاجةِ إلى مَن يُرشِدُهُمْ لهدْيِ الكتاب المبين، وينقذُهُمْ من الغرَقِ في أعماقِ بحورِ الضلال ، وأمواجِ الاتجاهات الفِكرِية المتضاربة .

كما أَنَّ الملايينَ من أبناءِ المسلمين الَّذِينَ هَجَروا القرآن وأعرَضوا عنه ، وانغمسوا في حمأةِ المادِّيَّةِ، وشغَلَتْهُمْ أعباءُ الحياةِ فصاروا مستعبَدين لها .. سيخسرون دنياهم وآخرتهم إن لم تمتد إليهم الأيدي الحانية

---

(١) الإسراء / الآيتان ٩-١٠

(٢) الأنعام / آية ١٥٥

(٣) المائدة / الآيتان ١٥-١٦

من حَمَلَةِ القرآن ، الَّذِينَ يرجونَ تجارةً لن تبور بتعليمِ أبناءِ المسلمين كتاب ربهم العظيم ، وإرشادهم إلى طريقِهِ المستقيم .

أضِف إلى ذلك ما نلاحظهُ في كثيرٍ من بلادِ المسلمين من ضعفِ إمكاناتِ مدَرِّسي القرآنِ الكريم والمشتغِلين في تعليمه وتحفيظه في الحلقات والمعاهد والخلاوي والمراكز القرآنية ، فهؤلاءِ أيضاً لابد من رفعِ مستواهم ، وإقامةِ الدوراتِ لهم لتحسينِ تلاوتهم وتجويدهم لكتابِ ربِّهم سبحانه ، وتدريبهم على أمثلِ الطُّرُقِ لتدريسِ القرآنِ ، وتزويدهم بالعلومِ الشرعية الأساسية التي لا يستغني عنها معلِّمُ القرآن ومتعلِّمه ، لننهض سوِيّاً بهذا النشء من أبناءِ المسلمين .

ومن هنا جاءت أهمية هذا الكتاب لبيانِ الجهود العظيمة التي بذلَهَا الصحابةُ الكرام رضي الله عنهم في تعليم القرآن الكريم والعناية به ابتغاء رضوان الله سبحانه ؛ لندركَ عظيمَ المسؤولية الملقاةِ على عواتِقِنا في السير على خُطاهم واقتفاء آثارِهِمُ المباركة :

{ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ }

ولقد عُنيتُ بترتيب موضوعات هذا الكتاب وتيسير مادته ليكون منهجاً توجيهياً للمعاهد القرآنية للمرحلة الثانوية وما بعدها، يتم تدريسه خلال فصلين دراسيين ، ويمكن تقسيم بعض دروسه الطويلة إلى حصتين حسب اتساع الموضوع وأهميته ، وإمكانات الفهم والاستيعاب لدى الدارسين [٤].

كَمَا ألحقت بكل درس مجموعة من الأسئلة بأسلوب متميز ، وَقَدْ يصعب عَلَى الطالب الإجابة عليها حَتَّى يرجع لبعض المراجع الأخرى المتوفِّرة ليزداد اطلاعه ، ويظفر بمزيد من المعلومات المفيدة التي لا يتسع لها هذا الكتاب ، كما تُعَدُّ تلك الأسئلة مادة ثرية مناسِبةً للمسابقات والبحوث .

سائلاً المولى سبحانه أن ينفع بهذا الكتاب أبناء المسلمين وشبابهم ، وأن يوفقنا جميعاً لمرضاته وخدمة كتابه العزيز ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم إنه سميع مجيب .

---

(٤) ويمكن للمدرس أن ينتقي أو يلخِّص الموضوعات والدروس المناسبة لمستويات طلابه إذا كانوا دون المرحلة الثانوية ، ويعرضها بأسلوبه المشوِّق ، ويركِّز على موضوعات تراجم الصحابة الكرام y .

الدرس الأول

التعريف بالصحابة y

لابدَّ لنا قبل الحديث عن جهود الصحابة في تعليم القرآن الكريم من إلقاء نظرة على تعريف الصحابة وفضائلهم y وأبرز الموضوعات المتصلة بذلك.

تعريف الصحابي :

هو من لقي النبيَّ e مؤمناً به، بعد بعثته، حال حياته، يقظة، ومات على الإيمان [٥] .

ويمكن إيراد التعريف مختصراً فنقول :

(الصحابي من اجتمع بالنبي e مؤمناً ومات على الإيمان) [٦] .

شرح التعريف :

من لقي النبيَّ e : يدخل في ذَلِكَ من طالت صحبته للنبي e أو قصرت ، ويدخل فيه الذكور والإناث البالغون .

وأما الصغار فإن كانوا في سن التمييز عند لقياهم للنبي e فقد ثبتت صحبتهم له كالحسن والحسين وعبد الله بن الزبير y [٧] .

مؤمناً به بعد بعثته :

وبهذا لايسمى صحابياً من لقي النبي e وكان كافراً ثم أسلم بعد وفاة الرسول e ، وكذلك من آمن بالنبي e ثم ارتد واستمر على ردته فلا يُعدُّ صحابياً .

(٥) انظر كتاب / صحابة رسول الله للأستاذ عيادة الكبيسي - ص/٣٩ .

(٦) لوائح الأنوار السنية - للإمام محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي - ص/٨٩ .

(٧) وأما الَّذِينَ هم دون سن التمييز مثل محمد بن أبي بكر الصديق الَّذِي ولد قبل وفاة النبي e بثلاثة أشهر وأيام فقد رجح بعض العلماء أنهم من الصحابة من حيث شرف الصحبة ، وأما من ناحية الرواية فإنهم فيها في حكم كبار التابعين ، وذهب آخرون إلى أنهم ليسوا من الصحابة . (انظر : صحابة رسول الله -للكبيسي ص/٤٧) .

وقولنا **حال حياته يقظة** : لبيان أن من لقي النبي e في منامه لايُعدُّ صحابياً .

أعداد الصحابة :

ليس هناك تحديد دقيق لعدد الصحابة y ، لكثرة من أسلم من أول البعثة إلى وفاة النبي e وتفرقهم في البلدان ، وقد ذكر العلماء أنَّ عددهم يزيد على مائة ألف من رجل وامرأة ، وقيل :إنهم مائة وأربعة وعشرون ألفاً .

وقد شهد حجة الوداع مع الرسول e أربعون ألفاً ، كما شهد معه غزوة تبوك سبعون ألفاً من الصحابة y (٨) .

التفضيل بين الصحابة y

بعض الصحابة كانوا سابقين إلى الإسلام بذلوا أموالهم ودماءهم وطالت صحبتهم للنبي e ، وقسم آخر رأوه في حجة الوداع أياماً معدودة ، وبين هؤلاء وهؤلاء درجات ومراتب كثيرة .

ولذلك بيَّن العلماء أنَّ الصحابة يتفاوتون في الفضل والمنزلة، وإن نالوا جميعاً شرف صحبة النبي e .

قال الإمام السَّفاريني رحمه الله تعالى :

(اعلم أنَّ أهل السنة والجماعة متفقون على أنَّ أفضل هذه الأمة : أبوبكر الصديق ، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين ، ثم علي أمير المؤمنين ، ثم الستة تكملة العشرة المبشرين بالجنة (٩) من سيد العالمين وخاتم النبيين ، فأهل بدر ، فأهل بيعة الرضوان ، فأهل أحد ، فباقي الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين) (١٠) .

---

(٨) انظر تفصيل هذه الأقوال في كتاب / صحابة رسول الله - للكبيسي - ص/١١٨.

(٩) وهم : سعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبدالرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبوعبيدة بن الجراح ، والزبير بن العوام ، وسيأتي حديث بشارتهم بالجنة في الدرس الثالث من هذا الباب .

(١٠) انظر : لوائح الأنوار السنية ـ للإمام السفاريني ـ ٢/٦٧.

وجميع الصحابة عدول ، لا يحتاجون إلى من يزكيهم ، فقد تشرفوا بلقائهم بالنبي e وشهدوا تنزل الوحي ، ونزلت في فضائلهم وبيان مكانتهم آيات عديدة من القرآن الكريم ، كما أثنى الرسول e عليهم ، وحذَّر من الطعن فيهم أو ايذائهم y ، وهذا ماسنتحدَّث عنه في الدرس القادم إن شاء الله تعالى .

قال الحافظ الإمام ابن أبي داود رحمه الله في منظومته الحائية [11] :

وقل : إن خير الناس بعد محمـد	وزيراه قُدماً ، ثم عثمان الأرجحُ
ورابعهـم خـير البريـة بعـدهم	عليٌّ ، حليف الخير بالخير منجحُ
سعيد وسعد وابن عوف وطلحة	وعـامر فهـو والـزبير الممـدحُ
وقل خير قولٍ في الصحابة كلهم	ولاتـكُ طعَّانـاً تعيـبُ وتجـرحُ
فقد نطق الوحي المبين بفضلهم	وفي الفـتح آيٌ للـصحابة تمـدحُ

أبرز المؤلفات في فضائل الصحابة وأخبارهم :

أفرد علماؤنا الأجلاَّء رحمهم الله تعالى مؤلفات خاصة للحديث عن الصحابة y وبيان فضائلهم ومناقبهم وأخبارهم واستقصاء أسمائهم وطبقاتهم ، ومن أبرز هذه المؤلفات :

١ - كتاب فضائل الصحابة - للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)

٢ - كتاب الطبقات - للإمام مسلم (ت ٢٦١ هـ)

٣- فضائل الصحابة - للإمام النسائي (ت ٣٠٣ هـ)

٤ - معرفة الصحابة - للإمام أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)

٥ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب - للإمام ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ)

٦ - أُسد الغابة في معرفة الصحابة - للإمام ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)

٧- الإصابة في تمييز الصحابة -للإمام ابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢ هـ)

(١١) لوائح الأنوار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية ـ للإمام السفاريني ـ ١/٩١ ؛ وابن أبي داود هو الإمام أبوبكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث ، وهو ابن الإمام أبي داود صاحب السنن ـ أحد الكتب الستة في الحديث ـ ولد ابن أبي داود سنة مائتين وثلاثين هجرية وتوفي سنة ثلاثمائة وعشرة في بغداد . ينظر : سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٢١.

٨- حياة الصحابة – للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (ت ١٣٨٤ هـ)

بالإضافة إلى الأبواب الخاصة بفضائل الصحابة في كتب السنَّة، والموضوعات الخاصة بأخبار الصحابة في كتب التاريخ والتراجم والسير.

فاحرص ـ أخي الكريم ـ على دراسة هذه الكتب النافعة، والبحث فيها والاستفادة من كنوزها.

أسئلة للدرس الأول

س١ - اذكر أسماء عشرة من الصحابة السابقين إلى الإسلام ممن كانوا يلتقون بالرسول e في دار الأرقم قبل الجهر بالدعوة .

س٢ - هناك سبعة من الصحابة بلغت مرويات كل منهم من الأحاديث عن رسول الله e أكثر من ألف حديث ، وقد جمع الشاعر أسماءهم فقال :

سبعٌ من الصحب فوق الألف قد نقلوا
من الحديث عن المختار خيرِ مضرْ
أبوهـريرةُ ســـعدٌ جابـــرٌ أنـــسٌ
صدِّيقةٌ وابن عباس كذا ابن عمرْ

عرف بكل واحد من هؤلاء الصحابة بما لا يزيد عن خمسة أسطر؛ مع ذكر عدد مروياته من الأحاديث النبوية .

س٣ - اذكر أسماء خمسة من كتب التراجم والتاريخ التي تضمنت الحديث عن الصحابة y والأحداث التي جرت في عهدهم .

الدرس الثاني

فضائل الصحابة في القرآن الكريم

حفلت عشرات الآيات القرآنية ببيان فضائل الصحابة y والثناء عليهم والشهادة لهم بالإيمان والإخلاص والصدق والمسارعة إلى الخيرات والإشادة بتضحياتهم وجهادهم مع رسول الله e والترضي عنهم ، ومن أبرز هذه الآيات الكريمة :

أولاً- قول الله تعالى : { ! " # % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 6 7 8 9 : ; = > ? @ B C D E F G H I J K L M N O P Q S T U V W X Y Z [\ }(١٢).

ومعنى : { F G } أي : فروعه ، وهو ما خرج منه وتفرع من شاطئيه ، أي : جانبيه.

{ H } أي : تقوَّى به . { I } أي : صار غليظاً قوياً .

وتشمل هذه الآية الكريمة الثناء على الصحابة y بأوصاف كثيرة ، منها :

١ - شدتهم على الكفار وتراحمهم فيما بينهم .

٢ - وصفهم بكثرة الأعمال الصالحة وخاصة الصلاة : { - . / } .

٣ - وصفهم بالإخلاص وطلب مرضاة الله سبحانه : { 0 1 2 3 4 } .

٤ - وصفهم بالخشوع في الصلاة حتى يظهر أثره على وجوههم نوراً وضياءً في الدنيا والآخرة:

{ 6 7 8 9 : ; } .

وهذه الأوصاف المذكورة هي أوصاف الصحابة الكرام كما جاءت في التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ، أمَّا أوصافهم في الإنجيل الَّذِي أُنزل على عيسى عليه السلام فقد جاء فيه تشبيههم بالزرع

(١٢) الفتح / آية ٢٩.

الَّذِي أخرج فروعه ثمَّ تقوَّى حتَّى صار غليظا ، ثمَّ استقام على أصوله حتَّى أعجب الزرَّاع بسبب قوَّته وحسن منظره .

وهكذا كان الصحابة في ابتداء الأمر ضعفاء قلائل ثمَّ ازدادوا وكثروا وتقوَّوا حتى اغتاظ بهم الكفار (١٣)

ثانياً- قوله تعالى : { لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ © فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ´ µ ¶ ¸ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 }(١٤) .

وفي هذه الآيات الكريمة ثناءٌ عظيم على ثلاثة أقسام من المؤمنين الصادقين :

١ - الأول : المهاجرون الَّذِينَ أُخرجوا من مكة وتركوا ديارهم وأموالهم طلباً لمرضاة ربهم ونصرة لدينه ، وشهادة لهم بالصدق والإخلاص .

٢ - الثاني : الأنصار الَّذِينَ استقبلوا المهاجرين وأحبوهم وآثروهم على نفوسهم وقاسموهم أموالهم وبذلوا لهم كل ما يملكون ، فنالوا الفلاح في الدنيا والآخرة : { فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ } .

٣ - الثالث : الَّذِينَ جاءوا من بعدهم ممن آمنوا بعدهم واتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين ، ومن أهم صفاتهم أنهم أحبوا صحابة نبيهم واستغفروا لهم ، ولا يدخل في هذا القسم من كان في قلبه غلٌّ على أحدٍ من الصحابة **y** أو تطاول بالإساءة إليهم أو سبهم ، أو نحو ذَلِكَ مما يفعله أهل البدع .

ثالثاً- قوله تعالى : { ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 8 9 : }(١٥) .

---

(١٣) فضائل الصحابة والدفاع عن كرامتهم – للشيخ عبد الله التليدي – ص/ ٤٨ .

(١٤) الحشر / الآيات ٨ -١٠.

(١٥) التوبة / آية ١٠٠ .

وفي هذه الآية الكريمة ثناء على الأقسام الثلاثة أيضاً وهم المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ويشمل هذا الثناء مايلي :

١ - الشهادة لهم بالسبق إلى الإسلام ، والمقصود بالسابقين جميع المهاجرين والأنصار على القول الراجح ، لأنهم سابقون بالنسبة إلى سائر المسلمين (١٦) .

٢ - إخبار الله سبحانه بأنه رضي عنهم بقبول طاعتهم وأعمالهم ، وأنهم رضوا عنه بما نالوه من النعم العظيمة الجليلة والنعيم المقيم في الجنة ، فما أعظم هذا الرضا !

٣- البشارة لهم بالجنة والفوز العظيم، وتشمل هذه البشارة كل من اتَّبع هديَ الرسول e وصحابته الكرام بإحسان إلى يوم الدين.

رابعاً - قوله تعالى : { وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ´ µ ¶ ¸ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } (١٧) .

وقوله تعالى : { إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ © يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (١٨) .

قال قتادة : (أثنى الله على أصحاب نبيه محمد e أحسن الثناء في هذه الآية ، هؤلاء خيار هذه الأمة ، ثمَّ جعلهم أهل الرجاء) (١٩) .

فالصحابة y يرجون رحمة الله وإجابته وهم أجدر بأن يُعطَوْا ما يرجون .

وهذه بشارة للصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار بصدق الإيمان ، والمغفرة والرضوان والرزق الكريم الَّذِي لا ينقطع ولا ينقضي في الجنة ، وأعظِم بِهَا من بشارة .

---

(١٦) روح المعاني للآلوسي ٦/ ٩.

(١٧) الأنفال / آية ٧٤ .

(١٨) البقرة / آية ٢١٨ .

(١٩) تفسير الطبري – ٤ / ٣٢٠ .

خامساً- قوله تعالى : { - . / 0 1 2 3 4 6 7
8 : ; < = > ? @ A B C D E F G I J K { [20].

وفي هاتين الآيتين شهادة بالفلاح للصحابة y الَّذِينَ آمنوا بالرسول e وجاهدوا معه ، وبشارة لهم بالخيرات والفوز العظيم في الجنات .

سادساً -قوله تعالى : { _ ` a b c d e f g h i j k l
m n o p q { [21].

وهذه الآية الكريمة وسام شرف يفخر به الصحابة الَّذِينَ بايعوا الرسول e بيعة الرضوان تحت الشجرة قبل صلح الحديبية ، وكان عددهم ألفاً وأربعمائة ، وقد علم الله سبحانه مافي قلوبهم من الصدق والوفاء والسمع والطاعة فأنزل السكينة والطمأنينة عليهم ، وكان صلح الحديبية فتحاً وخيراً عظيماً للمسلمين .

سابعاً - قوله تعالى : { لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ } [22].

وقد استدل بعض العلماء [23] بهذه الآية الكريمة على أنَّ جميع الصحابة في الجنة ؛ لأنَّ الله وعدهم بالحسنى ، ومن وَعَده الله بالحسنى أبعده عن النار ، كما قال تعالى : { إِنَّ ´ µ ¶ ¸ ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ } [24] اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم .

— — —

(20) التوبة / الآيتان ٨٨-٨٩ .

(21) الفتح / آية ١٨ .

(22) الحديد/ آية ١٠ .

(23) انظر : الفصل لابن حزم ٤/ ٢٢٥ - ولوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٣٨٩ .

(24) الأنبياء / آية ١٠١ .

أسئلة للدرس الثاني

س١ - الآية الكريمة التي تذكر فضائل الصحابة في آخر سورة الفتح :

{ ! " #! % & ... } استدل بِهَا بعض العلماء على كفر من يبغض الصحابة y ، اشرح وجه الدلالة في ذَلِكَ ، مستعيناً بكتب التفسير .

س٢ - مرَّ معك سبعة نصوص من القرآن الكريم في الدلالة على فضائل الصحابة y ، اذكر ثلاث آيات أخرى استدلَّ بها العلماء على فضائل الصحابة.

س٣ - أثنى الله سبحانه على الصحابة الَّذِينَ بايعوا الرسول e تحت الشجرة .
ما هي هذه البيعة ؟ ولماذا كانت ؟

الدرس الثالث

فضائل الصحابة في السنة النبوية

صحابة رسول الله e ذَلِكَ الجيل القرآني الفريد الَّذِي تخرَّج من مدرسة النبوَّة ، وكان لهم قَصَبَ السَّبْقِ في اتِّبَاع النَّبيِّ e ومؤازَرَتِهِ ونُصْرَتِهِ ، فاسْتَحقُّوا الفَضْلَ والشَّرَفَ ، وَأَضْحَت محَبَّتُهُم وَاجِبَةً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، والانْتقاصُ مِنْهُم وسبُّهم من كبائر الذنوب .

ولقد سبق الحديث عن فضائل الصحابة في القرآن الكريم ، ونقفُ هنا عند أبرز الأحاديث النبوية التي أثنى فيها الرسول e على صحابته وبيَّن فضائلهم ومآثرهم ، ومنها :

١ - عن عمران بن حُصين t أنَّ النَّبي e قال : (**خَيرُ أمَّتي قَرْنِي ، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم**) قال عِمْرَان : فَلا أدْري أذَكَر بَعْدَ قَرْنِهِ قَرنين أو ثلاثاً (**ثُمَّ إنَّ بَعْدَهُم قَوْماً يشْهَدُون وَلا يُسْتشَهدُون ، ويَخُونُونَ وَلاَ يُؤتَمَنُون ، وَيَنْذِرُون ولا يُوفُون ، ويَظْهَرُ فِيهم السِّمَن**) [٢٥] .

والمراد بالقرن الأوَّل أصحاب الرسول e ، ثم قرن التابعين ، وقرن تابعي التابعين ، فهذه القرون الثلاثة المفضلة ، وأفضلها قرن الصحابة t ، وليس المقصود بالقرن هنا ما يُعرَّف اصطلاحاً بأنه مائة عام ، وإنَّما المراد المدَّة من الزمان ، فالقرن الأول ينتهي بوفاة أبي الطُّفَيْل t سنة مائة وعشرين للهجرة ، وقرن التابعين نحواً من ثمانين سنة ، وكذلك من بعدهم [٢٦] .

وأمَّا القرون التي بعد ذَلِكَ فقد انتشرت فيهم الصفات المذمومة ومنها قلة الأمانة ، حتى إنَّ أحدهم يشهد ويحلف على شهادته قبل أن تُطْلَب منه تهاوناً ، وازداد حرص الناس على دنياهم والاستكثار من أموالها وطعامها والتفاخر فيها .

---

(٢٥) رواه البخاري -رقم / ٣٤٥٠، ومسلم -رقم / ٢٥٣٥

(٢٦) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري -٨/٧

٢- وعن أبي سعيد الخدري t قال : قال رسول الله e : (**لا تسبُّوا أصحابي ، فوالذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُم أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبَاً مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِم ولا نَصِيْفَه**) [٢٧] .

والمُدُّ : رُبْعُ الصَّاعِ ، والنَّصِيف نصف المد ، فانظر إلى عظيم أجر نفقة الصحابة مهما كانت قليلة المقدار ، فهي عند الله سبحانه أكبر من أجر إنفاق غيرهم ولو كان بمثل جبل أُحد ذهباً .

قال الإمام النَّووي رحمه الله :

(وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال بخلاف غيرهم ، ولأن إنفاقهم كان في نصرته e وحمايته ، وذلك معدوم بعده ، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم .. وهذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودُّد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده ، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ، ولا تُنال درجتها بشيء ، والفضائل لا تؤخذ بقياس ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) [٢٨] .

فما أشنع جُرْمَ مَنْ يَتَطَاوَلَ عَلَى الصحابة y بالسب والشتم ويستهين بِقَدْرهم وفضلهم ، وهم حملة هذا الدين إلى أصقاع الأرض .

٣- وعن عبد الله بن مغفل t قال : قال رسول الله e : (**اللهَ اللهَ في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبَّهم فبحبِّي أحبَّهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه**) [٢٩] .

والمعنى : أنشدكم الله في حق أصحابي فاحترموهم واعرفوا لهم حقَّهم ، واحذروا أن تنالوا منهم بالكلام القبيح ، ومن أحبَّهم فقد فعل ذَلِكَ لأَنَّهُ يحب الرسول e ، ومن أبغضهم فلأنه يبغض الرسول e ، وهذا منتهى الخيبة والتعاسة [٣٠] .

---

(٢٧) رواه مسلم -رقم / ٢٥٤٠

(٢٨) شرح مسلم للنووي -١٦/ ٩٣

(٢٩) رواه أحمد (٤/ ٧٨ ، ٥/ ٥٤) ، والترمذي في المناقب (رقم/ ٣٨٦٢) .

(٣٠) انظر : فضائل الصحابة ، للتليدي – ص/ ٦١ .

٣- وعن أبي بردة عن أبيه t قال: قال رسول الله e :

(النُّجُوم أَمَنَةُ السَّمَاء ، فَإِذَا ذَهَبَت النُّجُومُ أَتَى السَّمَاء مَا تُوْعَد، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأصْحَابي ، فَإِذَا ذَهَبْتُ أتى أَصْحَابي مَا يُوعَدون ، وَأَصْحَابي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي ، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوْعَدُون) (٣١) .

وفي هذا الحديث إشارةٌ إلى وقوع الفِتن ومجيء الشَّرِّ عند ذهاب أهل الخير ، ففي عهد الرسول e كان الصحابة يرجعون إليه إذا اختلفت آراؤهم ، وبعد وفاته e كان الناس يرجعون إلى الصحابة y ، وكل من سار على هداهم وتمسَّك بالكتاب المبين فقد سَلم من شرور الفتن وأخطارها .

— — —

فضائل مخصوصة لبعض الصحابة y

بعد أن استعرضنا أبرز الأدِلَّة من الكتاب والسُنَّة في بيان فضائل الصحابة عامةً ، نودُّ أن نبيِّن بإيجاز بعض الفضائل التي اختصَّ بِهَا عدد من الصحابة y ، وما ورد في الأحاديث النبوية من ثناء الرسول e عليهم وبيان منزلتهم .

١ - المبشَّرون بالجنَّة :

عن سعيد بن زيد t أَنَّه سَمِعَ رسول الله e يقول : **(عَشَرَةٌ في الجنَّة : أَبُو بَكْر في الجنَّة ، وعُمَرُ في الجنَّة ، وعُثْمَانُ في الجنَّة ، وعَلِيٌّ في الجنَّة ، وطَلْحَةُ في الجنَّة ، والزُّبَيْرُ في الجنَّة ، وعَبْدُ الرَّحمن بن عَوْف في الجنَّة ، وسَعْد** (٣٢) **في الجنَّة ، وسَعِيْد** (٣٣) **في الجنَّة ، وَأَبُو عُبَيْدَة بنُ الجَرَّاح في الجنَّة)** (٣٤) .

والمبشَّرون بالجنة من الصحابة كثيرون (٣٥) ، ولكنَّ أبرزهم هؤلاء العشرة الَّذِينَ ورد ذكرهم معاً في حديثٍ واحد .

---

(٣١) رواه مسلم -رقم / ٢٥٣١

(٣٢) هو سعد بن أبي وقاص t .

(٣٣) هو سعيد بن زيد t .

(٣٤) رواه الترمذي -رقم/ ٣٧٤٧ ، وانظر روايات كثيرة أخرى مشابهة في جامع الأصول (٨/٥٥٧-٥٦٤).

(٣٥) ينظر كتاب : المبشرون بالجنة للشيخ عبدالله التليدي .

٢ - مناقب وفضائل لبعض الصحابة :

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله e : **(أَرْحَمُ أُمَّتي بِأُمَّتي أَبُو بَكْر ، وَأَشَدُّهُم في أَمْرِ الله عُمَرُ ، وَأَصْدَقُهم حَيَاءً عُثْمَانُ ، وأَقْرَؤُهُم لِكِتَابِ الله أُبَيٌّ بِن كَعْب ، وَأَفْرَضُهم زَيْد بن ثَابت ، وأَعْلَمُهُم بِالحَلال والحَرام مُعَاذُ بن جَبَل ، ألا وإنَّ لِكُلِّ أمَّةٍ أَمِيناً ، وإنَّ أَمِينَ هَذِهِ الأمَّة أَبُو عُبَيْدَة بن الجرَّاح)** (٣٦) .

٣- فضائل الأنصار :

عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله e : **(اللهمَّ اغْفِر للأنْصَارِ ولأبْنَاءِ الأنْصَارِ وأَبْنَاء أَبْنَاء الأنْصَار)** (٣٧) وعن البراء t ، عن النبي e أنه قال في الأنصار: **(لايُحِبُّهُم إِلاَّ مُؤمِنٌ ، ولايُبْغِضُهُم إلاَّ مُنَافِق ، مَنْ أحبَّهُم أحَبَّهُ الله ، وَمَنْ أَبْغَضَهُم أَبْغَضَهُ الله)** (٣٨) .

٤ - أهلُ بَيْعَةِ الرِّضوان :

وهؤلاء الَّذِينَ كانوا مع رسول الله e يوم الحديبية وسُمُّوا أهل بيعة الرضوان ؛ لأنَّ الله تعالى قد رضي عنهم وذلك في قوله تعالى { _ ` a b c d e f g } (٣٩)، وقد أثنى عليهم الرسول e كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال لنا رسول الله e يوم الحديبية : **(أَنْتُم خَيرُ أهلِ الأرْض)** وكُنَّا أَلْفَاً وَأَرْبَعمائة (٤٠) .

ونختم حديثنا في هذا الدَّرس بقول عبد الله بن مسعود t في بيان فضائل الصَّحابة y ، ووجوب الاقتداء بهديهم والسَّيْر على خطاهم .

يقول ابن مسعود t : (إنَّ الله نَظَرَ في قلوب العباد فاختار محمداً e فبعثه برسالته ، ثمَّ نظر في قلوب الناس بعده فاختار له أصحاباً فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه) (٤١) .

(٣٦) رواه الترمذي -رقم / ٣٧٩١ وقال : حديث حسن صحيح .

(٣٧) رواه مسلم -رقم /٢٥٠٦

(٣٨) رواه مسلم -رقم / ٧٥

(٣٩) سورة الفتح / آية ١٨ .

(٤٠) رواه البخاري -رقم / ٣٩٢٣ .

(٤١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١ /٣٧٩ ، وأبو نُعيم في (معرفة الصحابة) - ١ /١٤٢ بإسناد حسن ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١ /١٧٧) : رجاله ثقات .

ويقول أيضاً : (مَنْ كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول e ؛ فإنَّهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها عِلماً ، وأقلَّها تكلُّفاً ، وأقْوَمَهَا هَدْياً ، وأَحْسَنَهَا حَالاً ، قَوْمٌ اختارَهُمُ الله لِصُحْبَة نبيِّه وإقامة دينه ، فاعْرِفوا لَهم فَضْلَهم واتَّبِعوا آثارهم ؛ فإنَّهم كانوا على الهُدى المُسْتَقِيم) (٤٢) .

أسئلة للدرس الثالث

س١ - اذكر أسماء خمسة من الصحابة y بشرهم الرسول e بالجنة غير العشرة المذكوين في الحديث الَّذِي ورد معك في هذا الدرس ، مع ذكر النص الوارد في بشارة كل واحد

س٢ - ينتهي القرن الأول بوفاة آخر صحابي ، من هو ؟ ومتى توفي ؟
واذكر نبذة عن حياته مستعيناً ببعض المراجع المذكورة في الدرس الأول .

س٣- ما هو الـمُدُّ ؟ وما هو الصاع ؟
واذكر حديثاً نبوياً ورد فيه ذكر الصاع عندما حدَّد الرسول e مقدار زكاة الفطر .

(٤٢) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله - ٢/٩٧ ، وانظر : منهاج السنة النبوية لابن تيمية - ٢/٧٦.

الدرس الرابع

إعجاز القرآن الكريم وتأثيره في النفوس

أَيَّد الله سبحانه رُسُلَه بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة لأقوامهم ، فكان كلُّ نبي تقع معجزاته مناسبة لحال قومه ، ولـمَّا كان العرب أرباب فصاحة وبيان ، وكانوا يأتون بفنون بديعة من البلاغة مما لايأتي بمثله الآخرون ، فإنَّ الله سبحانه جعل المعجزة الكبرى لنبيه محمد e هذا القرآن العظيم الَّذِي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيلٌ من حكيم حميد .

ولقد نزل القرآن بلُغَتِهِم التي يتحاوَرون فيها ويتبارون بأفصح الكلام وأقوى البيان ، ولم يزل النبي e يقرِّعهم بالقرآن أشدَّ التقريع ، ويتحدَّاهم ويُشنِّع عليهم غاية التشنيع ، ويذمُّ آلهتهم وآباءهم ويُسفِّه أحلامهم ، وهم مع كل ذَلِكَ لايستطيعون أن أن يأتوا بمثله أو يقوموا بمعارضته بما أُوتوا من بلاغة ، وإنما كذَّبوا به وأعرضوا عنه ، وقالوا تارةً : هذا سحرٌ مفترى . وقالوا : أساطير الأولين .

ولقد تحدَّاهم المولى سبحانه أن يأتوا بمثله أو بسورة من سوَره ، فقال تعالى : { أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ © وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ } [43] .

كَمَا بَيَّن الله سُبْحَانَهُ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لم يستجيبوا لهدي النبي e إصراراً منهم على اتِّباع أهوائهم التي أوقعتهم في الضلال والهلاك .

يقول الله عزَّ وجل مخاطباً رسوله e : { © فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ ´ µ ¶ ¸ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ } [44] .

---

(43) يونس / آية ٣٨ .

(44) القصص / الآيتان ٤٩-٥٠ .

ورغم إصرارهم على التكذيب فإنَّ آيات القرآن كانت تهزُّ نفوسهم، وتَشُدُّهُم لسماعها بما فيها من سحر البيان ، وحلاوة الكلام وبديع الخطاب ، وقوة الحجة والبرهان .

وإليك بعض المشاهد الدَّالة على ذَلِكَ :

أولاً : الثلاثة من زعماء قريش الَّذِينَ استمعوا لتلاوة النبي e

أورد الإمام ابن هشام عن ابن إسحاق : (أنَّ ثلاثة من زعماء قريش وهم أبو سفيان وأبو جهل والأخنس بن شُرَيْق خرجوا ذات ليلة متفرِّقين على غير موعد ، إلى حيثُ يستمعون من رسول الله e وهو يصلِّي ويتلو القرآن في بيته ، فأخذ كل رجلٍ منهم مجلساً يستمع فيه ، ولا أحد منهم يعلم بمكان صاحبيه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرَّقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا ، فلوا رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثمَّ انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجلٍ منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون للرَّسول e حتى إذا طلع الفجر تفرَّقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أوَّل مرَّة ، ثمَّ انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثالثة تسلَّل كلُّ واحد منهم ليستمع القرآن ، وعند الفجر جمعهم الطريق أيضاً فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد ألاَّ نعود ، فتعاهدوا على ذَلِكَ حتى تفرقوا .

فلمَّا أصبح الأخنس بن شُرَيْق أخذ عصاه ، ثمَّ خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال : أخبرني عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يُراد بِهَا ، وسمعت أشياء ماعرفتُ معناها ولا مايُرَادُ بِهَا .

فخرج من عنده حتى أتى أبا جهل فقال :

يا أبا الحكم مارأيك فيما سمعت من محمد ؟

فقال : تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، اطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الرُكب [٤٥] قالوا : منَّا نبيٌّ يأتيه الوحي من السَّماء . فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لانؤمن به أبداً ولا نصدِّقه) [٤٦] .

---

(٤٥) تحاذينا على الركب : أي تساوينا في نيل الفضائل والشرف .

وهكذا يُصِرُّ المشركون على الجحود رغم يقينهم بأنَّ القرآن حقٌّ من عند الله ، ولكنَّه العناد واتباع الهوى والاستكبار .

وقد أنزل الله على رسوله e آيات من القرآن الكريم يخبره بما فعله رؤساء قريش حين جاؤوا يستمعون قراءته سراً من قومهم ، فقال تعالى : { نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا }[٤٧] .

ثانياً : عتبة بن ربيعة

روى الإمام محمد بن إسحاق في كتاب السيرة : (أنَّ المشركين رأوا أصحاب الرسول e قد اشتدَّ ساعدهم حين أسلم حمزة t ، وكان عتبة بن ربيعة ذات يوم جالساً في نادي قريش ورسول الله e في المسجد وحده ، فقال عتبة : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأُكلمه وأَعرِضُ عليه أموراً لعلَّه يقبل بعضها ، فنعطيه أيَّها شاء ، ويكفَّ عنَّا ؟ فقالوا : بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلِّمه .

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول e فقال : يابن أخي إنَّك منَّا حيث علمت من المكانة في النسب، و إنَّك قد أَتيت قومك بأمر عظيم ، فرَّقْت جماعتهم وسفَّهت به أحلامهم وعِبْتَ به آلهتهم ودينَهم وكفَّرت به مَنْ مَضَى مِنْ آبائهم ، فاسمع منِّي أعرض عليك أموراً تنظُر فيها لعلَّك تقبُل منها بعضها .

فقال له رسول الله e : **(قل ياأبا الوليد ، أسمع)** قال : يا ابن أخي إن كنت إنَّما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنتَ تُريدُ به شَرفاً سَوَّدناك علينا حتى لانقطع أمراً دونك ، وإن كنت تُريد مُلكاً ملَّكْناك علينا ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله e يستمع منه قال: **(أفَرَغت يا أبا الوليد ؟)** قال : نعم . قال : **(فاستمع مني)** ، قال : أفعل . قال : **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم**

} ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1

---

[٤٦] السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣١٥ .

[٤٧] الإسراء / آية ٤٧ .

2 3 4 5 6 }[٤٨] ثمَّ مضى رسول الله e إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال : **(قد سمعت يا أبا الوليد ماسمعت فأنت وذاك) .**

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الَّذِي ذهب به .

فلما جلس إليهم قالوا : ماوراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أنِّي سمعت قولاً والله ماسمعت مثله قط، **والله ماهو بالسِّحر ولا بالشِّعر ولا بالكهانة** ، يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها لي ، خلُّوا بين الرجل وبين ماهو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكوننَّ لقوله الَّذِي سمعتُ نبأ ، فإن تُصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فمُلكه مُلككم وعزُّه عزُّكم وكنتم أَسْعَدَ به . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم)[٤٩] .

فانظر إلى تأثير القرآن العظيم في نفس عتبة بن ربيعة أحد رؤوس المشركين ، وانظر إلى عنادهم واستكبارهم وجحودهم ، وفي ذَلِكَ يقول الله سبحانه مخبراً نبيه e بحقيقة هؤلاء المشركين :

{ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ © لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ }[٥٠] .

ثالثاً : الوليد بن المغيرة

روى الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره أنَّ الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي e فقرأ عليه القرآن ، فكأنَّه رقَّ له ، فبلغ ذَلِكَ أبا جهل ، فأتاه فقال : ياعم إنَّ قومَك يرون أن يجمعوا لك مالاً . قال : لِمَ؟ قال : ليعطوكه فإنَّك أتيت محمداً تتعرض لما قِبَلَه . قال الوليد : قد عَلِمَتْ قُريش أنِّي أكثرها مالاً . قال أبو جهل : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنَّك منكر له ، وأنَّك كارهٌ له .

---

(٤٨) فصلت / الآيات١ - ٤ .

(٤٩) السيرة النبوية -ابن هشام - ١ /٢٩٣ .

(٥٠) الأنعام / آية ٣٣

قال الوليد : وماذا أقولُ ، فو الله مافيكم رجلٌ أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجز ولاقصيدة مني ، ولا بأشعار الجن ، **والله مايشبه الَّذِي يقول شيئاً من هذا ، والله إنَّ لقوله حلاوة ، وإنه ليحطم ما تحته ، وإنَّه لَيَعْلُو ولا يُعْلَى عَلَيْه .**

قال أبو جهل : لايرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعني أُفكِّر . فلما فكَّر قال : هذا سحر يُؤْثر ، يأثُره عن غيره ، فنزَل قوله تعالى : { ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا à سَأُرۡهِقُهُۥ â ١٧ ! "
$ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; <
= > } [٥١] .

وفي رواية أن الوليد بن المغيرة دخل على أبي بكر الصديق t يسأله عن القرآن ، فلما أخبره خرج على قريش فقال : والله ماهو بشعرٍ ولا بسحرٍ ، وإنَّ قوله لمن كلام الله [٥٢] .

وهكذا أصر الوليد بن المغيرة ومن معه من زعماء قريش على الكفر رغم معرفتهم للحق وتأثرهم لسماع القرآن الكريم ، ويقينهم أنَّه من عند الله سبحانه ، فما أشنع شقاوة المعاندين ، وما أشد ظلمهم لنفوسهم وجحودهم لنعم الله عليهم .

وهذا القرآن العظيم أنزله الله سبحانه على رسوله الأمين e ليبتلي به الناس ويختبرهم ، فمن سارع للإيمان به نال السعادة ، ومن أعرض عن هديه وجحد به واستكبر فهو من أهل الشقاء.

روى مسلم عن عياض المجاشعي أنَّ رسول الله e قال ذات يوم في خطبته : **(ألا إنَّ ربي أمركم أن أعلمكم مما جهلتم ممَّا علَّمني يومي هذا ...وقال : إنَّما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك ، وأنزلتُ عليك كتاباً لا يغسله الماء [٥٣] ، تقرؤه نائماً ويقظان [٥٤])** [٥٥] .

---

(٥١) المدثر / الآيات ١١ -٢٤ .

(٥٢) انظر الروايات في تفسير الطبري ٢٢/٢٤، وتفسير ابن كثير ٤٧٢/٤ .

(٥٣) لايغسله الماء : أي أنَّه محفوظ في الصدور لايتطرق إليه الذهاب والضياع .

(٥٤) تقرؤه نائماً ويقظان : أي أنَّه محفوظ لك في حالتي النوم واليقظة ، وقيل : تقرؤه بيسر وسهولة .

ومعنى (**أبتليك**) أي أمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتُك به من تبليغ الرسالة والجهاد في الله حق جهاده والصبر والثبات .

(**وأبتلي بك**) أي أختبر الَّذِينَ أرسلتك إليهم ، فمنهم من يؤمن ويخلص في طاعته ، ومنهم من يعاند ويكفر ، ومنهم من ينافق [٥٦] .

قال الإمام ابن الجزري رحمه الله :

(خصَّ الله تعالى هذه الأمة في كتابهم هذا المنزل على نبيهم e بما لم يكن لأمة من الأمم في كتبها المنزلة ، فإنه تعالى تكفَّل بحفظه دون سائر الكتب ولم يَكِلْ حفظه إلينا ، قال تعالى : { g h i j k l m }[٥٧] ، وذلك إعظام لأعظم معجزات النبي e ، لأن الله تعالى تحدى بسورة منه أفصح العرب لساناً ، وأعظهم عناداً وعتوّاً وإنكاراً ، فلم يقدروا على أن يأتوا بآية مثله ، ثم لم يزل يتلى آناء الليل والنهار مع كثرة الملحدين وأعداء الدين ، ولم يستطع أحد منهم معارضة شيء منه ؛ وأيُّ دلالة أعظم على صدق نبوته e من هذا ؟) [٥٨] .

فلنحمد الله تعالى على نعمة الهداية للإسلام ، ولنسأله الثبات والاستقامة والإخلاص في القول والعمل ، وأن ينوِّر قلوبنا بنور القرآن إنّه سميع مجيب .

— — —

(٥٥) صحيح مسلم - رقم / ٢٨٦٥ .

(٥٦) انظر : شرح مسلم للنووي - ١٧/ ١٩٨ .

(٥٧) الحجر / آية ٩ .

(٥٨) النشر في القراءات العشر – ١ / ٥ .

أسئلة للدرس الرابع

س١ - القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة ، وقد بيَّن العلماء أوجه إعجاز القرآن ، اذكر خمسةً من هذه الأوجه مع مثال لِكُلٍّ منها ، واذكر ثلاثة كتب خاصة بإعجاز القرآن مع ذكر أسماء مؤلفيها ؟

س٢ - أبو سفيان أحد الثلاثة الَّذِينَ استمعوا لتلاوة الرسول e ليلاً فهل بقيَ على كفره ؟ اذكر نبذة عن سيرته مستعيناً بكتب التاريخ والتراجم ؟

س٣- ارجع إلى تفسير الآيات الكريمة في سورة المدثر والتي نزلت في الوليد بن المغيرة ، واشرح ما يلي :

١ - { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا }   ٢ - { سَأُرْهِقُهُۥ â }

٣- { % & ' }   ٤ - { 1 2 3 }

وكيف نستدلُّ بهذه الآيات على وجوب شكر الله سبحانه على النِّعم ؟

الدرس الخامس

إسلام بعض الصحابة لسماعهم القرآن

بعد أن رأيت حال المكذِّبين المعاندين الَّذِينَ كانوا رغم تأثُّرِهم بالقرآن يُصِرُّون على التّكذيب ، فإننا نعرض في هذا الدرس نماذج مقابلة لأصحاب القلوب الحيَّة ، الَّذِينَ استمعوا للقرآن فسارعوا إلى الإيمان .

١ - إسلام عمر بن الخطاب t :

وردت روايات عديدة [٥٩] في إسلام عمر بن الخطاب t بسبب سماعه لآيات القرآن الكريم ، ومن هذه الروايات :

١) ماروواه الإمام أحمد في مسنده عن عمر t قال : خرجتُ أتعرَّض رسول الله e قبل أن أُسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أتعجَّب من تأليف القرآن !! فقلت : هو شاعر كما قالت قريش . فقرأ : { ; < = > ? @A B C E F G } [٦٠] . فقلت : كاهن عَلِم ما في نفسي ، فقرأ : { I J K M N O } إلى آخر السورة قال عمر : فوقع الإسلام في قلبي كل موقع [٦١] .

٢) كما تذكر بعض الروايات أنه جاء ذات يومٍ يريد جلساءَه فلم يجد أحداً ، فقال : لو أنِّي ذهبتُ إلى فلان الخمَّار لَعلِّي أجِدُ عِنْدَهُ خَمْراً فأَشْرَب ، فلم أجده ، ثم قال : لو أنِّي جِئْتُ الكعبة فطفتُ بالبيت سبعاً . فذهب يطوف ، فإذا رسول الله e قائم يصلي ، فقال : لو أنِّي استمعتُ إلى محمَّد الليلة حتى أسمع ما يقول. فاستخفى وراء ستر الكعبة ، وما زال يتحرَّك من وراء الكسوة حتى صار قريباً من النبي e ، قال :

---

(٥٩) انظر السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة - للدكتور محمد أبو شهبة - ١ / ٣٥٢.

(٦٠) الحاقة / الآيتان ٤٠-٤١ .

(٦١) تفسير ابن كثير ٤ /٤٤٥.

فلمَّا سمعت القرآن رقَّ له قلبي ، فبَكَيْتُ ودخلني الإسلام ، فلم أزل قائماً في مكاني هذا حتى قضى رسول الله e صلاته ثمَّ انصرف [٦٢] .

٣) **والرواية المشهورة في سبب إسلامه** ما أورده ابن هشام [٦٣] رحمه الله تعالى أنَّ عمر بن الخطاب خَرَجَ متوشِّحاً سيفه يريد قتل الرسول e ، وقد بلغه أنَّه في بيتٍ عند الصفا مع أصحابه ، فلقيه نُعيم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمداً هذا الصابئ ، الَّذِي فرَّق أمر قريش وسفَّه أحلامها وعاب دينها وسبَّ آلهتها ، فأقتله .

فقال له نُعيم : والله لقد غرَّتك نفسُك يا عُمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتُقيم أمرهم ؟ قال : وأي أهل بيتي ؟ قال : خَتَنُك[٦٤] وابن عمِّك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما ، وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما .

فرجع عمر إلى أخته وزوجها ، وعندهما خبَّاب بن الأرت معه صحيفة ، فيها : "طه" يقرئهما إيَّاها ، فلما سمعوا حسَّ عمر تغيَّب خبَّاب في بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطَّاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خبَّاب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهينمة [٦٥] التي سمعت ؟ قالا له : ما سمعتَ شيئاً ، قال : بلى والله ، لقد أُخْبِرتُ أنَّكما تابعتما محمَّداً على دينه ، وبَطَشَ بزوج أخته سعيد بن زيد ، فقامت إليه أُخته فاطمة لِتَكُفَّهُ عن زوجها ، فَضَرَبَهَا فشَجَّها ، فلمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قالا له : **نعم قد أسلمنا وآمنَّا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك .**

---

(٦٢) السيرة النبوية لابن هشام - ١/ ٣٤٧ .

(٦٣) السيرة النبوية ١/ ٣٤٤.

(٦٤) الختن : زوج الأخت ، ويطلق كذلك على زوج البنت .

(٦٥) الهينمة : صوت كلام لايفهم .

فلمَّا رأى عُمر ما بأخته من الدم نَدِمَ على ما صنع ، فارعوى [٦٦] ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون آنفاً أنظر ما هذا الَّذِي جاء به محمَّد ، قالت له أخته : إنَّا نخشاك عليها ، قال : لا تخافي . وحَلَفَ لها بآلهته لَيَرُدَّنَّهَا إذا قرأها إليها .

فلمَّا قال ذَلِكَ ، طَمِعَتْ في إسلامهِ ، فقالت له : يا أخي ، إنَّك نَجَس على شركِك ، وإنَّه لايمسُّها إلاَّ الطَّاهر ، فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصَّحيفة ، وفيها : { E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ } [٦٧] . فقرأها ، ثمَّ قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه !.

فلمَّا سمع خبَّاب ذَلِكَ خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إنِّي لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوة نبيِّه ، فإنِّي سمعته أمس وهو يقول : (**اللهمَّ أيِّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام ، أو بعُمَر بن الخطَّاب**) ، فالله الله ياعُمَر .

فقال عمر : فدلَّني ياخبَّاب على محمد حتَّى آتيه فأُسْلم ،

فقال له خبَّاب : هو في بيت عند الصفا ، معه نفرٌ من أصحابه . فأخذ عمر سيفه فتوشَّحه ، ثمَّ عمد إلى رسول الله e وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته ، قام رجلٌ من أصحاب رسول الله e ، فنظر من خَلَل الباب فرآهُ متوشِّحاً السيف ، فرجع إلى رسول الله e وهو فَزِع ، فقال : يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطَّاب متوشِّحاً السَّيف .

فقال حمزة بن عبد المطلب : فأْذَنْ له ، فإن كان يريدُ خيراً بذلناه له ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه .

فقال رسول الله e : (**ائذن له**) ، فأَذِنَ له الرَّجل ، ونهض إليه رسول الله e حتى لقيه في الحجرة فأخذ حُجْزَتَهُ [٦٨] ، أو بِمَجْمَعِ ردائه ، ثمَّ جَبَذَهُ به جبذةً شديدة ، وقال : (**ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟**) فو الله ما أرى أن تنتهي حتى يُنْزِل الله بك قارعةً [٦٩] .

---

(٦٦) ارعوى : رجع

(٦٧) طه / الآيات ١-٥

(٦٨) الحجزة : موضع شد الإزار

فقال عمر : يا رسول الله ، جِئْتُك لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عندِ الله ، قال : فكبَّر رسول الله e تكبيرةً عَرَفَ أهلُ البيت من أصحاب رسول الله e أنَّ عمر قد أسلم .

وهكذا سارع عمر t إلى الإسلام وقد اهتز قلبه تأثُّراً وخشوعاً لسماع آيات القرآن الكريم.

٢ - إسلام الطفيل بن عمرو t

كان الطفيل بن عمرو الدوسي رجلاً شريفاً وشاعراً لبيباً [٧٠] ، وهاهو يحدِّثنا عن قصة إسلامه بنفسه فيقول : قَدِمْتُ مكَّة فَمَشَى إِليَّ رِجَالٌ مِنْ قريش فقالوا لي : يا طُفَيْل إنَّك قَدِمْتَ بلادنا ، وهذا الرَّجُلُ الَّذِي بين ظَهْرَانَيْنَا قد عَضَلَ بِنَا ، وفَرَّق جَمَاعَتَنَا ، وإنَّما قوله كالسِّحر ، يُفَرِّق بين الرَّجُل وبَيْنَ ابنه ، وبَيْن الرَّجُلِ وبَيْن أَخِيهِ ، وبَيْنَ الرَّجُلِ وبَيْن زَوْجَتِهِ ، وإنَّا نَخْشَى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلِّمه ، ولا تسمعَ منه . فو الله ما زالوا بي حتَّى أجمَعتُ على ألاَّ أَسْمَعَ مِنْهُ شَيئاً ، ولا أكلِّمه ؛ حتَّى حَشَوْتُ أذُنِي حِينَ غدَوْت إلى المسجد كُرْسُفَاً [٧١] ، فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله e قائم يصلي عند الكعبة ، فقمت قريباً منه ، فأبى الله إلاَّ أن يسمعني بعض قوله ، فسمعت كلاماً حسناً ، فقلت في نفسي : واثُكْل أمي ، والله إنِّي لرجل لَبيب ما يخفى عليَّ الحسن من القبيح ، فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل مايقول ؟ فإن كان الَّذِي يأتيني به حسناً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركتُهُ ، فمكثت حتى انصرف رسول الله e إلى بيته فاتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت : يا محمَّد ، إن قومك قالوا لي كذا وكذا ، فو الله ما برِحُوا يُخَوِّفونني حتى سَدَدْتُ أذُنِي بِكُرْسُفٍ لئلاَّ أَسْمَعَ قَوْلك ، ثمَّ أَبَى الله إلاَّ أن يُسْمِعْنِيهِ ، فسمعت قولاً حسناً ، فأعْرِض عليَّ أمرَك .

فَعَرَضَ عليَّ الإسلام ، **وتلا القرآن ، فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن ، ولا أمراً أعدل منه .**

فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت : يانبي الله إنِّي امرؤٌ مُطَاعٌ في قومي وراجعٌ إليهم ، وداعِيهم إلى الإسلام ، فادْعُ الله لي ..

فلمَّا رَجَعَ إلى قومه عرض الإسلام على والده وزوجته فأسلما ، وبقيَ بأرضِ دَوْسٍ يدعوهم إلى

---

(٦٩) القارعة : الداهية

(٧٠) اللبيب : ذو اللُّبِّ ، أي العقل الراجح .

(٧١) الكرسف : القطن .

الإسلام ، ثمَّ قَدِمَ إلى المَدينة ومعه سبعون أو ثمانون رَجُلاً مِنْ قَوْمِهِ قَدْ أَسْلَمُوا [٧٢] .

٣- صحابة آخرون

المتتبع لكتب الحديث النبوي وكتب السيرة والتاريخ والتراجم يجد عدداً كثيراً من الروايات التي تحكي قصص إسلام بعض الصحابة y لتأثرهم بسماع القرآن الكريم ، وقد فصَّلنا الحديث في الصفحات السابقة في قصة إسلام عمر بن الخطاب والطفيل بن عمرو رضي الله عنهما ، ونذكر هنا بعض الأمثلة الأخرى بشكل موجز بما يتسع له المقام .

١- جبير بن مطعم t

روى البخاري عن محمد بن جبير عن أبيه t قال : (سمعت رسول الله e يقرأ في المغرب بالطور ، وذلك أول ماوقر الإيمان في قلبي) [٧٣] .

وفي رواية : (فلما بلغ هذه الآية : { : ; < = > ? @ A B C D E F H I J K L M N O P Q R } [٧٤] كاد قلبي أن يطير) [٧٥] .

٢- أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس رضي الله عنهما :

أخرج ابن سعد عن خُبيب بن عبد الرحمن قال : خرج أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد القيس إلى مكة يتحاكمان إلى عتبة بن ربيعة ، فسمعا برسول الله e فأتياه ، فعرض عليهما الإسلام ، وقرأ عليهما القرآن ، فأسلما ولم يقربا عتبة بن ربيعة ، ورجعا إلى المدينة ، فكانا أول من قدم بالإسلام بالمدينة) [٧٦] .

---

(٧٢) اتحاف الورى بأخبار أم القرى ١/ ٢٥١ ، والسيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٥٦

(٧٣) رواه البخاري - رقم /٣٧٩٨ .

(٧٤) الطور / الآيات ٣٥ – ٣٧ .

(٧٥) رواه البخاري – رقم / ٤٥٧٣ .

(٧٦) حياة الصحابة - ١/ ٨٦ .

٣- ستة من الأنصار

في رواية أخرى أنَّ ستة من الخزرج لقيهم الرسول e عند العقبة فقال لهم : **(أفلا تجلسون أكلمكم ؟)** قالوا : بلى .

فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزَّ وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن فأجابوه وأسلموا ، وهم : أسعد بن زرارة ، وعوف ابن الحارث ، ورافع بن مالك ، وقطبة بن عامر ، وأخوه عقبة ، وجابر ابن عبد الله .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله e ، ودعوهم إلى الإسلام ، حتى انتشر فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلاَّ وفيها ذُكِرَ رسول الله e [٧٧] .

وسنتحدَّث في درس قادم إن شاء الله عن إسلام سيدَيْ الأنصار سعد بن معاذ وأسيد بن حضير عندما استمعا لآيات من القرآن الكريم من مصعب بن عمير t أوَّل سفراء الصحابة لتعليم القرآن ، ولقد كانت لتلك الآيات القرآنية التي يتلوها مصعب t تأثيرها البليغ والذي يهز النفوس ويأخذ بمجامع القلوب .

وصدق الله العظيم القائل : { 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = }[٧٨] .

— — —

(٧٧) المنتظم لابن الجوزي - ٣/ ٢٠.

(٧٨) سورة ق - آية ٣٧ .

أسئلة للدرس الخامس

س١ - هناك صحابة كثيرون أسلموا لسماعهم تلاوة القرآن الكريم من الرسول e أو أحد من أصحابه ، اذكر مثالاً آخر ، إضافة للأمثلة التي ورد ذكرها في هذا الدرس؟

س٢ - هل شعرتَ في يوم من الأيام وأنت تتلو القرآن الكريم أنَّك تزداد إيماناً وخشوعاً ويجول ذهنك في تدبُّر معاني الآيات وكأنَّها تتنزَّل الساعة ؟

إن كنت ممن أكرمه الله سبحانه بذلك فاذكر لنا الآيات القرآنية التي توقفتَ عندها ولماذا ؟

وإن كان غير ذَلِكَ فاجتهد في الوقوف للتدبُّر عند آيات تختارها من كتاب الله تعالى ، وماهي تلك الآيات التي اخترتها ؟

الدرس السادس

محبة الصحابة y للقرآن الكريم

المتأمِّل لحياةِ الصحابة الكِرام وتلاميذِهِمْ من التابِعين والسلف الصالح y يَعجبُ لهذه الهمم العالية في الإقبال على تعلُّم القرآن الكريم وتعليمه ، ومكابَدَةِ الصِّعابِ وبذْلِ كُلِّ غالٍ ونَفيس في خدمةِ هذا الكتاب العزيز ، وقطع المفاوزِ والقِفار ، والسَّفَر إلى أقاصي البلدان لنشرِ هذا الدين .

فما هي العوامل التي قَوَّت هذه الهمم ؟ وما هي الأسباب التي شحذَت هذه العزائم؟ إنها أسبابٌ كثيرة ، ومِن أبرزِها ما يلي :

١ - عقيدة الإسلام

٢ - الفرح بالقرآن الكريم واليقين بأنه نعمة عظمى

٣- تدبُّر القرآن وتذوُّق حلاوة الإيمان

٤ - تعليم القرآن تكليف وتشريف

أولاً - عقيدة الإسلام:

العقيدة التي نوَّرَت قلوبهم ، وأضاءت عقولَهُم ، وعرَّفتهم بخالقهم سبحانه ، وأيقظتهم من غفلتهم ، وأزالت حجبَ الظلام الكثيفة عن فطرهم ، فعادت الفطرة إلى نقائها ، وعرف الإنسان قيمته في هذه الحياة ، إنها عقيدة التوحيد ، وشجرة الإيمان في قلوبهم التي أثمرَتْ هذه الثِّمارَ اليانعة ، قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ! " # $ % & ' } [٧٩].

ومن أعظَمِ ثِمارِها التي طابَ جَنْيُها ، وعَذُبَ مذاقُها هذا الجيل القرآنيَّ الفريد ، وهذه الأمة التي أكرَمَها الله سبحانه بأنْ جعلَها خيرَ أمَّةٍ أُخرجَت للناس ، وهذا الفتح المبارك بنور القرآن الكريم لأرجاء

(٧٩) إبراهيم /الآيتان ٢٤-٢٥ .

المعمورة ، وكم من بلادٍ لم تدخلها جيوشُ الفاتحين دخَلَها الإسلام وتنوَّرَتْ بنور القرآن عن طريق الدُّعاةِ والمعلِّمين لهذا الدين من تجَّارِ المسلمين ، الَّذِينَ كان هدفهم الأول التجارة مع الله سبحانه بنشرِ الإسلام وتبليغِ القرآن .

ثانياً - الفرحُ بالقرآنِ الكريم ، واليقين بأنه نِعمةٌ عظمى:

لقدْ أدركَ الصحابةُ **y** عظيمَ النعمةِ التي أنعمَ اللهُ بها عليهم بهذا القرآنِ الكريم ، والهداية التي شرحَ الله صدورهم لها بهذا الدين القَويم .

إنه أعظمُ نِعمةٍ أنعمَ الله بها على البشَرِيَّةِ لتَسيرَ على هُدَىً وبصيرة ، وتحظى بالسعادةِ في الدنيا والآخرة ، وتَسْموَ بالعيشِ في رحابِ حياةٍ طيِّبَةٍ تنقذُ الناسَ من مهاوي الضلالةِ والجهالة .

ولذلك سَمَّى اللهُ سبحانه القرآنَ روحاً فقالَ تعالى : { ! " # $ % & ') (* +
, - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 9 : ; < = > ? @
A B C D E F G H J K L M N {.(٨٠)

كما امتَنَّ اللهُ سبحانه بهذه النعمةِ العُظْمَى على عبادِهِ ؛ فقالَ تعالى : { < ? @
A B C D E F G H I J K L M N
O P Q R S T U V W X Y Z [\
] ^ _ ` a b c d e f {.(٨١)

وقالَ عزَّ وجلَّ : { 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @
A B {.(٨٢)

(٨٠) الشورى /الآيتان ٥٢ - ٥٣ .

(٨١) المائدة / الآيتان ١٥-١٦ .

(٨٢) إبراهيم / آية ١ .

أَجَلْ . . لقد نزلَ القرآنُ الكريمُ فبدَّلَ حياةَ الناسِ من الشقاوةِ والتعاسةِ إلى الهدايةِ والسعادة ، ومن الغَمِّ والاضطرابِ إلى الفرحِ والسُّرور والطمأنينة والرِّضى ، ومنَ حياةِ الذُّلِّ والمهانةِ والعصبيَّاتِ الجاهلية والضلالاتِ العمياء إلى الرِّفعةِ والعِزَّةِ .

ولهذا حُقَّ للصحابةِ الكِرامِ أن يفرحوا بهذا الدين ويفخروا بالقرآنِ العظيم ، مستجيبين لقولِ الله سبحانه : { R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j }[٨٣].

إِنَّ الفرحَ بمظاهرِ الدنيا وزهرَتِها الفانية فرحٌ مؤقَّتٌ تشوبه المنغِّصاتُ والأكدارُ ، والقلق من زوالِ هذه المُتَعِ والمظاهر ، وأمَّا الفرحُ بالقرآنِ والإسلام والتوفيق للطاعات ؛ فهو فرحٌ كاملٌ موصولٌ بإذنِ الله تعالى بفرحِ الدارِ الآخرةِ ، **وكلَّما ازداد المرءُ تعلُّماً للقرآنِ وتدبُّراً لآياته ، ونشراً له بين الناس .. ازداد فرحه وسروره وطلبهُ للمزيد .**

لقد أدرك الصحابةُ والسلف الصالِحُ y أهميَّةَ النِّعمةِ التي امتَنَّ اللهُ بها عليهم بالهدايةِ للإسلام ، وتنزُّلَ القرآن فسارَعوا إلى شُكْرِها ، والإقبالِ على اغتنامِ فضائلِها.

عن معاويةَ t أَنَّ رسولَ الله e خرجَ على حلقةٍ من أصحابه، فقال: (**ما أجلسَكُمْ ؟**) قالوا : جلسْنا نذكرُ اللهَ ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا . قال : (**آللهِ ما أجلسَكُمْ إِلاَّ ذاك ؟**) قالوا : آلله ما أجلسَنا إِلاَّ ذلك . قال : (**أَما إني لم أستحلفكم تُهمةً لكم ، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يباهي بكم الملائكة**)[٨٤] .

وعن طارق بن شهاب أنَّ أُناساً من اليهود قالوا : لو نزلت هذه الآية فينا لاتَّخذنا ذَلِكَ اليوم عيداً . فقال عمر : أَيَّةُ آية ؟ قالوا : { K L M N O P Q R S T U }

---

[٨٣] يونس /الآيتان ٥٧-٥٨ .

[٨٤] رواه مسلم - كتاب الذِّكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل الاجتماع على تلاوةِ القرآن وعلى الذكر رقم: ٢٧٠١.

(٨٥) فقال عمر : إنِّي لأعلم أيَّ مكان أُنْزِلَت ، أُنزلَت ورسول الله e واقفٌ بعرفة (٨٦) .

ولقد وعدَ اللهُ عباده الشاكرين بالمزيدِ من نِعَمِهِ وآلائه ؛ فقال تعالى : { = > ? @ A B } (٨٧) ، كما قال تعالى على لسانِ سليمان عليه السلام: { w x y z ~ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي © ٱلصَّٰلِحِينَ } | { } (٨٨) .

والشكر باللسان لابد أن يصحبه الشكر بالقلب والجوارح ، **فكيف كان شُكْرُ الصحابةِ الكِرامِ على نعمةِ القرآنِ العظيم؟**

m لقد أَحَبُّوا القرآنَ وشغِفوا بتلاوتِهِ والتهجُّدِ به .

m كما أَحَبُّوا العملَ به وتدبُّرَ آياتِه والاعتصامَ بحبله المتين .

m وأحبُّوا تعلُّمَهُ وتعليمه ومُدارسَتَهُ وحِفظَهُ في الصدور .

m ولم يتركوا هذا الخير قاصراً عليهم بعد أن استنارت قلوبهم بهُداه ، وإنَّما سارَعوا إلى نشره والدعوةِ إليه ، وضحُّوا من أجل ذلك بكلِّ غالٍ ونفيسٍ ، وبذَلوا أرواحَهُمْ وأموالهم يحملون نورَ القرآن ، وهُمْ يدركونَ عِظَمَ المسؤوليةِ التي تحمَّلوها ، والشرفَ العظيم الَّذِي فازوا به.

— — —

(٨٥) المائدة / آية ٣ .

(٨٦) رواه البخاري -كتاب المغازي -رقم /٤١٤٥ .

(٨٧) إبراهيم / آية ٧ .

(٨٨) النمل / آية ١٩ .

أسئلة للدرس السادس

س١ - من هو القائل ؟

(الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام ..)

ولمن كان موجهاً هذا القول ؟ ومتى ؟

س٢ - اذكر أسماء خمسة بلدان دخل أهلها في الإسلام عن طريق التجار دون أن تصل إليها جيوش الفاتحين ؟

س٣- قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ... } ماهي الكلمة الطيبة ؟ وما هي الشجرة الطيبة ؟ اشرح هذا المثل القرآني مستعيناً بكتب التفسير .

الدرس السابع

تدبر القرآن وتذوق حلاوة الإيمان

تحدَّثنا في الدرسِ الماضي عن بعض العوامل التي شَحَذَت هِمَمَ الصَّحابة الكرام وقوَّت عَزَائِمَهُم في تَعلُّم القرآن وتعلِيمه ، ونُكْمِلُ في هذا الدَّرْسِ الحديث عن العامل الثَّالث من هذه العوامل ، وهو تدبُّر القُرآن وتذوُّق حلاوة الإيمان .

فلقد تربَّى الصحابةُ الكِرامُ في مدرسةِ النبوة فزَكَتْ نفوسهم ، وطهرت قلوبهم ، وتذَوَّقوا حلاوةَ الإيمان ، وأحَبُّوا القرآنَ الكريم محبةً عظيمة ، ومَن أحبَّ شيئاً أكثرَ من ذِكْرِهِ ، واشتدَّ تعلُّقُهُ به ، وتأثُّرهُ وخشوعه عند تلاوته وسماعه .

ولقد وصَفَ الله سبحانه أهل الإيمان عند تلاوتهم للقرآن بأوصاف عديدة ، فقال تعالى : { 8 9
H G F E D C B A @ ? [٨٩] > = < ; :
. [٩٠] { [Z Y X W V U S R Q P O N M K J I

فهذه هيَ صِفَةُ الأبْرار الَّذِينَ وَقَر الإيمانُ في قُلُوبِهِم ، فإنَّ جلودهم تقشعر عند سماع كلام الله سبحانه لما فيه من الوعد والوعيد والتَّخويف والتهديد ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، لِمَا يَرجُونَ ويُؤمِّلون منْ رحمةِ الله ولُطْفِه [٩١] فَيَزْدَادُون إيْماناً بالله ومحبة له ، وفي ذَلِكَ يقول المولى سبحانه : { 7 8
. [٩٢] { G F E D C B A @ ? > = < ; : 9

---

(٨٩) كتابا متشابهاً مثاني : أي أن سياق آيات القرآن الكريم تارة تكون في معنى معين واحد فهذا من المتشابه ، وتارة تكون بذكر الشيء وضده ، كذكر المؤمنين ثم الكافرين ، وذكر الجنة والنار ، والأبرار والفجار ، والمتقين والطاغين ، فهذا من المثاني (ينظر: تفسير ابن كثير ٤ / ٥٥) .

(٩٠) سورة الزمر / آية ٢٣ .

(٩١) انظر: تفسير ابن كثير ٤ / ٥٥ .

(٩٢) الأنفال / آية ٢ .

ويقول U : { 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = ? @ A B C D E }[٩٣].

ولقد أمَرَ الله سُبْحَانه عِبَادَهُ بِتَدبُّر آيات القرآن والتفكُّر فيها والخشوع عند تلاوتها ، فقال تعالى مخاطباً نبيه e : { B C D E F G H I J }[٩٤].

وقال سبحانه : { a b c d e f g }[٩٥].

ولذلك كانَ الرسول e وأصحابه الكرام y يكثرون من تدبر آيات القرآن الكريم ليزدادوا إيماناً وخشيةً من الله سبحانه ، وينوِّروا قلوبهم بِذِكْرِهِ وشُكْرِه .

وقد وردت في ذلك أحاديث وآثار كثيرة ، من أبرزها:

١ - عن أبي ذر t قال : قام النبي e بآيات يردِّدُهَا حتَّى أَصْبَح وهي قوله تعالى { إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ }[٩٦].

٢ - وعن حذيفة t أنَّ النبي e صلى ، فكان إذا مرَّ بآية رحمة سأل ، وإذا مرَّ بآية عذاب استجار ، وإذا مرَّ بآيةٍ فِيهَا تنزيهٌ لله سبَّح)[٩٧] .

٣- وعن تميم الدَّاري t أنَّه كرَّر هذه الآية حتى أصبح :

({ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ´ ¸ ¶ µ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ })[٩٨].

---

(٩٣) التوبة / آية ١٢٤ .

(٩٤) سورة ص / آية ٢٩ .

(٩٥) سورة محمد / آية ٢٤

(٩٦) رواه النسائي ٢ /١٧٧، والإمام أحمد ٥ /١٤٩، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي . والآية في سورة المائدة / آية ١١٨ .

(٩٧) رواه ابن ماجه - رقم / ١٣٥١ ، والإمام أحمد في المسند (الفتح الرباني في ترتيب المسند ١٨ /٢٢) .

(٩٨) رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد - ص/٢٢٧ ، وانظر التبيان للنووي ص/٨١ ، والآية في سورة الجاثية / آية ٢١.

٤ - وعن عباد بن حمزة قال : (دَخَلْتُ على أسْماء رضي الله عنها وهي تقرأ : { فَمَنَّ ٱللَّهُ µ ´

¶ ¸ } [٩٩] فَوَقَفَتْ عِنْدَها ، فَجَعَلت تعيدها وتدعو ، فطال عليَّ ذَلِكَ ، فذهبتُ إلى السُّوق ، فَقَضَيْتُ حاجَتِي ثُمَّ رَجعْتُ وهي تُعِيدُها وتَدْعُو) [١٠٠] .

٥ - عن أنسِ بن مالك t قال : (كان عبد الله بن رواحةَ إذا لقيَ الرجل من أصحابِ رسول الله e قال : تعال نؤمن بربِّنا ساعة ، فقال ذاتَ يومٍ لِرَجلٍ فَغَضِبَ الرَّجُل ، فجاء إلى النَّبي e فقال : يا رسول الله ألا تَرى إلى ابن رواحةَ يرغِّبُ عن إيمانك إلى إيمان ساعة ، فقال النبي e : (**يرحم الله ابن رواحةَ إنه يحبُّ المجالس التي تتباهي بها الملائكة**)[١٠١] .

٦ - وكانَ عمر بن الخطاب t يقولُ لأبي موسى الأشعَري t : **يا أبا موسى ذكِّرْنا ربَّنا ، فيقرأ وهم يسمعون ويبكون .**

٧ - وعن خبَّاب بن الأرت t أنه قال لرجل : (**تقرَّب إلى الله تعالى ما استطعت ، واعلم أنَّك لَنْ تتقرَّب إليه بِشَيءٍ هو أحب إليهِ مِنْ كَلامِهِ**)[١٠٢] .

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله وهو يتحدَّث عن تذوُّق أهل الإيمان لِحَلاوة تلاوة القرآن والاستماع لآياته : (ولهذا السماع من المواجيد العظيمة ، والأذواقِ الكريمة ، ومزيدِ المعارف ، والأحوال الجسيمة ، مما لا يتَّسِعُ له خطابٌ ولا يحويه كتاب ، كما أَنَّ في تدبُّرِ القرآنِ وتفهُّمِهِ من مزيدِ العلمِ والإيمان ما لا يحيطُ به بيان) [١٠٣] .

---

[٩٩] سورة الطور / آية ٢٧ .

[١٠٠] التبيان للنووي ص / ٨١ ، والتذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ص / ٢٠١ .

[١٠١] رواه الإمام أحمد في مسنده ، وحسَّنه المنذري في الترغيب والترهيب ٢/٤٠٣ .

[١٠٢] جامع العلوم والحكم - ص/ ٤٩٠ .

[١٠٣] مجموع الفتاوى ١٠/٨١ .

كما تحدَّثَ عن حال هؤلاء المحبين لله ورسوله الَّذِينَ تذوَّقوا حلاوةَ الإيمان ، وشغفوا بتدبُّرِ القرآن ، فقال رحمه الله :

(هؤلاءِ هم الَّذِينَ يطلبون لذَّةَ النَّظَرِ إلى وجهه الكريم سبحانه ، ويتلذَّذونَ بذِكرِهِ ومناجاته ، ويكونُ ذلك لهم أعظم من الماء للسَّمك ، حَتَّى لو انقطعوا عن ذلك لوَجَدوا من الألمِ ما لا يطيقون) (١٠٤) .

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله : **(لا شيءَ عند المحِبِّينَ أحلى من كلامِ محبوبهم ، فهوَ لذَّةُ قلوبهم وغاية مطلوبهم) .**

واستشهد بقول عثمان بن عفان t : **(لو طَهُرَتْ قُلوبكم مَا شبعتم من كلامِ ربِّكُمْ).**

وقول ابن مسعودٍ t : **(مَن أحبَّ القرآنَ فهو يحب الله ورسوله)**(١٠٥) .

ولا شكَّ أنَّ القلوب الطَّاهرة هي التي تتدبَّر القرآن الكريم وتتذوق حلاوته ، وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمة بقوله تعالى: { ! " # $ % & ' ( ) * + , }(١٠٦)

يقول الإمام ابن القيم : (دلَّت الآية بإشارتها وإيمائها على أنَّه لايُدْرِك معاني القرآن ولايفهمه إِلاَّ القلوب الطَّاهرة ، وحرام على القلب المُتلوِّث بنجاسة البِدَع والمخالفات أنْ يَنَالَ مَعانيه وأن يفهمه كما ينبغي ، قال البخاري في صحيحه في هذه الآية : **" لا يَجد طعمه إلاَّ من آمنَ به "**. وهذا أيضاً من إشارة الآية وتنبيهها ، وهو أنه لايلتذُّ به وبقراءته وفهمه وتدبره إِلاَّ من شهد أنه كلام الله ، تكلَّم به حقاً ، وأنزله على رسوله وحياً) (١٠٧) .

فأينَ حالُ المسلمين الَّذِينَ يدَّعونَ محبةَ الله ورسوله ؟!

لقد تثاقلت النفوس واستحوذت الغفلةُ على القلوب، فهجَروا كتابَ ربهم وأعرضوا عن تلاوته وتعلُّمِهِ وتدبُّرِ آياته ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إِلاَّ بالله .

---

(١٠٤) المرجع السابع ١٠/ ٨٥ .

(١٠٥) جامع العلوم والحكم ، ص ٤٩٠ .

(١٠٦) سورة الواقعة / الآيات ٧٧-٧٩ .

(١٠٧) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم - ص/١٤٣ .

أسئلة للدرس السابع

س١ - اذكر آية أخرى من كتاب الله تعالى غير ما ذُكر في هذا الدرس مستشهداً بِهَا لبيان ما كان عليه المؤمنون الصادقون من الخشوع والبكاء عند سماعهم للقرآن الكريم ؟

س٢ - ورد في الحديث النبوي بيان الخصال التي ينبغي للمؤمن الحرص عليها حتى ينال حلاوة الإيمان . اذكر هذا الحديث مع شرح موجز له ؟

س٣ - القلوب الطاهرة هي التي تتدبر القرآن الكريم .

ما هي أقسام القلوب ، مع ذكر دليل من الكتاب أو السنة لِكُلِّ منهما ؟

الدرس الثامن

تعليم القرآن الكريم تكليف وتشريف

لقد أدرك الصحابة y أنهم يحملون رسالة عظيمة واستشعروا المسؤولية الكبيرة بقول الرسول e لهم : **(بلِّغوا عنِّي ولو آية)** (١٠٨) فبذلوا كلَّ طاقتهم لتعليم القرآن وتعلُّمِهِ ، وسارع كلٌّ منهم إلى تبليغ وتعليم ما سمعه من آيات القرآن ، وهم يُدركون أنَّ تعليم القرآن الكريم تكليف وتشريف . ولنتحدَّث في هذا الدرس عن هذين الجانبين :

أولاً : تعليم القرآن الكريم تكليف ورسالة

أجل إنه تكليف ، فالقرآن العظيم أنزله الله سبحانه على خاتم رسله محمد e ، فحمل هذا التكليف أمين الوحي جبريل عليه السلام إلى النبي e : { h i j k l m n o p q r s t u } (١٠٩) . ولبَّى الرسول الأكرم أمر ربه U بتبليغ القرآن وتعليمه للناس وتلاوته عليهم ، قال تعالى :

{ J K L M N O P Q S T U V W X Z [\ ] ' } (١١٠) .

وقال سبحانه : { ; < = > ? @ A B C D E F H I J K L M N O P R S T U V } (١١١) .

(١٠٨) جزء من حديث رواه البخاري - رقم / ٣٢٧٤ .

(١٠٩) الشعراء / الآيات ١٩٣-١٩٥ .

(١١٠) المائدة / آية ٦٧ .

(١١١) النمل / الآيتان ٩١-٩٢ .

بَيْدَ أنَّ هذا التكليف الإلهي لرسوله e لا يقتصر على التبليغ والبيان ، وإنما يشمل التعليم والتربية وتزكية نفوس الصحابة الكرام بهدي القرآن العظيم .

وهذا ما بيَّنه المولى سبحانه بقوله U : { . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B }[١١٢] .

قال الإمام ابن رجب رحمه الله : { 9 : ; } (يعني بالكتاب : القرآن ، والمراد : ويعلمهم تلاوة ألفاظه . ويعني بالحكمة : فهم معاني القرآن والعمل بما فيه ، فلا يكتفي بتلاوة ألفاظ الكتاب حتى يعلم معناه ويعمل بمقتضاه ، فمن جُمع له ذلك كله فقد أوتي الحكمة { µ ¶ ¸ يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا } فالحكمة هي العلم النافع الذي يتبعه العمل الصالح ، وهو نور يُقذف في القلب ، يفهم بها معنى العلم المنزل من السماء ويحض على اتباعه والعمل به .

ومن قال (الحكمة : السنة) فقوله حق ، لأن السنة تفسر القرآن وتبين معانيه وتحض على اتباعه والعمل به)[١١٣] .

وقد ربَّى الرسول e أصحابه الكرام على هذا المنهج القويم ، وحمَّلهم تلك الرسالة ليؤدُّوها لِمَنْ بعدهم ويبلِّغوها للقاصي والداني ، وسارع الصحابة الكرام للقيام بهذه المهمة فتعلَّموا القرآن وعلَّموه ، فكانوا كالأرض الطيبة شربت الماء فانتفعت وأنبتت العشب والزرع الكثير فنفعت الناس .

أجل . لقد قام أصحاب النبي e بتعليم القرآن الكريم بأوفى ما بلغت إليه الطاقة البشرية في حياتهم ومجتمعهم على بصيرة من أمرهم ، وهُدىً من ربهم ، فهداهم الله وهَدَى بهم ، وكانوا هم الأصل الَّذِي يُرجع إليه في مختلف البلدان بعد وفاة الرسول e ، والنبع الَّذِي تتفجَّر منه عيون الإيمان واليقين ، أولئك الَّذِينَ هداهم الله ، وأولئك الَّذِينَ أخرج الله بهم الناس من الظلمات إلى النور ، فلهم في عنق كل مؤمن ومؤمنة مِنَّةٌ وفضلٌ يستوجب الشكر[١١٤] .

---

(١١٢) الجمعة / آية ٢ .

(١١٣) ينظر : لطائف المعارف – ص/ ٩٣ .

(١١٤) ينظر / القرآن العظيم هدايته وإعجازه -محمد الصادق عرجون-ص٩ .

ثانياً : تعليم القرآن الكريم تشريف ومكانة :

وما أعظمها من مكانة عالية ترتفع بِهَا منزلة صاحبها عند الله سبحانه إن أخلص لها وطهَّر نفسه من آفات الرياء والعجب التي تحبط العمل .

ولقد حفلت الآيات الكريمة والأحاديث النبوية [١١٥] ببيان الفضل العظيم والأجر الكبير لمن أقبل على القرآن الكريم تلاوة وتدبُّراً ، وتعلُّماً وتعليماً ، واستقام على منهجه القويم ، فهذه هي التجارة الرابحة، وإليك بعض الأدلة :

١ - قال تعالى { إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ } [١١٦] .

وتسمَّى هذه الآية آية القرَّاء لأنها نزلت في مدحهم وتكريمهم، وذكر فضائلهم وأعمالهم.

٢ - وعن عثمان بن عفان t عن النبي e قال : **(خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه)** [١١٧] ، وفي رواية : **(إنَّ أفضلكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه)** [١١٨] ، وعن سعد بن أبي وقاص t قَالَ : قَالَ رسول الله e : **(خياركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه)** وأخذ بيدي فأقعدني مقعدي هذا أُقرئ [١١٩] .

وهذا دليل على أن خير المتعلمين والمعلِّمين وأفضلهم من كان تعلُّمه وتعليمه في القرآن الكريم ، فهو كلام الله سبحانه والذكر الحكيم ، وهذه الخيرية لا يكتسبها المؤمن إلاَّ إذا جمع بين التعلُّم والتعليم، لأنَّهُ بذلك يكون مكمِّلاً لنفسه ولغيره، ولهذا أرشد النبي e أصحابه إلى هذه الخيرية ، وأخذ بيد سعد فأقعده ليُعلِّم النَّاس القرآن .

---

(١١٥) ينظر الفصل الأول من كتاب (ورتل القرآن ترتيلاً) للمؤلف ، ففيه مزيد من التفصيل حول فضل تلاوة القرآن الكريم وفضائل بعض السور وآداب التلاوة .

(١١٦) فاطر / الآيتان ٢٩-٣٠ .

(١١٧) رواه البخاري - رقم /٤٧٣٩ .

(١١٨) رواه البخاري - رقم / ٤٧٤٠ .

(١١٩) رواه ابن ماجه - رقم / ٢١٣ ، والدارمي - رقم / ٣٣٣٩ .

قال الطيبي رحمه الله تعالى : (ولابد من تقييد العلم والتعليم بالإخلاص، فمن أخلصهما وتخلَّق بهما ، دخل في زمرة الأنبياء) [١٢٠].

وقال الإمام ابن القيِّم رحمه الله : (وتعلُّم القرآن وتعليمه يتناول تعلُّم حروفه وتعليمها ، وتعلُّم معانيه وتعليمها ، وهو أشرف قِسْمَيْ علمه وتعليمه ، فإن المعنى هو المقصود) [١٢١] .

٣- وعن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : **(وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلاَّ نزلت عليهم السَّكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفَّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده)** [١٢٢] .

فما أعظم النفحات التي ينالها أهل القرآن وهم يتعلمونه ويعلِّمونه ، وما أسعدهم بالسكينة والطمأنينة والرحمة التي تغشاهم ، والملائكة التي تحفُّهم فتنشرح صدورهم ، وما أعلى قدرهم وهم يتشرفون بذكر الله لهم ومباهاته بهم في الملأ الأعلى .

وهذه الفضائل لا ينالها العبد بمجرد تلاوته للقرآن الكريم وإنَّما المقصود المدارسة والتعليم والتدبر .

يقول الإمام علي القاري : (التدارس قراءة بعضهم على بعض تصحيحاً لألفاظه أو كشفاً لمعانيه .... وهذا شامل لجميع ما يناط بالقرآن من التعلم والتعليم) [١٢٣] .

٤ - وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي e قَالَ : **(مَثَلُ الَّذي يَقْرَأُ القُرآن وَهُوَ حافظٌ لَهُ مَعَ السَّفرة الكِرام البرَرَة، ومَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعاهده وَهُوَ عَلَيْهِ شديدٌ فَلَهُ أَجْرَان)** [١٢٤] .

وفي رواية لمسلم : **(الماهرُ بالقرآن مَعَ السَفَرة الكِرام البررة ، والذي يَقْرأ القُرآن ويتتعتع فيه وَهُوَ عَلَيْهِ شاق ، لَهُ أَجْرَان)** [١٢٥] .

---

(١٢٠) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ٣/ ٤٩٩.

(١٢١) مفتاح دار السعادة -١/ ٧٤ .

(١٢٢) رواه مسلم - رقم /٢٦٩٩ .

(١٢٣) مرقاة المفاتيح على مشكاة المصابيح -١/ ٢٧١ .

(١٢٤) رواه البخاري - رقم / ٤٦٥٣ .

(١٢٥) رواه مسلم - رقم / ٧٩٨ .

وهذا الحديث النبوي تاج فخارٍ لأهل القرآن الَّذِينَ حفظوا آياته وأتقنوا تلاوته فأصبحوا ماهرين بِهِ ، فهم مَعَ الملائكة الأبرار السفرة الكرام البررة يوم القيامة في الجنات .

وأما الَّذِي يجد صعوبة ومشقة في تلاوته وحفظه ، ويتتعتع فيه (أي : يتردد) ، ومع ذَلِكَ يبذل جهده ويكرر قراءته حَتَّى يتقنه ويضبطه فهذا لَهُ أجران : أجر التلاوة والتعلم ، وأجر المشقة التي يتحملها ، وسرعان مَا يكرمه المولى بتعلم القرآن وحفظه إن أخلص وصدق ، فيلحق بأهل المرتبة الأولى مَعَ الملائكة المقربين .

٥ - وعن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e :(**تعلَّموا القرآن فاقرءوه وأَقرِئوه ، فإنَّ مثل القرآن لمن تعلَّمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشوٍ مِسْكاً يفوح بريحه كل مكان ، ومثل من تعلَّمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب وُكئَ على مسك**) [١٢٦] ومعنى وُكِئ : أي رُبط وشُدَّ على المسك الَّذِي في داخله ، فلم يستفد منه أحد ، ولم يجد الناس منه ريحاً طيبة ، وهذه حالة من اكتفى بتعلم القرآن، ولم يقم بتعليمه للآخرين .

وأمَّا المثل الأول فهو لمن تعلَّم وعلَّم ، فرائحة المسك منه تفوح في كلِّ مكان ينتفع به الناس ويسترشدون به .

ومناسبة هَذَا الحديث أنَّ رسول الله e بعث بعثاً ، وهم ذوو عدد ، فاستقرأ كل رجلٍ ما معَهُ من القرآن ، فأتى على رجل مِن أحدثهم سناً (أي : أصغرهم) فقال : (**ما معك يافلان ؟**) قال : معي كذا وكذا وسورة البقرة ، قال : (**أمعكَ سورة البقرة ؟**) قال : نعم ، قال : (**فاذهب فأنت أميرهم**) . فقال رجل من أشرافهم : والله يارسول الله مامنعني أن أتعلَّم سورة البقرة إلاَّ خشية ألا أقوم بِهَا .

فقد قدَّم رسول الله e صحابياً صغير السنِّ على رجل من أشراف قومه ، وجعله أميراً عليهم لتميُّزه بتعلم وحفظ سورة البقرة .

٦ - وعن سهل بن سعد t أنَّ رسول الله e قال لعلي t : (**فوالله لأَنْ يهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَم**)[١٢٧] .

---

(١٢٦) رواه الترمذي وقال : حديث حسن (رقم / ٢٨٧٦) والنسائي (رقم/٨٧٤٩) وابن ماجة (رقم / ٢١٧) .

(١٢٧) رواه البخاري -رقم / ٢٧٨٣ ، ومسلم - رقم / ٢٤٠٦ .

وحمر النَّعم : الإبل الحمراء ، وهي أغلى أنواع الإبل وأنفسها .

قال الإمام ابن القيِّم : (وهذا يدلُّ على فضل العلم والتعليم ، وشرف منزلة أهله بحيث إذا اهتدى رجل واحد بالعالم كان ذَلِكَ خيراً له من حُمْرِ النَّعَم ، وهي خِيَارها وأشرفها عند أهلها ، فما الظنُّ بَمن يهتدي به كل يوم طوائف من الناس) (١٢٨) .

ولرُبَّ قارئٍ واحد بَذَلَ نفسه في تعليم القرآن الكريم يحيي الله بِهِ بلدة كاملة، فيكون له من الأجر بمثل أجورهم جميعاً جيلاً بعد جيل، وذلك فضل الله يؤتيه منْ يَشَاءُ .

وفي ذَلِكَ يقول الرَّسول e : **(من دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مِثْلُ أجور من تبعَهُ ، لايَنْقُص ذَلِكَ من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مِثْلُ آثام من تبعه لا يَنْقُص ذَلِكَ من آثامهم شيئاً)** (١٢٩).

فقد أخبر النبي e أنَّ المتسبب لَهُ مِثْلُ أجر أو وزرِ الفاعل ؛ لأنَّ هَذَا بذلَ قدرته في هداية الناس ، وهذا بذلَ قدرته في إضلالهم ، فنزل كلُّ واحدٍ منهما بمنزلة الفاعل التام (١٣٠) .

فشتَّان بين الدَّاعي إلى الإسلام ومعلِّم القُرآن ، والدَّاعي إلى الفجور والضلال !! .

---

(١٢٨) مفتاح دار السعادة - ١ / ٦٢ .

(١٢٩) رواه مسلم - رقم / ٢٦٧٤ .

(١٣٠) مفتاح دار السعادة لابن القيم - ١/ ٦١ .

أسئلة للدرس الثامن

س١ - مرَّ معك في هذا الدرس قوله تعالى:

{ J K LMN O P Q } .

ما سبب نزول هذه الآية ؟ ومتى نزلت ؟

س٢ - اذكر خمسة أحاديث نبوية في فضل تلاوة القرآن الكريم وتعلمه وحفظه غير ما ذُكر في الدرس ؟

س٣ - شبَّه الرسول e معلم القرآن بجراب المسك الَّذِي يفوح بريحه كل مكان، وهناك حديث نبوي آخر شبَّه فيه الرسول e الجليس الصالح بحامل المسك، اذكر هذا الحديث وما هي أوجه الشبه فيه ؟

الدرس التاسع

المنهج النبوي الذي سار عليه الصحابة y في تعليم القرآن الكريم (١)

امتنَّ الله سبحانه وتعالى على عباده ببعثة الرسول الأكرم والهادي إلى الطريق الأقوم نبينا محمد e ، فقال تعالى :

{ ´ µ ¶ ¸ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ } [١٣١] .

وقال عز وجل : { كَمَآ أَرْسَلْنَا © رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ..} [١٣٢] .

فالله عزَّ وجل أمر رسوله e أن يعلم الناس القرآن ويبلغهم آياته ، ويطهر نفوسهم من أدران الشرك ورذائل الأخلاق ، وينور قلوبهم بنور الكتاب المبين .

قال تعالى : { J K L M N O P Q S T U V W X Z [\ ] } [١٣٣] .

فنهض رسول الله e ينشر القرآن ويعلِّمه للناس ، وكان بحق المعلم الأول للخير في هذه الدنيا ، وأعظم معلِّم عرفته الإنسانية في حكمته وصبره وشفقته ، حتى تخرَّج في مدرسة النبوة هذا الجيل القرآني الفريد من الصحابة الكرام y .

---

(١٣١) سورة آل عمران / آية ١٦٤ .

(١٣٢) سورة البقرة / آية ١٥١ .

(١٣٣) سورة المائدة / آية ٦٧ .

يقول الإمام القرافي : (لو لم يكن لرسول الله e معجزة إلا أصحابه لَكَفَوه في إثبات نبوته) [١٣٤] .

وقد كانت مجالس الرسول e مع أصحابه مجالس تذكير بالله ، وترغيب وترهيب ، إما بتلاوة القرآن الكريم أو بما أتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين [١٣٥] ، وقد سماه الله عز وجل :

{ 0 1 2 3 4 5 6 7 8 } [١٣٦] .

ولقد سلك المعلم المربي e منهجاً تربوياً بديعاً في تعليمهم القرآن الكريم .

ويمكن تلخيص أبرز دعائم هذا المنهج في الأمور التالية :

١ - الإخلاص وترسيخ الإيمان .

٢ - التدبر والعمل .

٣ - إتقان التلاوة وتجويدها.

٤ - التسابق والحرص على التعلُّمِ والتعليم .

ولنبدأ بالموضوع الأول :

أولاً - الإخلاص وترسيخ الإيمان :

الركيزة الأولى في هذا المنهج النبوي بيان أهمية الإخلاص وضرورة التسلح به في كل عمل صالح ، وبخاصة في مجال تعلم القرآن الكريم وتعليمه ، فهو العروة الوثقى والأساس في قبول الأعمال عند الله سبحانه ، قال تعالى : { h i j k l m n o p } [١٣٧] .

ولذلك كان الرسول e يربِّي أصحابه على التوحيد الخالص لله U ، ويحذِّرهم من النفاق والرياء وحب المباهاة في تعليم القرآن الكريم ، **وقد ضرب لذلك أمثلة بديعة** لتأكيد هذه الحقيقة المهمة وترسيخها

(١٣٤) الفروق للإمام القرافي ٤ / ١٧٠ .

(١٣٥) ينظر : لطائف المعارف - للإمام ابن رجب الحنبلي - ص/ ١٥ .

(١٣٦) الأحزاب / آية ٤٥-٤٦ .

(١٣٧) سورة البينة / آية ٥ .

في النفوس :

- عن أبي موسى الأشعري t قال : قال رسول الله e : **(مَثَل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأُترجة [١٣٨] ريحها طيبٌ وطعمها طيب ، ومَثَل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة ، لا ريح لها وطعمها طيبٌ ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحَنظلة [١٣٩]، ليس لها ريح وطعمها مر)** [١٤٠] .

فما أعظم هذا الفارق بين المؤمن الصادق الذي يقرأ القرآن ويتعلمه ، والمنافق الذي يتَّخذ القرآن مطيَّة الدنيا ليظهر أمام الناس بالصلاح ، وباطنه خبيث شديد المرارة ، قد خلا من جوهرة الإيمان ، فقد يغترُّ الجاهل بظاهره فيراه يقرأ القرآن كما يغتر بالريحانة التي يعجبه منظرها فيظنها طيبة الطعم ، فإذا أكل منها ذاق مرارتها وكشف حقيقتها [١٤١] .

فانظر إلى دقة هذا المثل النبوي وروعته في بيان منزلة المخلص الصادق في تعلم القرآن الكريم ، والتنفير ممن زاغت نيته وساءت طَوِيَّتُه .

وتتوالى توجيهات الهادي الأمين e في التأكيد على الإخلاص ، والتحذير ممن يتعلم القرآن ويقرؤه رياءً واتباعاً لأهواء النفوس .

وإليك هذا الحديث الذي تقشعرُّ له الجلود وتضطرب له القلوب خوفاً وحذراً .

- روى مسلم عن أبي هريرة t قال : سمعت رسول الله e يقول : **(إنَّ أوَّل النَّاس يُقضى عليه يوم القيامة ...)** وذكر منهم : **(ورجلٌ تعلَّم القرآن وعلَّمه وقرأ القرآن فأُتي به ، فعرَّفه نعمهُ فعرَفها ، قال : فما عملتَ فيها ؟ قال : تعلمتُ العلم وعلمته ، وقرأتُ فيك القرآن . قال : كذبت ، ولكن تعلمت ليقال قارئ . فقد قيل . ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي به في النار)** [١٤٢] .

---

(١٣٨) الأترجة : نوع من الفاكهة لذيذ الطعم ، طيب الرائحة ، يشبه البطيخ .

(١٣٩) الحنظلة : نبات شديد المرارة ، بشع المنظر

(١٤٠) رواه البخاري - رقم / ٤٧٣٢ ، ومسلم - رقم / ٧٩٧ .

(١٤١) انظر شرح هذا الحديث النبوي في كتاب / دروس من الهدي النبوي - للمؤلف ص/٢٦.

(١٤٢) رواه مسلم - رقم / ١٩٠٥ .

- وفي رواية للترمذي عن عقبة بن مسلم أن شُفَيّاً الأصبحي حدَّثه أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو هريرة . فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدِّث الناس ، فلما سكت وخلا قلت له : أُنشدك بحقٍّ وحق ... لما حدثتني حديثاً سمعته من رسول الله e عقلتَه وعلمتَه . فقال أبوهريرة t : أفعلُ ، لأحدثك حديثاً حدثنيه رسول الله e عقلتُه وعلمتُه ، ثم نشغ أبو هريرة نشغةً[١٤٣] ، فمكث قليلاً ثم أفاق ، فقال مثل قوله ، ثم نشغ المرة الثانية والثالثة ثم أفاق ومسح وجهه ، فقال : أفعلُ ، لأحدثك حديثاً حدثنيه رسول الله e وأنا معه في هذا البيت ما معه أحد غيري وغيره . ثم نشغ أبوهريرة نشغة شديدة ، ثمَّ مال خارّاً على وجهه فأسندته عليَّ طويلاً ، ثم أفاق فقال : حدثني رسول الله e : (**أنَّ الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم ، وكل أمةٍ جاثية ، فأوَّل مَن يدعو به رجلٌ جمع القرآن ، ورجل يُقتل في سبيل الله ، ورجل كثير المال ، فيقول الله للقارئ : ألم أُعلِّمك ما أنزلتُ على رسولي ؟ قال : بلى يارب . قال : فماذا عملتَ فيما عُلِّمت ؟ قال : كنتُ أقوم به آناء الليل وآناء النهار .**

فيقول الله له : كذبتَ . وتقول له الملائكة : كذبتَ .

ويقول الله : بل أردتَ أن يقال : إنَّ فلاناً قارئ . فقد قيل ذاك) . ثم ذكر صاحب المال ، والذي قُتل ...

يقول أبوهريرة : ثم ضرب رسول الله على ركبتي فقال : (**يا أبا هريرة ، أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسعَّر بهم النار يوم القيامة**) .

قال عقبة بن مسلم : إنَّ شُفيَّاً دخل على معاوية t فأخبره بهذا عن أبي هريرة t ، فقال معاوية : قد فُعل بهؤلاء كذا فكيف بمن بقيَ من الناس ؟.

ثم بكى معاوية بكاءً شديداً حتى ظننا أنه هالك .. ثم أفاق ومسح على وجهه ، وقال : صدق الله العظيم : { G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ' _ ` a b c d e f }[١٤٤].

---

(١٤٣) نشغ : أي شهق حتى كاد يُغمى عليه .

(١٤٤) سورة هود / الآيتان ١٤-١٥ ، والحديث رواه الترمذي - رقم / ٢٣٨٢ وحسَّنه .

- وعن أبي سعيد الخدري t أنه سمع النبي e يقول : **(تعلَّموا القرآن ، وسلوا الله به الجنة ، قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا ، فإنَّ القرآن يتعلمه ثلاثة : رجل يباهى به ، ورجل يستأكل به [١٤٥]، ورجل يقرؤه لله)** [١٤٦] .

- وعن عمران بن حصين أنه مرَّ على قارئ يقرأ ، ثم سأل [١٤٧]، فاسترجع [١٤٨] ، ثم قال : سمعت رسول الله e يقول : **(من قرأ القرآن ، فليسأل الله به ، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس)**[١٤٩].

- وعن عبدالله بن عمرو t أنَّ رسول الله e قال : **(أكثر منافقي أمتي قراؤها)** [١٥٠] .

فما أعظم خسارة من يبادر إلى تعلم القرآن وتعليمه رياءً ونفاقاً، أو طلباً للمكاسب الدنيوية الفانية، فيصبح القرآن حجة عليه يوم القيامة .

ولهذا كان ترسيخ الإيمان مقدماً على تعليم القرآن، ليتذوق القلب حلاوة كتاب الله U، ويبادر برغبة وصدق إلى تعلمه وحفظ آياته والعمل بما فيه .

ودليل ذلك ما رواه ابن ماجه عن جندب بن عبد الله t قال :

(كنا مع النبي e ونحن فتية حَزاوِرةً [١٥١]، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلمَ القرآن ، ثم تعلمنا القرآن

---

(١٤٥) أي : يجعل هدفه من تعلمه وتعليمه طلب الرزق والمال ، فهو كأي موظف إن أعطي أجرته قام بالتعليم ، وإن توقفت الأجرة ترك تعليم القرآن .. فما أعظم خسارته .

(١٤٦) رواه البغوي في شرح السنة رقم / ١١٨٢ والحاكم ٤ /٥٤٧ وصححه ووافقه الذهبي ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني - رقم / ٢٥٨ .

(١٤٧) أي : سأل الناس مالاً .

(١٤٨) أي : قال إنا لله وأنا إليه راجعون ، كأنها مصيبة وشر مستطير .

(١٤٩) رواه الترمذي - رقم / ٢٩١٧ ، وقال حديث حسن .

(١٥٠) رواه الإمام أحمد ٢ /١٧٥ ، وابن المبارك في الزهد - ص/٤٥١ وغيرهما ، وله طرق أخرى عن عقبة بن عامر وعبدالله بن عباس (انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني - رقم ٧٥٠) .

(١٥١) حزاورة : جمع الحزور ، وهو الغلام إذا اشتدَّ وقوي .

فازددنا به إيماناً) (١٥٢) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (كنا أصحاب رسول الله e أوتينا الإيمان قبل القرآن ، وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان ، يقيمون حروفه ، ويضيعون حدوده وحقوقه ، يقولون : قرأنا فمن أقرأُ منا ؟ وعلمنا فمن أعلم منا ؟ فذلك حظُّهم) ، وفي رواية (أولئك هم شرار الأمة) (١٥٣) .

ثانياً - التدبر والعمل :

سبق الحديث في الدرس السابع عن تدبر القرآن وتذوق حلاوة الإيمان ، وما كان عليه الصحابة الكرام من حرص على التدبر والتفكر والخشوع عند تلاوة القرآن الكريم والعمل بما فيه ، حتى نالوا هذا الشرف العظيم ، فأشرقت أرواحهم بنور القرآن ، واستقامت أحوالهم ، وأعزهم الله بهذا الدين .

ونودُّ هنا أن نبيِّن المنهج الذي سار عليه الصحابة y في تعلم القرآن وتعليمه حيث جمعوا بين إتقان التلاوة وإتقان العمل ، وكانت توجيهات الرسول e نصب أعينهم في التأكيد على التمسك بهدي الكتاب المبين ، والتحذير من تضييع حدوده وهجران العمل بما فيه ، **وإليك بعض الأدلة والشواهد في هذا المجال :**

١ - عن جابر t عن النبي e أنه قال : **(القرآن شافع مُشفَّع ، وماحلٌ مصدَّق** (١٥٤)**، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار)** (١٥٥) .

٢ - وعن شريح الخزاعي t قال : خرج علينا رسول الله e فقال : **(أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟)** قالوا : بلى . قال : **(إنَّ هذا القرآن طرفُه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً)** (١٥٦) .

---

(١٥٢) رواه ابن ماجة - رقم / ٦١ ، وقال البوصيري في (مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه) : إسناد هذا الحديث صحيح ورجاله ثقات .

(١٥٣) فتح الباري لابن حجر ١/ ٢٥١ .

(١٥٤) أي : خصمٌ مجادل مصدَّق ، يجادل عن صاحبه يوم القيامة ويشفع له ، ويخاصم من هجره حتى يوقعه في النار .

(١٥٥) رواه ابن حبان - رقم /١٧٩٣ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٧١) وقال : رجاله ثقات ، وانظر : الأحاديث الصحيحة للألباني - رقم / ٢٠١٩ .

(١٥٦) رواه الطبراني في الكبير رقم / ٤٩١ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٦٩ ، وقال: رجاله رجال الصحيح) ، (وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني - رقم / ٧١٣).

٣- وعن أبي موسى الأشعري t قال : قال رسول الله e : **(إنَّ من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط)** [١٥٧] .

والغالي : هو المبالغ في غير موضع التشدد ، وهذا ينافي منهج الإسلام في اليسر والاعتدال وعدم مجاوزة الحد .

والجافي : من الجفاء ، وهو ترك العمل بالقرآن ، وهذا من أكبر الكبائر ، ومن فعل ذلك لا يُحترم ولا يوقَّر، ولا يُعدُّ حاملاً للقرآن ولو كان يحفظه عن ظهر قلب .

وبهذا يجمع المربي الحكيم e بين الحضِّ على إجلال وتكريم حامل القرآن ، وبيان المنهج القويم الذي ينبغي لحملة القرآن أن يتسلحوا به .

ولهذا فقد كان المنهج النبوي الذي سار عليه الصحابة الكرام والسلف الصالح في تعليم القرآن جامعاً بين العلم والعمل ، والتلاوة والتدبر ، **وإليك بعض أقوالهم y في بيان هذا المنهج القويم** :

١- روى مسلم أنَّ رجلاً جاء إلى عبد الله بن مسعود t فقال : إني لأقرأ المفصل[١٥٨] في ركعة . فقال عبد الله : هذَّاً كهذِّ الشِّعْرِ[١٥٩]، إنَّ أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم [١٦٠]، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع .. ثم قال : إني لأعلم النظائر التي كان رسول الله e يقرن بينهن سورتين في كل ركعة) [١٦١] .

قال القاضي عياض رحمه الله : (إنَّ هذا كان قدر قراءة النبي e غالباً ، وإنَّ تطويله الوارد إنما كان في

(١٥٧) رواه أبو داود رقم /٤٨٤٣ وحسنه الإمام النووي في رياض الصالحين - رقم / ٣٥٤، والحافظ العراقي في تخريجه للإحياء .

(١٥٨) المفصل : هي السور غير الطويلة ، وسميت بذلك لقرب انفصال بعضها عن بعض ، وتبدأ من سورة الحجرات أو سورة ! (شرح النووي على مسلم ٦/ ١٠٧) .

(١٥٩) أي : أتهذُّ القرآن هذَّاً ، فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر ؟، والهذُّ : شدَّة الإسراع والإفراط في العجلة .

(١٦٠) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظم الذي بين النحر والعاتق ، ومعناه : لا يجاوز القرآن تراقيهم ليصل إلى قلوبهم ، فليس حظهم منه إلا مروره على ألسنتهم .

(١٦١) رواه مسلم - رقم /٨٢٢ .

التدبر والترتيل ، وما ورد من غير ذلك في قراءته البقرة والنساء وآل عمران كان في نادر الأوقات) [١٦٢] .

٢- عن عبد الله بن مسعود t قال : (كان الرجل منا إذا تعلَّم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن) [١٦٣] .

٣- وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال : (حدثنا من كان يقرئُنا من أصحاب النبي e أنهم كانوا يقترئون من رسول الله e عشر آيات ، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل) [١٦٤].

٤- وعن عبد الله بن مسعود t قال : (ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمتِهِ إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون) [١٦٥] .

٥- وعن حذيفة بن اليمان t قال : (يا معشر القراء استقيموا فقد سَبقتم سبقاً بعيداً ، وإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً) [١٦٦] ، أي : إن استقمتم على هدي القرآن سبقتم غيركم سبقاً ظاهراً إلى كل خير .

٦- وعن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه قال : (إنَّ من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها في النهار) [١٦٧] ، أي : يعملون بما فيها .

٧- وقال الإمام ابن القيم رحمه الله :

(قال بعض السلف : نزل القرآن ليُعمل به فاتَّخذوا تلاوته عملاً ، ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به والعاملون بما فيه ، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب ، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه فليس من أهله ،

---

(١٦٢) شرح النووي على صحيح مسلم - ٦/ ١٠٥ .

(١٦٣) رواه الإمام أحمد في مسنده - ٥/ ٤١٠ .

(١٦٤) رواه الإمام الطبري في تفسيره - ١/ ٣٥ .

(١٦٥) التبيان في آداب حملة القرآن للإمام النووي - ص/ ٤٣ .

(١٦٦) رواه البخاري - رقم / ٦٨٥٣ .

(١٦٧) التبيان في آداب حملة القرآن - للإمام النووي - ص٤٤.

وإن أقام حروفه إقامة السهم) [١٦٨] .

٨- وقال الإمام الآجري رحمه الله : (المؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن ، فكان كالمرآة يرى بها ما حَسُنَ من فعله وما قبح فيه ، فما حذَّره مولاه حَذِره ، وما خوَّفه من عقابه خافه ، وما رغَّب فيه مولاه رغِب فيه ورجاه ، فمن كانت هذه صفته أو قارب هذه الصفة فقد تلاه حقَّ تلاوته ورعاه حقَّ رعايته) [١٦٩] .

- **فلتحرص أخي الكريم على امتثال قول المولى سبحانه :** { D E F G H I J K L } [١٧٠] .

ولاشكَّ أنَّ صاحب القلب اليقظ تقع الآية على مسامعه فيتذكَّر ويخشى، وتهتزُّ لها أعماق نفسه ويكون لها دورها وأثرها في سلوكه ، ولهذا أمر المولى سبحانه رسوله الأمين e أن يتلو آيات القرآن الكريم على أهل الإيمان ليزدادوا خشية من ربهم سبحانه ، فقال تعالى : { فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ } [١٧١] .

والواقع أنَّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين الدعامتين الأولى والثانية من دعامات المنهج النبوي لتعليم القرآن ، فمن ترسَّخ الإيمان في قلبه وتحلَّى بالصدق والإخلاص لابدَّ أن يتأثر عند تلاوة القرآن ويلتزم بالعمل بما فيه .

يقول عبدالله بن عمر t : (لقد عشنا برهة من الدهر وإنَّ أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة فنتعلم حلالها وحرامها ، وزواجرها وأوامرها ، وما يجب أن نقف عنده منها ، ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولازاجره ، وما ينبغي أن يقف عنده منه ، ينثره نثر الدَّقل [١٧٢]) [١٧٣] .

---

(١٦٨) زاد المعاد - ١ / ٣٣١ .

(١٦٩) أخلاق حملة القرآن - ص/٣٩ .

(١٧٠) سورة البقرة / آية ١٢١ .

(١٧١) سورة ! / آية ٤٥ .

(١٧٢) الدقل : رديء التمر ويابسه ، وهو يبسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثوراً . (لسان العرب : د ق ل) – ١١ / ١٤٦ .

والخلاصة :

إنَّ تعلُّم القرآن الكريم لا بدَّ أن يشتمل على التفكر في معانيه ولو على سبيل الإجمال ، ليكون دافعاً إلى العمل بما فيه ، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وأما أبناء الأعاجم الذين يقبلون على حفظ القرآن الكريم وهم لا يعرفون اللغة العربية ، فإنَّ الواجب على مدرِّسيهم غرس معاني القرآن في نفوسهم ، وتربيتهم على أخلاقه وآدابه ، حتى لا يكون حفظهم للقرآن الكريم هيكلاً أجوف لا حياة فيه .

([١٧٣]) رواه الحاكم في المستدرك ١/٣٥ ، وصححه ووافقه الذهبي - وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٦٥) وقال : رجاله رجال الصحيح .

الدرس العاشر

المنهج النبوي الذي سار عليه الصحابة y
في تعليم القرآن (٢)

٣- إتقان التلاوة وتجويدها :

أمر الله سبحانه رسوله الكريم e أن يرتِّل القرآن متأنياً في تلاوته مبيِّناً لحروفه ، يقرؤه على الناس على تمهُّلٍ ، حتى يَسْهُل فهمه وحفظه وإتقان تجويده .

قال U : { , - . / 0 1 2 [١٧٤] 3 4 }[١٧٥]، وقال تعالى : { 2 3 4 }[١٧٦] .

وإذا تأمَّلنا هذه الآية الكريمة نجد أنَّ الله تبارك وتعالى لم يقتصر على الأمر بالفعل : { 2 } ، بل أكَّده بالمصدر : { 4 } مما يفيد الاهتمام بشأنه والترغيب به [١٧٧] .

وقد بيَّن علي بن أبي طالب t معنى الترتيل فقال : (هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف) [١٧٨] .

وهكذا كان منهج النبي e في تلاوة القرآن الكريم وتعليمه ، حيث كان يقرأ القرآن الكريم مجوَّداً فيعطي الحروف حقوقها ومراتبها ، ويمد في بعض المواضع بكيفية مخصوصة ، كما تلقَّاه عن جبريل عن ربِّ العزة جلَّ جلاله ، وتلقاه عنه الصحابة الكرام ، ومن بعدهم جيلاً بعد جيل .

---

(١٧٤) أي : لتقرأه على مهل .

(١٧٥) سورة الإسراء / آية ١٠٦ .

(١٧٦) سورة المزمل / آية ٤ .

(١٧٧) هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري - للشيخ عبد الفتاح المرصفي - ص/٣٩.

(١٧٨) نهاية القول المفيد في علم التجويد - للإمام محمد مكي نصر - ص/٧ ، والنشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري - ٢٠٩/١ .

وإليك بعض الأدلة :

١ - روى البخاري عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي e فقال : (كان يمدُّ مدّاً) [١٧٩] .

٢ - وروى أيضاً عن قتادة قال : سئل أنس كيف كانت قراءة النبي e ؟ فقال : كانت مدّاً ، ثمَّ قرأ : (بسم الله الرحمن الرحيم) ، يمدُّ ببسم الله ، ويمد بالرحمن ، ويمد بالرحيم [١٨٠] .

وقد نقل لنا الصحابة y صفة هذه المدود ومقاديرها وعلَّموها لتلاميذهم ، وتلقاها القرَّاء عنهم جيلاً بعد جيل .

٣ - وعن عبد الله بن مغفل t قال : (رأيت النبي e يقرأ وهو على ناقته من سورة الفتح قراءة ليِّنة ، يقرأ وهو يرجِّع) [١٨١] .

والترجيع : ترديد القارئ الحرف في الحلق ، والمراد به إشباع المد في موضعه [١٨٢].

قال الإمام أبو العلاء العطار : (الترجيع تكرير الصوت بالمد ، رجَّع الرجل في قراءته إذا كرَّر صوته بالمد) [١٨٣] .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله وهو يصف تلاوة النبي e :

(كانت قراءته ترتيلاً لا هذّاً ولاعجلة ، بل قراءة مفسرة حرفاً حرفاً ، وكان يقطِّع قراءته آية آية ، وكان يمد عند حروف المد) .

ثم قال: (وكان e يتغنى به ويرجِّع صوته به أحياناً كما رجَّع يوم الفتح في قراءته { ! " # $ % } ، وهذا الترجيع منه e كان اختياراً لا اضطراراً لهزِّ النَّاقة له ، ولو كان لهزِّ الناقة لم يكن عبد الله بن

---

(١٧٩) رواه البخاري - رقم / ٤٧٥٨ .

(١٨٠) رواه البخاري - رقم / ٤٧٥٩ .

(١٨١) رواه البخاري - رقم / ٤٧٦٠ .

(١٨٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ٨-٤٤٨ .

(١٨٣) التمهيد في معرفة التجويد - ص/١٨٦ .

مغفل يحكيه ويفعله اختياراً ليؤتسى به) (١٨٤) .

فلابدَّ في تلاوة القرآن الكريم من التزام الترتيل الموافق للكيفية المخصوصة التي تلقاها الصحابة الكرام من فم الرسول e ، والإتيان بالألفاظ القرآنية على تلك الكيفية العربية الفصيحة ، وإخراج الحروف من مخارجها صوناً للكلمات القرآنية عن التغيير ، وصوناً للسان عن اللحن والخطأ في أي حرف من كتاب الله عز وجل خشية الإخلال بالمعنى .

ولهذا قال العلامة الشيخ محمد مكي نصر : (اجتمعت الأمة على وجوب التجويد من زمن النبي e إلى زماننا ، ولم يختلف فيه أحد منهم ، وهذا من أقوى الحجج) (١٨٥) .

قال الإمام ابن الجزري رحمه الله :

والأخذ بالتجويد حتم لازمُ ... من لم يجوِّد القرآن آثمُ

لأنه به الإله أنزلا ... وهكذا منه إلينا وصلا

ومن أهم ما يؤكد المنهج النبوي في تعليم الصحابة مدارسة القرآن الكريم واتقان تلاوته ذلك المجلس القرآني المبارك في شهر رمضان من كل عام ، فقد روى البخاري عن ابن عباس t أنه قال : (كان رسول الله e أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاة جبريل ، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيُدارسه القرآن) (١٨٦) .

وقد وصف العلماء من روايات الحديث معنى هذه المدارسة وهي: أن كلاً منهما كان يعرض القرآن على الآخر ، فكان جبريل عليه السلام يقرأ والنبي e يستمع ، كما كان النبي يقرأ وجبريل يستمع ، وأما في العام الأخير قبل وفاة النبي e فقد عرض عليه جبريل القرآن مرتين وتسمى هذه العرضة الأخيرة ، وقد شهدها زيد بن ثابت t واعتمدها في جمع القرآن الكريم (١٨٧) .

---

(١٨٤) زاد المعاد - ١ /٤٨٢ - ٤٨٣ باختصار يسير .

(١٨٥) هداية القارئ ص/ ٤٠ نقلاً عن نهاية القول المفيد ص/ ١٠ .

(١٨٦) رواه البخاري - رقم / ٦

(١٨٧) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن - للشيخ طاهر الجزائري ص / ١٢٤ - ١٢٦.

ومن الأمور المهمة في تحسين التلاوة وإتقانها **أن يحرص القارئ على تحسين صوته والتغني بالقرآن الكريم اقتداءً بالنبي e** الذي كان يفعل ذلك ويحث أصحابه عليه .

وإليك بعض الروايات في هذا المجال :

- عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : (سمعت رسول الله e قرأ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه) [١٨٨] .

- وعن أبي هريرة t قال : **(ما أذن الله لشيءٍ ما أذن للنبي أن يتغنَّى بالقرآن)** [١٨٩] .

- وفي رواية أن رسول الله e قال : **(زينوا القرآن بأصواتكم ، ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن)** [١٩٠] .

والمراد بالتغني : تحسين الصوت وهو الراجح ، وقيل المراد : يستغني به عن غيره من الكتب وعن الإكثار من الدنيا [١٩١] .

- وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله e : **(لو رأيتني البارحة وأنا أسمع لقراءتك ! لقد أُعطيتَ مزماراً من مزامير آل داود)**[١٩٢] .

والمراد بالمزمار هنا : الصوت الحسن ، وقد ضرب رسول الله e المزمار مثلاً لحسن صوت داود عليه السلام وحلاوة نغمته ، كأنَّ في حلقه مزامير يزمر بها [١٩٣] .

وفي رواية (**قلت : والله يا رسول الله ، لو علمت أنَّك تسمع قراءتي لحبَّرته لك تحبيراً**) [١٩٤] أي حسَّنته تحسيناً .

وهذا دليل على التزام الصحابة y بهذا المنهج النبوي في تحسين الصوت بتلاوة القرآن الكريم ، فالتلاوة

---

(١٨٨) رواه البخاري - رقم / ٧٣٥ ، ومسلم - رقم /٤٦٤ .

(١٨٩) رواه البخاري - رقم / ٤٧٣٦ ، ومسلم / ٧٩٢ .

(١٩٠) رواه أبو داود - رقم / ١٤٦٨ ، والبخاري تعليقاً ٦/ ٢٧٤٣ .

(١٩١) وقد نقل الحافظ ابن حجر عن الإمام الطبري أنَّ الإمام الشافعي سئل عن تأويل التغني بالاستغناء فلم يرتضه ، وقال : لو أراد الإستغناء لقال لم يستغن ، وإنما أراد تحسين الصوت (فتح الباري ٨/ ٦٨٩) .

(١٩٢) رواه البخاري ٤٧٦١ ومسلم /٧٩٣ .

(١٩٣) جامع الأصول ٩/ ٨٠ ، وفتح الباري ٨/ ٧١٢ .

(١٩٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٠٣ .

الحسنة تهزُّ النفوس ، وتحسين الصوت يزيد الخشوع وتذوُّق المعاني ، بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى تقليد الغناء الفاجر أو زيادة حركات وحروف وإخلال بقواعد التجويد (١٩٥) .

٤ - التسابق والحرص على التعلم والتعليم :

يصعب على الواصف مهما أوتي من روعة البيان أن يصف تسابق الصحابة الكرام إلى تعلم القرآن الكريم وتعليمه ، واستجاباتهم لتوجيه النبي e واهتمامه وتكريمه لمعلِّم القرآن ومتعلمه ، ويكفي هؤلاء شرفاً قول الرسول e : (**خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه**) وما ورد من أدلة كثيرة سبق ذكرها في بيان فضل تعلم القرآن الكريم ، ولهذا كان الصحابة الكرام يتسابقون صغاراً وكباراً لنيل هذا الشرف ، وحمل هذه الأمانة ، حتى غصَّت جنبات المسجد النبوي بحلقات القرآن الكريم يتعلمون من الرسول e أو يقرأ بعضهم على بعض ، ويتعلم بعضهم من بعضهم ، **وإليك بعض الروايات الدالة على ذلك :**

١ - روى مسلم عن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : (**احشدوا غداً فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن)** . فحشد من حشد ، ثم خرج نبي الله e فقرأ : { ! " # $ } ثم دخل ، فقال بعضنا لبعض،

(١٩٥) قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (التطريب والتغني على وجهين : أحدهما : ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلُّف ولا تمرين ولا تعليم ، بل إذا خُلِّيَ وطبعه ، واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين ، فذلك جائز وإن أعان طبيعته بفضل تزيين وتحسين ، كما قال أبو موسى للنبي e : (لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً) ، والحزين ومن هاجه الطرب ، والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة ، ولكن النفوس تقبله وتستحيله لموافقته الطبع ، وعدم التكلف والتصنع فيه ، فهو مطبوع لا متطبِّع ، وكلف لا متكلِّف ، فهذا هو الذي كان =

= السلف يفعلونه ويستمعونه ، وهو التغني الممدوح المحمود ، وهو الذي يتأثر به التالي والسامع .

الوجه الثاني : ما كان من ذلك صناعة من الصنائع ، وليس في الطبع السماحة به ، بل لا يحصل إلا بتكلُّف وتصنُّع وتمرُّن ، كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة ، والمركبة على إيقاعات مخصوصة ، وأوزان مخترعة ، لا تحصل إلا بالتعلُّم والتكلُّف ، فهذه هي التي كرهها السلف ، وعابوها وذمُّوها ، ومنعوا القراءة بها ، وأنكروا على من قرأ بها ، وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ، ويتبين الصواب من غيره ، وكلُّ من له علم بأحوال السلف ، يعلم قطعاً أنهم بُرآء من القراءة بألحان الموسيقى المتكلفة ، التي هي إيقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة ، وأنهم أتقى لله من أن يقرؤوا بها ، ويُسوِّغوها ، ويعلم قطعاً أنهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب ، ويحسِّنون أصواتهم بالقرآن ، ويقرؤنه بشجىً تارةً ، وبطرب تارةً ، وبشوق تارةً ، وهذا أمر مركوز في الطباع تقاضيه ، ولم ينه عنه الشارع مع شدَّة تقاضي الطباع له ، بل أرشد إليه وندب) " زاد المعاد ١ /٤٩٣ " .

وينظر لمزيد من التفصيل كتاب : البيان لحكم قراءة القرآن الكريم بالألحان - لفضيلة الشيخ الدكتور / أيمن رشدي سويد .

إني أُرى هذا خبرٌ جاءه من السماء ، فذاك الذي أدخله . فخرج نبي الله e فقال : (**إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا أنها تعدل ثلث القرآن**) [196] . والشاهد هنا اجتماع الصحابة بأمر النبي e ليتلو عليهم ثلث القرآن ، وحرصهم على ذلك .

٢- وعن أنس t قال : (أقبل أبو طلحة يوماً ، فإذا النبي e قائمٌ يقرئ أصحاب الصُفَّة ، على بطنه فصيل من حجر يقيم به صلبه من الجوع) [197]، وهذا يدل على شدة اهتمامه e بتعليم أصحابه القرآن رغم ما هو عليه من شدة الجوع .

٣- روى مسلم عن عقبة بن عامر t قال : خرج علينا رسول الله e ونحن في الصفة ، فقال : (**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بُطحان** [198]، **أو إلى العقيق ، فيأتي منه بناقتين كوماوَيْن** [199]، **في غير إثمٍ ولا قطيعةِ رحمٍ**[200]) . فقلنا : يارسول الله نُحب ذلك . قال : (**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلَم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ، ومن أعدادهن من الإبل**) [201] .

فها هو e يحث أهل الصفة على تعلم القرآن الكريم بأسلوب تشويقي يلامس رغبتهم وأملهم بالحصول على ما يدفعون به الفقر ، ولكنه يرشدهم إلى ماهو أعظم من كنوز الدنيا .

٤- روى الطبراني عن أبي أمامة t أنَّ رجلاً أتى النبي e فقال : اشتريت مقسم [202] بني فلان فربحت فيه كذا وكذا قال : (**ألا أنبك بما هو أكثر منه ربحاً ؟**) قال : وهل يوجد ؟ قال : (**رجلٌ تعلَّم عشر**

---

(١٩٦) رواه مسلم - رقم / ٨١٢ ، ومعنى احشدوا : أي اجتمعوا .

(١٩٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٣٤٢ .

(١٩٨) بُطحان : بضم الباء موضع بالمدينة المنورة ، وكذلك العقيق .

(١٩٩) الناقة الكوماء : هي الناقة العظيمة السمنة . النهاية ٤/ ٣٩١ ، اللسان (ك م ي) .

(٢٠٠) في غير إثم ولا قطيعة رحم ، أي : من دون أن يرتكب ذنباً أو يقطع مودة أقربائه .

(٢٠١) رواه مسلم - رقم ٨٠٣ .

(٢٠٢) مقسم : أي القسم أو النصيب الخاص بهم .

آيات) ، فذهب الرجل فتعلم عشر آيات ، فأتى النبي e فأخبره [٢٠٣] .

وهكذا كان النبي e يرشد أصحابه إلى هذا الفضل العظيم ، ويخصُّ بعضهم بالوصية للحرص على تعلم القرآن الكريم[٢٠٤] .

٥- وعن أبي ذر t قال : قال لي رسول الله e : **(يا أبا ذر ! لأَن تغدوَ فتعلَّم آية من كتاب الله خيرٌ لك من أن تصلي مائة ركعة)**[٢٠٥] .

٦- وعن أبي القمراء t قال: كنا في مسجد رسول الله e حلقاً نتحدث إذ خرج علينا رسول الله e من بعض حُجره ، فنظر إلى الحلق ، ثم جلس إلى أصحاب القرآن ، فقال : **(بهذا المجلس أُمرت)** [٢٠٦] .

٧- وعن مالك بن الحويرث t قال: أتينا رسول الله e ونحن شَبَبَة متقاربون[٢٠٧] ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله e رحيماً رقيقاً ، فظن أنا أشتقنا أهلنا ، فسألنا عمن تركنا من أهلنا ، فأخبرناه فقال : **(ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم ، وعلِّموهم ومروهم ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدُكم وليؤمَّكم أكبرُكم)** [٢٠٨] .

٨- وعن مطرَّف أنه دخل على عمار بن ياسر فقال له : (إنَّا كنَّا ضلاَّلاً فهدانا الله ، وكنَّا أعراباً فهاجرنا ، يقيم مقيمنا بتعليم القرآن ويغزو الغازي ، فإذا قدم الغازي أقام بتعليم القرآن ، وغزا المقيم) [٢٠٩] .

فما أعظمها من حياة في رحاب القرآن الكريم ، والجمع بين الجهاد والتعليم ، لنشر نور القرآن الكريم .

٩- وعن أنس t قال وهو يحدِّث عن الصحابه y : (كانوا إذا صلوا الغداة ـ أي : الصبح ـ قعدوا حِلَقاً حِلَقاً يقرؤون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن) [٢١٠] .

---

(٢٠٣) مجمع الزوائد ٧/١٦٥ وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله رجال الصحيح.

(٢٠٤) سبق الحديث في الدرس السابع عن فضائل تعلم القرآن الكريم وتعليمه .

(٢٠٥) رواه ابن ماجه - رقم / ٢١٩ باب : فضل من تعلم القرآن وعلَّمه ، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب ٢/٣٥٥.

(٢٠٦) أخرجه الإمام ابن منده وابن عبد البر في الاستيعاب ٤/١٦٤ ، وأورده الحافظ ابن حجر في الإصابة ٧/٢٧٦ .

(٢٠٧) شَببة : جمع شاب - والمقصود : شباب متقاربون في السن .

(٢٠٨) رواه مسلم - رقم / ٦٧٤ .

(٢٠٩) طبقات ابن سعد ٣/٨٧ .

(٢١٠) حياة الصحابة ٣/٢٠٤

وسنطالع إن شاء الله مزيداً من الروايات المهمة عند الحديث في الدروس القادمة عن أبرز الصحابة الكرام وجهودهم في تعلُّم القرآن الكريم وتعليمه .

القراء من الصحابة :

ازداد عدد حفاظ القرآن الكريم من الصحابة منذ السنوات الأولى للهجرة النبوية ، وكانوا يسمون (القراء) لأخذهم ما نزل من الوحي آنذاك ، **وقد أرسل النبي e سبعين منهم لتعليم القرآن الكريم** لبني سُليم فغدروا بهم ، فقُتلوا جميعاً y في حادثة بئر معونة ، وحزِن لذلك النبي e واستمرَّ شهراً كاملاً يقنتُ في الصلاة ويدعو على من قتلهم [٢١١]، يقول أنس t : (فما رأيته وَجَدَ على أحد ما وَجَد عَلَيْهِم)[٢١٢] .

أي : مارأيته حزن على أحد مثل حزنه عليهم ، أو مثل ما غضب على الذين قتلوهم .

وقد تحدث أنس بن مالك t عن تعلُّمِ هؤلاء الأنصار القرآنَ الكريم فذكر أنهم كانوا إذا أقبل الليل آووا إلى مكان لهم بالمدينة يبيتون يدرسون القرآن ، فإذا أصبحوا قاموا إلى أعمالهم في جمع الحطب أو رعي الغنم [٢١٣] .

وعن ثابت عن أنس قال : جاء ناس إلى النبي فقالوا : ابعث معنا رجالاً يعلِّمونا القرآن والسنة ، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالي (حَرام[٢١٤])، وكانوا يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل ويتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصُّفّة والفقراء ، فبعث النبي e إليهم ، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان ، فقالوا : اللهم بلِّغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيتَ عنا . قال: وأتى رجل حَراماً ـ خال أنس ـ من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه ، فقال حرام : فزت ورب الكعبة .

فقال : رسول الله e لإخوانه : **(إن إخوانكم قد قُتلوا ، وإنهم قالوا: اللهم بلِّغ عنا نبينا أنا قد لقيناك**

---

(٢١١) انظر الرواية في صحيح البخاري - رقم / ٩٥٧ ، ومسلم - رقم / ٦٧٧ .

(٢١٢) رواه البخاري - رقم / ٢٩٩٩ .

(٢١٣) حياة الصحابة - ٣/١٨٧ .

(٢١٤) هو الصحابي الجليل حرام بن مِلحان ، من بني النجار، استشهد في حادثة بئر معونة في شهر صفر في السنة الثالثة للهجرة . ينظر الإصابة ١ / ٣٣٤ ، أسد الغابة ١ / ٤٧٣ .

فرضينا عنك ورضيتَ عنَّا) [٢١٥] .

خطبة الجمعة وتعليم القرآن :

ولا تقتصر مجالس تعليم القرآن الكريم على تلك الحلقات والدروس التي كان الصحابة يلتفُّون فيها حول رسول الله e أو يجلسون فيما بينهم للعلم والتعلم ، وإنما هناك مجال مهم آخر يبرز فيه اهتمام النبي e بتعليم القرآن الكريم لأصحابه وتبليغه لهم ، وتحريك نفوسهم بمعانيه، وهي خطبة الجمعة.

روى مسلم عن أم هشام بنت حارثة قالت : (ما أخذتُ { ! ' # $ } إلا عن لسان رسول e يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس) [٢١٦] .

وروى ابن ماجه عن أبي بن كعب قال : قرأ رسول الله e يوم الجمعة (تبارك) وهو قائم ، فذكرنا بأيام الله ، وأبو الدرداء أو أبوذر يغمزني ، فقال : متى أُنزلت هذه السورة ؟ فإني لم أسمعها إلى الآن ، فأشار إليه أن اسكت) [٢١٧] .

ولهذا قال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان هدي النبي e في خطبته : (كان النبي e كثيراً ما يخطب بالقرآن) [٢١٨] .

ولا شك أنَّ هذا المجال مهم جدّاً ، وهو فرصة عظيمة يغتنمها الخطيب ليوجِّه الناس بآيات القرآن الكريم ويتلوها عليهم ، وبخاصة إذا التزم بالمنهج النبوي في قراءته للقرآن بإتقان وتركيز وتدبر وخشوع ، وتحسين للصوت ، فتهتز لها القلوب وتذرف لها الدموع .

وختاماً نودُّ أن نذكِّر بالدعائم الأربعة للمنهج النبوي الذي سار عليه الصحابة الكرام في تعليم القرآن ، وهي :

١ - الإخلاص وترسيخ الإيمان .

٢ - التدبر والعمل .

---

(٢١٥) طبقات ابن سعد ٣/٥١٤ .

(٢١٦) صحيح مسلم - رقم / ٨٧٣ .

(٢١٧) رواه ابن ماجه - رقم / ١١١١ وأحمد في المسند ٥/١٤٣ ، وإسناده حسن (وانظر: زاد المعاد ١ /٤٣١) .

(٢١٨) زاد المعاد ١/١٨٧ .

٣- اتقان التلاوة وتجويدها .

٤ - التسابق والحرص على التعلم والتعليم .

يضاف إلى ذلك التوجيهات النبوية البديعة التي كان النبي e يحرص عليها في التعليم وهو المربي الحكيم ، من التواضع واللين والشفقة على المتعلِّم والصبر عند التعلُّم ونحوها [٢١٩] .

ثمرات يانعة :

لقد أثمرت هذه التربية النبوية والمجالس الإيمانية في تعلم القرآن الكريم وتعليمه ثمرات عظيمة ، فكان جيل الصحابة y جيلاً قرآنياً فريداً ، فتح العالم بنور القرآن ، وكان كل منهم نموذجاً حياً لهدي القرآن الكريم ، تلاوةً وحفظاً ، وفهماً وتدبراً ، والتزاماً وسلوكاً .

ومصداق ذلك ما رواه الإمام الدينوري عن ابن إسحاق الفزاري قال : (كان أصحاب رسول الله e لا يثبتُ لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء ، فقال هِرَقْل وهو على إنطاكية لما قدمت مُنْهَزِمةُ الروم : أخبروني ويلكم عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم ؟ قالوا : بلى. قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن. قال : فما بالكم تنهزمون ؟.

فقال شيخ من عظمائهم : مِن أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ، ونزني ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونغصب ونظلم ، ونأمر بما يُسخط الله وننهى عما يُرضي الله ، ونُفسد في الأرض . فقال : أنت صدقتني)[٢٢٠] .

وفي رواية أخرى أنه لما نزل المسلمون بناحية الأردن أرسل هرقل إليهم رجلاً من نصارى العرب للتجسس عليهم ومعرفة أخبارهم فرجع إليه فقال: (جئتك من عند رجالٍ دقاقٍ ، يركبون خيولاً عتاقاً ، أمَّا الليل فرهبان ، وأما النهار ففرسان ، يريشون النَبل ويبرونها ، ويثقفون القنا ، لو حدَّثتَ جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر .قال : فالتفت إلى أصحابه ، وقال :أتاكم منهم ما

(٢١٩) ينظر التفصيل في كتاب (الرسول e المعلم وأساليبه في التعليم)، للشيخ عبد الفتاح أبو غدة .

(٢٢٠) المجالسة وجواهر العلم للإمام الدينوري - ٤ /٩١ ، وأورده الإمام ابن كثير في البداية والنهاية ٧/ ١٥ .

لا طاقة لكم به)[٢٢١] .

وستطالع بنفسك ـ أيها القارئ اللبيب والطالب النجيب ـ مشاهد من حياة هذا الجيل القرآني في ثنايا القسم الثاني من هذا الكتاب ، عند الحديث عن تراجم أبرز قراء الصحابة وجهودهم المباركة في تعليم القرآن الكريم والعناية به .

أسئلة للدرسين التاسع والعاشر

س١ - إذا كنتَ معلماً للقرآن الكريم، فما هي الوسائل التي تتبعها مع طلاب حلقتك لتجمع بين ترسيخ الإيمان وتعليم القرآن ؟

س٢ - لماذا أصبح الخشوع والتأثر نادراً اليوم عند سماع آيات القرآن الكريم أو تلاوتها ، وما هي الوسائل التي تجعلنا ممن وصفهم الله سبحانه بقوله :

{ ? @ A B C D } .

س٣ - إتقان التلاوة وتجويدها يشمل الحذر من اللحن الجلي واللحن الخفي ، فما هو المقصود بذلك ، مع الشرح والتوضيح ؟

(٢٢١) البداية والنهاية - ١٦/٧ .

5

تراجم موجزة لأبرز الصحابة y

وجهودهم في تعليم

القرآن الكريم والعناية به

9

الدرسان الأول والثاني :.......................... أبو بكر الصديق t

الدرسان الثالث والرابع :.......................... عمر بن الخطاب t

الدرس الخامس :.......................... عثمان بن عفان t

الدرس السادس :.......................... علي بن أبي طالب t

الدرس السابع :.......................... مصعب بن عمير t

الدرس الثامن :.......................... أبي بن كعب t

الدرسان التاسع والعاشر :.......................... عبد الله بن مسعود t

الدرس الحادي عشر :.......................... أبو موسى الأشعري t

الدرس الثاني عشر :.......................... معاذ بن جبل t

الدرس الثالث عشر :.......................... أبو الدرداء t

الدرس الرابع عشر :.......................... زيد بن ثابت t

الدرس الخامس عشر :.......................... عبد الله بن عباس t

الدرس السادس عشر:.......................... صحابة آخرون (١)

[أبو عبيدة بن الجراح - سالم مولى أبي حذيفة - عبادة بن الصامت - أبو سعيد الخدري]

الدرس السابع عشر:.......................... صحابة آخرون (٢)

[أنس بن مالك - أبو هريرة - عبد الله بن عمر]

الدرس الثامن عشر:.......................... صحابة آخرون (٣)

[عبد الله بن عمرو بن العاص - عمرو بن حزم - سلمان الفارسي - عبد الله بن الزبير – عبد الله بن السائب - قيس بن السكن]

e

حياة الصحابة y حافلة بالعطاء والخير والفداء ، ومهما أفاض الباحث في الحديث عن جهودهم وجهادهم فلن يوفيَهم حقَّهم ، وسيبقى القلم متعثراً مهما تدفَّق مِداده ، وَجِلاً من التقصير في عرض سيرتهم وتاريخهم المجيد مهما سطَّر من صفحات .

ولقد توقَّفت طويلاً لأحسم النزاع في نفسي بين جانبين مهمين :

الجانب الأول : أنَّ هذه الدروس تُعدُّ منهجاً للمراكز القرآنية ، مما يقتضي مني الاختصار ، والاكتفاء بنماذج معدودة لبيان جهود الصحابة في تعليم القرآن الكريم والعناية به .

الجانب الثاني : أن الحديث عن هؤلاء الصحابة الكرام وبيان مآثرهم ومواقفهم وجهودهم وأقوالهم وتجلية صفحات حياتهم المشرقة يعدُّ أمراً مهماً للشباب في عصرنا الحاضر عموماً ، ولطلاب القرآن الكريم بشكل خاص ، بعد أن انساق الناس وراء أهل الضلال وجعلوهم قدوة لهم وتركوا التأسي والاقتداء بالرسول e وصحابته الكرام .

ثم حسمت الأمر في نفسي قائلاً لها : ألم تشعري يا نفس بالطمأنينة والراحة وإشراقة الروح عند مطالعة سير هؤلاء العظام والحديث عنهم وبيان مآثرهم ؟!

فلماذا أَحرم القراء والدارسين من هذه المتعة الروحية وإشراقة النفس في عصر أظلمت فيه النفوس ؟

ولهذا جاءت دروس الفصل الثاني من هذا المنهج أوسع مما سبق في الفصل الأول ، ويمكن للمدرس أن يختار من موضوعات هذه الدروس ما يناسب مستويات الدارسين والوقت المتاح ، كما يمكنه أن يزيد في بعض الجوانب حسب أهميتها بالرجوع إلى المصادر من كتب الحديث والسيرة والتراجم .

والمهم أن لا يكون هذا الكتاب منهجاً نظرياً للدراسة والحفظ ، بل ينبغي أن يكون منهجاً حياً يتفاعل فيه المدرس مع طلابه ، ويعيشون في رحابه ساعاتٍ روحانيَّةً مشرقةً ، يتذوَّقون فيها حلاوة الإيمان ، وقلوبهم عامرة بمحبة الله ورسوله e وأصحابه الكرام y .

فهيا بنا نطالع صفحاتٍ من سيرة هؤلاء الرجال الأماجد ، وما بذلوه من جهود مباركة في تعليم القرآن الكريم والعناية به :

الدرس الأول

أبو بكر الصديق t (١)

لمحات من حياته t [٢٢٢]:

هو الصحابي الجليل عبد الله بن أبي قحافة، كنيته أبو بكر، يلتقي نسبه مع الرسول e في جدهما السادس (مرَّة بن كعب).

- ولد بعد ولادة النبي e بسنتين وأشهر ، ونشأ بمكة ، وكان من وجهاء قريش ، وكان في الجاهلية تاجراً ذا خُلقٍ ومعروف ، كما كان صاحباً وصديقاً للرسول e قبل البعثة .

- سارع إلى الإسلام دون تردد ، فكان أول الرجال إسلاماً ، وأسلم على يده عدد من الصحابة السابقين ، واشترى بماله سبعة من الصحابة الأرقاء الذين كان كفار قريش يعذبونهم ، ثم أعتقهم t ، ومنهم بلال بن رباح t .

- **لُقِّب بالصدِّيق** ؛ لأنه بادر إلى تصديق الرسول e ليلة الإسراء ، حينما كذَّب بذلك المشركون وأسرعوا إلى أبي بكر قائلين : انظر ماذا يقول صاحبك ، فقال t قولته الشهيرة : (لئن قال ذلك لقد صدق) ، قالوا : أتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : (نعم ، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة) [٢٢٣] .

- **دافع عن الرسول e وكانت له في ذلك مواقف مشهودة** ، منها حادثة اعتداء المشركين على الرسول e في المسجد الحرام ، فأسرع أبوبكر t يدافع عنه ويقول : { K L M N O P Q R S T U } [٢٢٤] ، فتحولوا إلى أبي بكر يضربونه ويشدُّون شعره ، حتى سال الدم من مفرق رأسه

---

(٢٢٢) ينظر : اتحاف الورى بأخبار أم القرى ١/ ١٨٠ ، وطبقات ابن سعد ٣/ ١٦٩، والبداية والنهاية ٣/ ٢٦ ، وشرح صحيح مسلم للنووي ١٥/ ١٤٨ .

(٢٢٣) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٢ وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

(٢٢٤) سورة غافر / آية ٢٨ .

وأغمي عليه ، وحُمِل إلى بيته ، وهم لا يشكُّون في موته من شدة ما أصابه ، فما أفاق إلا آخر النهار ، فكان أول ما قال : **ما فعل رسول الله e** ؟ قالوا : بخير . قال : والله لا ذقتُ طعاماً ولا شراباً حتى أرى رسول الله e [٢٢٥] .

- **نال شرف صحبة النبي e في الهجرة إلى المدينة** ، وبات معه في الغار في طريق الهجرة ، وكانت له ولأبنائه تضحيات كبيرة معلومة حفلت بأخبارها كتب السيرة والتراجم .

- وفي المدينة المنورة **كان t مؤازراً للنبي e وملازماً له ، وشهد معه الغزوات كُلَّها** ، وكان يحمل رايته في غزوة تبوك ، وأمره الرسول e أن يحج بالمسلمين في السنة التاسعة للهجرة ، وكان أحبَّ الرجال إلى رسول الله e .

- عندما اشتد المرض بالرسول e أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ، فقالت عائشة : يارسول الله إنَّ أبا بكر رجل رقيق ، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعهُ ، فلو أمرتَ غير أبي بكر ، فقال: (ليُصلِّ بالنَّاس أبوبكر)[٢٢٦] .

وفي هذا تأكيد من الرسول e على فضل أبي بكر ومنزلته وإرشاد للمؤمنين ليختاروه خليفةً بعد وفاته e .

- فلما توفي الرسول e كان له موقف لا يُنسى في تهدئة الناس الذين اشتدَّ بهم الخطب ، حتى أنكر بعضهم أن يكون الرسول e قد توفي ، ومنهم عمر t ، فقام أبوبكر t فحمد الله وأثنى عليه وقال : (ألا من كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت) ثمَّ تلا قوله تعالى : { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ }[٢٢٧] .

وقوله عز وجل : { C D E F G H I J K M N O P Q R S U V W X Y Z [\ ^ _ ` }[٢٢٨] فنشج[٢٢٩] الناس

---

(٢٢٥) انظر تفصيل القصة في البداية والنهاية لابن كثير - ٣ / ٣٠ ، وقد روى البخاري بعضاً منها في صحيحه - رقم / ٤١٨٧ .

(٢٢٦) رواه البخاري - رقم / ٦٣٣ ، ومسلم - رقم / ٤١٨ .

(٢٢٧) سورة الزمر / آية ٣٠ .

(٢٢٨) سورة آل عمران / آية ١٤٤ .

يبكون) [٢٣٠] .

قال عبدالله بن عباس t : (والله لكأنَّ النَّاس لم يعلموا أنَّ الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبوبكر ، فتلقاها منه النَّاس كلهم ، فما أسمعُ بشراً من النَّاس إلا يتلوها) [٢٣١] .

- **بويع t بالخلافة بعد وفاة النبي e** ، وكانت له وقفات حازمة ضد المرتدِّين حتى كسر شوكتهم ، كما وجَّه جيوش الفاتحين نحو العراق والشام ، ففتحوا في عهده كثيراً من البلدان والمدن .

- **كانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال** ، ولَّما أحسَّ بدنوِّ الأجل استشار أجلاَّء الصحابة y في أن يولي بعده عمر بن الخطاب t فأثنوا عليه خيراً وأقروا بذلك .

- توفي t في الثامن من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة ، وعمره ثلاث وستون ، وقد توفي الرسول e أيضاً وهو ابن ثلاث وستين [٢٣٢] .

- لم يترك أبوبكر بعد وفاته من المال إلا شيئاً يسيراً ، فلما علم عمر بذلك قال : **(يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده)**[٢٣٣] .

- **قال عنه حسان بن ثابت t :**

إذا تذكـرتَ شَـجواً من أخـي ثقـةٍ
فاذكر أخـاكَ أبــا بكرٍ بمــا فعـلا
خـيرُ البـــريـة أتقاهـــا وأعدلهـــا
بعـــد النـــبي وأوفاهـــا بمـا حَمـلا
الثـــانيَ التـــاليَ المحمـــودَ مشـــهدُه
وأولُ الناس حقاً صدَّق الرُسـلا [٢٣٤]

(٢٢٩) النشيج : بكاء معه صوت ، ونشج الباكي إذا غصَّ البكاء في حلقه . النهاية ٥/ ١٢٥ .

(٢٣٠) رواه البخاري - رقم / ٣٤٦٧

(٢٣١) رواه البخاري - رقم / ٤١٨٧ .

(٢٣٢) صحيح البخاري - رقم / ٤١٩٦ .

(٢٣٣) طبقات ابن سعد ٣/١٩٣ .

(٢٣٤) المستدرك للحاكم ٤/٦٤ ، وصفة الصفوة لابن الجوزي ١/١٠٤ .

أحاديث نبوية في فضائل أبي بكر t :

١ - عن أبي سعيد الخدري t قال : قال رسول الله e : **(إنَّ أمنَّ النَّاس عليَّ في صحبته وماله : أبو بكر ، ولو كنت متَّخذاً خليلاً غير ربي لاتَّخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوَّة الإسلام ومودَّته)** [٢٣٥] .

٢ - وعن أبي الدرداء t قال : قال النبي e : **(إنَّ الله بعثني إليكم ، فقلتم : كذبت وقال أبوبكر : صدق . وواساني بنفسه وماله)** [٢٣٦] .

٣ - وعن أبي بكر t قال : قلت للنبي e وأنا في الغار : لو أنَّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ، فقال : **(ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما)** [٢٣٧] .

٤ - وعن حذيفة بن اليمان t قال : كنا جلوساً عند النبي e فقال : **(إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم ، فاقتدوا باللذين من بعدي)** وأشار إلى أبي بكر وعمر **(واهتدوا بهدي عمار ، ما حدثكم به ابن مسعود فصدِّقوه)** [٢٣٨] .

٥ - وعن عمر بن الخطاب t قال : أمرنا رسول الله e أن نتصدَّق ، ووافق ذلك مني مالاً ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر .

قال : فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله e : **(ما أبقيت لأهلك ؟)**

قلت : مثله .

وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال : **(يا أبا بكر ، ما أبقيت لأهلك ؟)**

قال : أبقيتُ لهم الله ورسوله .

قلت : لا أسبقه إلى شيء أبداً [٢٣٩] .

---

(٢٣٥) رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة - رقم / ٣٤٥٤ ، ومسلم -رقم/ ٢٣٨٢

(٢٣٦) رواه البخاري - رقم / ٣٤٦١ .

(٢٣٧) رواه البخاري - رقم / ٣٤٥٣ ، ومسلم - رقم / ٢٣٨١ .

(٢٣٨) رواه الترمذي - رقم / ٣٨٠٤ ، وقال : حديث حسن . ورواه أحمد في المسند ٥ / ٣٨٥ .

(٢٣٩) رواه أبو داود - رقم / ١٦٧٨ ، والترمذي - رقم/ ٣٦٧٦ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٦ - وعن عبد الله بن حنطب قال : كنت مع رسول الله e فنظر إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: **(هذان السمع والبصر)** [٢٤٠] .

مواقفه المشهودة في تعليم القرآن والدعوة إليه :

ما ظنكم بهذا الصحابي الجليل الذي هو أفضل الصحابة t ، وأول من أسلم من الرجال ، وأحبَّ الصحابة إلى الرسول e وخليفته من بعده ؟

لا شكَّ أنَّ اعتناءه بالقرآن الكريم علماً وتعليماً وتدبراً وعملاً قد بلغ القمة بين الصحابة الكرام .

وأول نموذج مشرق لهذا الاعتناء جمع القرآن الكريم في مصحف واحد ، وما بذله مع الصحابة الكرام من أجل تحقيق هذا المقصد المبارك.

وهو ما سنتحدث عنه في الدرس الثاني بعد صفحات .

وأما اهتمامه بتعليم القرآن الكريم والدعوة إلى الإسلام ، فقد كان ذلك منذ الأيام الأولى بعد إسلامه ، حيث أسلم على يديه عدد من أجلاَّء الصحابة ، ومنهم خمسة من الصحابة العشرة المبشرين بالجنة : (عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله) [٢٤١] ، فقد كان يقرأ عليهم القرآن ويدعوهم إلى الإسلام حتى أسلموا .

وقد ضاقت قريش بذلك ، فأرسلت إليه طلحة بن عبيد الله ، فأتاه فقال: يا أبا بكر قم إليَّ . قال : إلامَ تدعوني ؟ قال : أدعوك إلى عبادة اللات والعزى . قال أبوبكر : مَنْ اللات والعزى ؟ قال : بنات الله . قال: فمن أمُّهنَّ ؟ فسكت طلحة .

فقال لأصحابه : أجيبوا صاحبكم . فسكتوا .

فقال طلحة : قم يا أبا بكر ، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله . فأخذه أبوبكر بيده ، فأتى به النبي e فأسلم[٢٤٢].

---

(٢٤٠) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٩ وقال حديث صحيح الأسناد ، وحسَّنه الذهبي ، ورواه الترمذي - رقم/ ٣٦٧٢ .

(٢٤١) سيرة ابن هشام ١ / ٢٥٠ .

(٢٤٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ١ / ٢١٠ .

وهذا دليل على قوَّة حجة أبي بكر وصدقه في الدعوة للإسلام ، وما كان له من تأثير كبير في نفوس النَّاس رضي الله عنه وأرضاه .

ومـمَّا يدلُّ على شدَّة تأثير أبي بكر t بالنَّاس وتأثرهم بتلاوته للقرآن الكريم ما رواه كتَّاب السِّيَر (أنَّه لَمَّا اشتدَّ به أذى المشركين بالمسلمين ، وهاجر بعض الصحابة y إلى الحبشة رغب أبوبكر t بالهجرة ، فلقيه ابن الدُّغُنَّة ، فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجَني قومي ، فأريد أن أسيح في الأرض ، وأعبدَ ربي. قال ابن الدُّغنَّة : فإنَّ مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يُخرج ، إنَّك لتكسب المعدوم ، وتصل الرحم ...؛ أنا لك جار ، ارجع واعبد ربَّك ببلدك . فرجع معه وطاف على أشراف قريش وأبلغهم بأنه أجار أبا بكر فرضوا بجواره ، وقالوا له : مُرْ أبا بكر فليعبد ربه في داره ، فليصلِّ بها وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ في غير داره .

فابتنى أبو بكر مسجداً بفناء داره ، فكان كل يوم يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فيجتمع عليه نساء المشركين وأبناؤهم يتعجَّبون منه وينظرون إليه ، **وكان أبو بكر رجلاً بكَّاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن** .

وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدُّغنَّة ، فقدم عليهم ، فقالوا له : إنا كنَّا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربَّه في داره ، وإنه قد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره ، وأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنَّا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا بهذا فانْهَه ، وإن أبى إلاَّ أن يفعل ذلك فاسأله أن يردَّ عليك ذمَّتك ، فإنَّا كرهنا أن نُخفر ذمَّتك .

فجاء إلى أبي بكر يطلب منه ألا يجهر بتلاوة القرآن الكريم ، فقال أبوبكر : إنِّي أردُّ إليك جوارك ، وأرضى بجوار الله ورسوله) [٢٤٣] .

وتُظهر هذه القصة بجلاء ما كان عليه أبوبكر الصديق t من شغفٍ بتلاوة القرآن الكريم وتدبره والخشوع والبكاء عند ترتيله مما جعل الناس يجتمعون لسماع تلاوته ويتأثرون به ، وكان ذلِك سبباً في إسلام عدد منهم .

---

(٢٤٣) إتحاف الورى بأخبار أم القرى - ١/ ٢٨٦ .

أجل .. إنه الإيمان الَّذي تغلغل في شغاف القلوب فتذوَّقت حلاوته .

وهكذا كان حال الصحابة الكرام والسلف الصالح عند تلاوتهم للقرآن الكريم : تذرف دموعهم وتخشع قلوبهم ويزدادون إيماناً y .

أخرج ابن جرير الطبري عن عبد الله بن عمرو بن العاص t قال : (لما نزلت { 9 : ; > } وأبو بكر الصديق قاعد فبكى حين أُنزلت ، فقال له رسول الله e : **(ما يبكيك يا أبا بكر ؟)** قال : يبكيني هذه السورة) (٢٤٤) .

وقد قدِم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق t أيام خلافته ، فجعلوا يقرئونهم القرآن ويبكون ، فقال أبو بكر t : **(هكذا كنَّا)** (٢٤٥) .

---

(٢٤٤) تفسير الطبري ٢٤/٥٥٣

(٢٤٥) مصنف ابن أبي شيبة ٤/٥ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ١/٣٣ .

الدرس الثاني

أبو بكر الصديق t (٢)

حفظ أبي بكر الصديق للقرآن الكريم :

لا شك أن الصحابي الجليل أبا بكر الصديق كان ممن يحفظ القرآن كله ، وكان أقرأ الصحابة ، وأعلمهم بكتاب الله U ، وأكثرهم حرصاً على تلقي القرآن الكريم من النبي e طيلة فترة ملازمته وصحبته له في مكة والمدينة .

قال الإمام ابن حجر : (والذي يظهر من كثير من الأحاديث أنَّ أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة الرسول e مع شدَّة حرص أبي بكر على تلقي القرآن من النبي e ، وفراغِ بالهِ له وهما بمكة ، وكثرةِ ملازمةِ كل منهما للآخر ، حتى قالت عائشة رضي الله عنها : إنَّ النبي e كان يأتيهم بُكرة وعشياً ، وقد صحَّ حديث : **(يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله)** [٢٤٦] ، وقد قدَّمه e في مرضه إماماً للمهاجرين والأنصار ، فدلَّ على أنه كان أقرأهم) [٢٤٧] .

جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر t :

كان القرآن الكريم مكتوباً في عهد رسول الله e ، حيث كانت تنزل الآية أو الآيات فيأمر الرسول e كتبة الوحي فيكتبونها في الرقاع وجريد النخل وغير ذلك ، وقد بلغ عدد كتَّاب الوحي اثنين وأربعين كاتباً من الصحابة y ، ومن أشهرهم (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية وزيد بن ثابت وأبي بن كعب y) ، وقد كُتب القرآن كاملاً في عهد النُّبوَّة ، لكنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد [٢٤٨] .

قال الإمام الخطابي : (إنما لم يجمع النبي e القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض

---

(٢٤٦) جزء من حديث رواه مسلم - رقم / ٦٧٣ .

(٢٤٧) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي - ١ / ٧١ .

(٢٤٨) ينظر : لمحات في علوم القرآن - د. محمد لطفي الصباغ ص / ١٠٢ .

أحكامه أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته ، ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك ، وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة ، فكان ابتداء ذلك على يد الصدِّيق بمشورة عمر رضي الله عنهما) [٢٤٩] .

وقال الإمام ابن كثير وهو يتحدث عن جمع القرآن الكريم : (وهذا من أحسن وأجلِّ وأعظم ما فعله الصديق t ، فإنه أقامه الله بعد النبي e مقاماً لا ينبغي لأحد من بعده ، قاتل الأعداء من مانعي الزكاة والمرتدين والفرس والروم ، ونفَّذ الجيوش ، وبعث البعوث والسرايا .. وجمع القرآن العظيم .. فجمع الصديق الخير ، وكشف الشر t) [٢٥٠] .

والسبب الحامل على هذا العمل الذي أمر به أبوبكر t : هو ما كان من مقتل عدد من قرَّاء القرآن وحفَّاظه في موقعة اليمامة ، التي دارت فيها رحى الحرب بين المسلمين وأهل الردَّة من أتباع مسيلمة الكذَّاب .

وكان عدد هؤلاء الحفاظ ينوف على السبعين ، من أجلِّهم سالم مولى أبي حذيفة t . ولقد هال ذلك المسلمين وأفزعهم ، وخافوا على القرآن كتاب الله المنزل من الضياع ، بموت الحفَّاظ ومقتلهم ، وكان أشدَّهم خوفاً وأكثرهم ارتياعاً عمر الفاروق t ، الذي هرع إلى أبي بكر t مُحذِّراً ومُنبِّهاً ، وأشار عليه أن يتدارك دين الله تعالى ، ويأمر بجمع القرآن ، ويحفظه بين دفتين قبل أن يموت أشياخ القرآن والحفَّاظ ، فيضيع على النَّاس شيء من كتاب الله عز وجل .

وقد تردَّد أبوبكر t بادئ الأمر في اقتراح عمر t ، وكان يقول : كيف أفعل شيئاً ما فعله رسول الله e ؟! [٢٥١]

ولكن عمر t ما زال يراجعه في ذلك ، ويُبيِّن له وجه المصلحة في هذا العمل ، وأنَّه يُراد به خير الأمة وحفظ الدين ، حتى شرح الله تعالى صدره لذلك ، وتجلَّت له الحكمة وتبيَّن وجه المصلحة [٢٥٢] .

---

(٢٤٩) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١ /٥٧ .

(٢٥٠) فضائل القرآن لابن كثير - ص /٢٥ .

(٢٥١) انظر تفصيل الرواية في صحيح البخاري - رقم / ٤٧٠١ .

(٢٥٢) ملخصاً من كتاب / الواضح في علوم القرآن ، للدكتور مصطفى البغا ، ومحيي الدين مستو - ص / ٨٠ وما بعدها .

ولهذا قال علي t : (**رحم الله أبا بكر ، كان أعظم الناس أجراً في القرآن ، هو أول من جمعه بين اللوحتين)** [٢٥٣] .

نموذج لحرصه t على تعليم معاني القرآن الكريم .

عن قيس بن حازم t قال : قال أبوبكر t بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا أيها الناس ، إنَّكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها : { ; < = > ? A B C D E F } [٢٥٤]. وإنَّما سمعنا رسول الله e يقول : (**إنَّ النَّاس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب)**[٢٥٥] .

فانظر كيف انبرى الصديق t مدافعاً عن كتاب الله عز وجل موضحاً لمعاني آياته ؛ خشية أن يتبادر إلى بعض الأذهان فهمها بشكل غير صحيح ، واتخاذها ذريعة للتخاذل والتخلي عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

نماذج من أقواله ووصاياه :

١ - لما تولَّى الخلافة خطب النَّاس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (أما بعد أيها النَّاس ، قد وُلِّيتُ أمركم ولست بخيركم ، ولكن نزل القرآن وسنَّ النبي e السُّنن فعلَّمَنَا فعَلِمنا ، وأنَّ أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وأنَّ أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق .

أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوِّموني) [٢٥٦] .

٢ - لما حضر أبا بكر الموت دعا عمر t وقال له : (اتق الله يا عمر واعلم أنَّ لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وأنه لا يقبل نافلة حتى تُؤدى الفريضة ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت

---

(٢٥٣) معرفة الصحابة - للإمام أبي نعيم الأصبهاني - ١/ ١٧٩ .

(٢٥٤) سورة المائدة / آية ١٠٥ .

(٢٥٥) رواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن - رقم / ٣٠٥٩ ، وأبو داود - رقم / ٤٣٣٨ ، وابن ماجه - رقم / ٤٠٠٥ ، وذكره الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٧ ، وقال : هذا الحديث جيد الإسناد .

(٢٥٦) طبقات ابن سعد - ٣/ ١٨٣ .

موازينة يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم ، وحُقَّ لميزانٍ يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفَّت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة باتِّباعهم الباطل في الدنيا وخفَّته عليهم ، وحُقَّ لميزانٍ يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً .

وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة ، فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيِّئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت : إني لأخاف أن لا ألحق بهم .

وأن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، وردَّ عليهم أحسنها ، فإذا ذكرتهم قلت : إني أخاف أن أكون مع هؤلاء ، وذكر آية الرحمة وآية العذاب ، فيكون العبد راغباً راهباً ، ولا يتمنَّى على الله غير الحق ، ولا يقنط من رحمته) [٢٥٧] .

٣- وعن عبد الله بن حكيم قَالَ : خطبنا أبو بكر الصديق ، فحمد الله وأثنى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أهل ، ثم قَالَ : (أوصيكم بتقوى الله ، وأن تثنوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أهل ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة ، فإن الله تعالى أثنى عَلَى زكريا وأهل بيته فقال : { ﴿ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ } [٢٥٨] .

ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ عَلَى ذَلِكَ مواثيقكم ، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي ، **وهذا كتاب الله فيكم ، لا يطفأ نوره ، ولا تنقضي عجائبه** ، فاستضيئوا بنوره ، وانتصحوا كتابه ، واستضيئوا منه ليوم الظُّلمة ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا خلقكم لعبادته ، ووكل بكم كراماً كاتبين ، يعلمون مَا تفعلون .

ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أَجَل قد غُيِّب عنكم علمُه ، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عملٍ لله فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذَلِكَ إِلاَّ باذن الله ، سابقوا في آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم ، فتردكم إلى أسوأ أعمالكم ، فإن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم ، فأنهاكم أن تكونوا

---

(٢٥٧) حياة الصحابة ٢/ ١١٤ .

(٢٥٨) الأنبياء : ٩٠ .

أمثالهم ، فإن وراءكم طالباً حثيثاً أمرُه سريع) [٢٥٩] .

٤ - ودخل عليه سلمان t وهو يعاني سكرات الموت ، فقال لَهُ : يا خليفة رسول الله اعهد إليَّ عهداً ؛ فإني لا أراك تعهد إليَّ بعد يومي هذا .

قال : (أجل يا سلمان ، إنَّها ستكون فتوحٌ ، فلا أعرفنَّ ما كان حظك منها ما جعلت في بطنك أو ألقيته على ظهرك ، واعلم أنَّه من صلَّى الصلوات الخمس فإنه يصبح في ذمة الله ، ويمسي في ذمة الله ، فلا تقتلنَّ أحداً من أهل ذمَّة الله فيطلبك الله بذمته ، فيَكُبَّكَ الله على وجهك في النار) [٢٦٠] .

مشهد الوداع :

دخلت عليه ابنته عائشة رضي الله عنها وهو يعالج سكرات الموت، فتمثَّلت هذا البيت :

لعمركَ ما يُغني الثراء عن الفتى
إذا حشرَجَتْ يوماً وضاق بها الصدر

فنظر إليها كالغضبان ، ثم قال : ليس كذلك يا أم المؤمنين ، ولكن قولي : { C D E F F E D C H I J K L }[٢٦١].

وفي رواية أنه قيل له : ألا ندعو الطبيب ؟ فقال : قد رآني ، فقال : **(إني فعال لما أريد)** .

وَقَدْ أوصى t أن يُدفن إلى جنب رسول الله e ، ولما توفي ارتجّت المدينة بالبكاء وصلىّ عَلَيْهِ عمر t ، ورثاه علي t بخطبة طويلة قَالَ فِيهَا : (يرحمك الله يا أبا بكر ، كنت إلفَ رسول الله e وأُنسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته ، كنت أول القوم إسلاماً ، وأخلصهم إيماناً ، وأشدهم يقيناً ... وأشبههم برسول الله e هدياً وسمتاً ورحمة وفضلاً ، وأشرفهم منزلة ، وأكرمهم عَلَيْهِ ، وأوثقهم عنده ، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله خيراً ، كنت عنده بمنزلة السمع للبصر ... فوالله لن يصاب المسلمون بَعْدَ

---

(٢٥٩) تاريخ الخلفاء للسيوطي - ص/٨٣ .

(٢٦٠) أخرجه الإمام أحمد في الزهد - رقم /٥٧٠ ، وابن سعد في الطبقات - ٣/١٩٤ .

(٢٦١) طبقات ابن سعد - ٣/١٩٦ ، والآية في سورة ! / آية ١٩ .

رسول الله e بمثلك أبداً ...) [٢٦٢] .

رحم الله الصدِّيق رحمة واسعة ، وجزاه عن الإسلام

وأهله خير الجزاء .

(٢٦٢) الرياض النظرة في مناقب العشرة للمحب الطبري - ١/ ٢٦٢ .

أسئلة للدرسين الأول والثاني

س١ - كانت لأسرة أبي بكر t مواقف مشرِّفة في حادثة الهجرة .
فما هي تلك المواقف ؟ وما هي الدروس والعبر المستفادة منها ؟

س٢ - التلاوة التي تهز النفوس هي التلاوة الخاشعة ، وهي التي أفزعت قريشاً ، وكانت سبباً في إسلام عدد من الصحابة .
فما هي القصة الدالة على ذلك بإيجاز ؟
ومن هم الصحابة المبشرون بالجنة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق t ؟

س٣ - انبرى الصديق مدافعاً عن كتاب الله عز وجل موضحاً لمعنى آية منه . فماهي تلك الآية ؟
وما هو الفهم الخاطئ المتبادر إلى بعض أذهان الناس في معناها ؟
وكيف نردُّ عليه ؟

الدرس الثالث

عمر بن الخطاب t (١)

لمحات من حياته[٢٦٣] t :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي ، أبو حفص t أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وثاني الخلفاء الراشدين ، وأحد أصهار النبي e ، ومن كبار علماء الصحابة وزهادهم) .

ولد قبل بعثة النبي e بثلاثين سنة ، لقَّبه الرسول e : (الفاروق) ؛ لأنه فرق بين الحق والباطل بإسلامه [٢٦٤] ، وكان المسلمون يوم أسلم عمر تسعة وثلاثين رجلاً وامرأة بمكة ، فكمَّلهم عمر أربعين [٢٦٥] .

- لما أسلم t سأل متحدياً : أيُّ قريش أنقل للحديث ؟ فقيل له : جميل بن معمر ، فغدا عليه وقال له : أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد ؟ فقام جميل على باب المسجد وصرخ : ألا إن ابن الخطاب قد صبأ . فقال عمر : كذبت لكنني قد أسلمت . فثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى أعيا ـ تعب ـ وقعد ، فقاموا على رأسه وهو يقول لهم : افعلوا ما بدا لكم [٢٦٦] .

- لما أذن الرسول e لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة هاجر علانية ومعه عشرون من أصحاب رسول الله e [٢٦٧] .

- تزوج الرسول e ابنة عمر السيدة حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها

- استخلفه أبو بكر t ليكون خليفة بعده ، فحجَّ بالنَّاس عشر سنين متوالية ، وقام بأعمال عظيمة

---

(٢٦٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٤ /٤٨٤ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص/٨٨ .

(٢٦٤) سبق الحديث عن قصة إسلام عمر في الدرس الخامس من الفصل الأول ص٥٢ .

(٢٦٥) المجالسة وجواهر العلم ٢ / ٥٠ .

(٢٦٦) حياة الصحابة ١ /٢٨٥

(٢٦٧) تاريخ عمر بن الخطاب - لابن الجوزي - ص / ٣١ .

وجهود كبيرة طيلة خلافته .

- طعنه أبو لؤلؤة المجوسي يوم الاثنين السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ومكث ثلاثاً ثمَّ توفي رحمه الله ، ودُفن بجوار رسول الله e وأبي بكر t في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها .

وكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال ، وتوفي وعمره ثلاث وستون سنة [٢٦٨] ، مثل عُمْر الرسول e وصاحبه أبي بكر t ، وهذا من عجائب الأقدار الإلهية .

- من أوليات عمر t أنه أول من سُمِّي أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ من الهجرة ، وأول من اتخذ بيت المال [٢٦٩] ، وكان يقول : (إنِّي أنزلتُ نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم من ماله إن أيسرتُ استعففت ، وإن افتقرت أكلتُ بالمعروف ، فإن أيسرتُ قضيتُ) [٢٧٠] .

فضائله :

عمر بن الخطاب t أفضل هذه الأمة بعد أبي بكر الصديق t ، وقد وردت في فضائله أحاديث نبوية كثيرة ، منها :

١ - عن سعد بن أبي وقَّاص t قال : قال رسول الله e : (**يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً** [٢٧١] **، إلا سلك فجّاً غير فجِّك**) [٢٧٢] .

٢ - وعن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : (**لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم محدَّثون ، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر**) [٢٧٣] .

والمحدَّثون هم : الملهَمون ، والملهَم : الذي يُلقى في نفسه الشيء فيخبِر به فراسةً [٢٧٤] .

٣-وعن أبي هريرة t قال : قال رسول الله e : (**إنَّ الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**) [٢٧٥] .

---

(٢٦٨) المجالسة وجواهر العلم ٢ /٥٣ .

(٢٦٩) انظر التفصيل في تاريخ الخلفاء للسيوطي - ص/١٠٧ .

(٢٧٠) المرجع السابق - ص / ١٠٩ .

(٢٧١) الفج : الطريق الواسع .

(٢٧٢) رواه البخاري - رقم / ٣١٢٠ ، ٣٤٨٠ . ومسلم رقم / ٢٣٩٦ .

(٢٧٣) رواه البخاري - ومسلم / ٢٣٩٨ .

(٢٧٤) انظر جامع الأصول ٨/ ٦١٠ .

٤- وعن جابر t ، عن النبي e قال : (**دخلت الجنَّة فرأيت فيها داراً أو قصراً ، فقلت : لمن هذا ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب ، فأردت أن أدخل ، فذكرت غيرتك**) فبكى عمر وقال : أيْ رسول الله ؟ أوَ عليك أغار [٢٧٦] .

وفي رواية : (**بينما أنا نائم إذ رأيتني في الجنة ، فإذا إمرأة توضأ إلى جانب قصر ، فقلت لمن هذا ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب ...**) [٢٧٧] .

٥- وعن عقبة بن عامر قال : سمعت النبي e يقول : (**لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب**) [٢٧٨] .

٦- وعن عمر بن الخطاب t قال : استأذنت رسول الله e في العمرة فأذن لي ، وقال لي : (**لا تنسنا يا أُخَيَّ من دُعائك**) أو قال : (**أَشْرِكْنَا يا أُخيَّ في دعائك**) قال عمر : فقال كلمة ما يسُرني أنَّ لي بهذا الدنيا [٢٧٩] .

٧- وعن ابن مسعود t قال : (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب t)[٢٨٠] ، وقال أيضاً t : (إنَّ عمر كان أعلمنا بالله ، وأقرأنا لكتاب الله ، وأتقانا لله ، والله إنَّ أهل بيتٍ من المسلمين لم يدخل عليهم حزن على عمر حين أُصيب لأهل بيت سوء) [٢٨١] .

مواقفه في تعلم القرآن الكريم وتعليمه :

لقد كان اهتمام عمر t بتعلم القرآن الكريم كبيراً ، وكان حريصاً على أن لايفوته شيء من الوحي

---

(٢٧٥) رواه الترمذي - رقم / ٣٦٨٢ ، والإمام أحمد في المسند ٤٠١/٢ ، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٦/٩) .

(٢٧٦) رواه مسلم - رقم / ٢٣٩٤ .

(٢٧٧) رواه مسلم - رقم / ٢٣٩٥ .

(٢٧٨) رواه الترمذي رقم / ٣٦٨٦ ، وقال : حسن غريب . والإمام أحمد في المسند ١٥٤/٤، والحاكم في المستدرك ٨٥/٣ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٢٧٩) رواه أبو داود - رقم / ١٤٩٨ ، والترمذي - رقم / ٣٥٦٢ ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٢٨٠) رواه البخاري - رقم /٣٦٥٠ .

(٢٨١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٨٠/٧) والطبراني في الكبير (١٧٧/٩) .

الذي ينزل على الرسول الأمين e ، ولهذا كان يتناوب مع أحد جيرانه في حضور مجلس الرسول e لكي يتمكن من تعلم ما ينزل من القرآن الكريم بالإضافة لأعماله الأخرى من التجارة والبيع ونحو ذلك .

وقد أفرد البخاري في صحيحه في كتاب العلم باباً بعنوان : (التناوب في العلم) روى فيه بسنده عن عبد الله بن عباس t ، عن عمر t قال : (كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أميَّة بن زيد ، وهي من عوالي المدينة ، **وكنَّا نتناوب النزول على رسول الله e ، ينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلتُ جئتُه بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك)** [٢٨٢] .

ومن مناقبه t أنَّ النبي e اختَّصه بالبشارة عندما نزلت سورة الفتح ، فاستمع إلى تلك الآيات من فم الرسول e ، فقد روى البخاري أنَّ رسول الله e كان يسير في بعض أسفاره ، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً ، فسأله عمر عن شيء فلم يجبه وكرر السؤال ثلاثاً فلم يجبه ، فحرَّك بعيره ليتقدَّم أمام النَّاس ، فناداه رسول الله e وقال : (**لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس ، ثمَّ قرأ :** { ! " # $ % } [٢٨٣] .

وهكذا كانت حياة عمر t حافلة بتعلم القرآن الكريم وتعليمه ، وكان وقَّافاً عند كتاب الله تعالى يلتزم أوامره ويجتنب نواهيه ، وقد اشتهر t بأنَّ عدداً من آيات القرآن الكريم نزلت توافق قوله ؛ روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك t ، أنَّ عمر t قال : (وافقت ربي في ثلاث ؛ قلت : يا رسول الله ، لو اتَّخذنا من مقام إبراهيم مصلًّى ؟ فنزلت { ´ µ ¶ ¸ مُصَلًّى } [٢٨٤] . وقلت : يارسول الله ، يدخل على نسائك البرُّ والفاجر ، فلو أمرتهنَّ أن يحتجبن ؟ فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي e في الغيرة ، فقلت : { x y z } | { ~ خَيْرًا مِّنكُنَّ } [٢٨٥] فنزلت كذلك) .وفي رواية أنَّ عمر

---

[٢٨٢] رواه البخاري - رقم /٨٩ .

[٢٨٣] رواه البخاري - رقم / ٣٩٤٣ ، ٤٥٥٣ .

[٢٨٤] البقرة : ١٢٥

[٢٨٥] الطلاق : ٥

t قال : (وافقت ربي في ثلاث : في مقام إبراهيم ، وفي الحجاب ، وفي أسارى بدر) [٢٨٦] .

وفي خلافته كان يحذِّر حفَّاظ القرآن الكريم من أن يركنوا إلى الدنيا ، فقد خطب t فقال : (يا أيها النَّاس إنِّي قد أتى عليَّ حين وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن إنما يريد به الله وما عنده ، ألا وقد خيِّل إليَّ أنَّ أقواماً يقرؤون القرآن يريدون به ما عند الناس ، ألا فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم) [٢٨٧] .

إرشاده t لتعلم سور معينة :

كان عمر t يرشد الناس لتعلم سور معينة من القرآن الكريم لأهميتها والحاجة إلى ما تحويه من أحكام شرعية قد وردت عدة روايات في ذلك [٢٨٨] .

عن المِسْوَر بن مخرمة أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : (تعلموا سورة البقرة ، وسورة النساء ، وسورة المائدة ، وسورة الحج ، وسورة النور ، فإنَّ فيهنَّ الفرائض) .

وعن حارثة بن مُضرِّب قال : (كتب إلينا عمر أن تعلَّموا سورة النساء والأحزاب والنور) .

وفي رواية : (تعلَّموا سورة براءة ، وعلموا نساءكم سورة النور) .

وهكذا يتَّضح اهتمامه t بربط حياة الناس بالقرآن الكريم وإرشادهم إلى تعلم أحكامه والتمسك بهديه

إرساله القراء لأهل الشام :

روى سعد بن إسحاق عن محمد بن كعب ، قال : (جمع القرآن خمسة من الأنصار : معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وأُبي بن كعب ، وأبو أيوب الأنصاري y .

فلما كان زمن عمر كتب إليه يزيد بن أبي سفيان ، إنَّ أهل الشام قد كثروا وملؤوا المدائن ، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم ، فأعنِّي برجال يعلِّمونهم ، فدعا عمر الخمسة ، فقال : إنَّ إخوانكم قد استعانوني من يعلِّمهم القرآن ، ويفقِّههم في الدين ، فأعينوني يرحمكم الله بثلاثة منكم إن أحببتم ، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا .

---

(٢٨٦) رواه مسلم - رقم / ٢٣٩٩ .

(٢٨٧) البيان والتبيين للجاحظ ١٣٨/٣ .

(٢٨٨) حياة الصحابة ٢٢٧/٣ .

فقالوا : ما كنا لنتساهم [289] ، هذا شيخ كبير ـ لأبي أيوب ـ ، وأما هذا فسقيم ـ لأُبي ـ فخرج معاذ ، وعبادة ، وأبو الدرداء .

فقال عمر : ابدؤوا بحمص ، فإنَّكم ستجدون النَّاس على وجوه مختلفة ، منهم من يَلْقَنُ [290] ، فإذا رأيتم ذلك ، فوجَّهوا إليه طائفة من الناس ، فإذا رضيتم منهم ، فليقم بها واحد ، وليخرج واحد إلى دمشق ، والآخر إلى فلسطين .

قال : فقدموا حمص فكانوا بها ، حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عُبادة ابن الصامت ، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق ، ومعاذ إلى فلسطين)[291] .

وهكذا نلاحظ أنَّ عمر t لم يكتف بإرسال وفد القراء إلى بلاد الشام ، وإنَّما زوَّدهم قبل ذلك بتوجيهاته ، وحدَّد لهم خطَّة عملهم ، فكان كل واحد من هؤلاء فتحاً مبيناً للبلاد التي نزل فيها ، وانتشر تعليم القرآن الكريم بسببهم في مختلف البلدان .

ولابدَّ من التوقف عند منهج عمر t في اختيار حمص لتكون منطلقاً للصحابة الثلاثة في تعليم القرآن ، وتوجيهه t أن ينظروا من أهلها من يكون أسرع للفهم والتلقي ، لكي يوجهوا إليه طائفة من الناس يتعلمون القرآن لديه ، بإشراف هؤلاء الصحابة حتى يطمئنوا لتعلم عدد من أهلها بحيث يمكن اعتمادهم للقيام بتعليم القرآن لأهل بلدهم ، وبذلك تكون جهود الصحابة الثلاثة قد أثمرت ، ومع ذلك **لابدَّ من المتابعة واستمرار الإشراف على تعليم القرآن ، ولذلك أوصاهم عمر t بأن يبقى أحدهم بحمص لهذه المهمة .**

تكريمه لحفَّاظ القرآن الكريم :

كان عمر t حريصاً على تكريم حفظة القرآن وقرائه وتقديمهم على غيرهم .

فقد روى مسلم عن عامر بن واثلة أنَّ نافع بن الحارث لقي عمر بعسفان ، وكان عمر استعمله على

---

(289) نتساهم : أي نقترع لاختيار ثلاثة منا .

(290) يلقن : أي يفهم ، وتلقنه : فهمه ، ولقَّنه إيَّاه : فهَّمه . ينظر : لسان العرب (ل ق ن) .

(291) طبقات ابن سعد ٢/٣٥٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٤٤ .

أهل مكة ، فقال : من استعملت على أهل الوادي ؟ قال : ابن أبزى . قال : ومن ابن أبزى ؟ قال : مولىً من موالينا . قال : فاستخلفت عليهم مولىً ؟ قال : إنه قارئ لكتاب الله عز وجل ، وإنه عالم بالفرائض . قال عمر : أما إنَّ نبيَّكم e قد قال : (**إنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ، ويضع به آخرين**)[٢٩٢] .

وفي رواية أن نافع بن الحارث قال لعمر : (وجدته أقرأهم لكتاب الله ، ومكة أرض محتضَرَة[٢٩٣] ، فأحببت أن يسمعوا كتاب الله من رجلٍ حسن القراءة. قال : نِعم ما رأيت ، إن عبد الرحمن بن أبزى ممن يرفعة الله بالقرآن) [٢٩٤] .

وعن الزهري أنه قال : (**كان جلساء عمر أهل القرآن كهولاً كانوا أو شباباً**) [٢٩٥] .

وقد أرسل عمر t إلى أهل البصرة الصحابي الجليل أبا موسى الأشعري والياً عليهم ، وأمره أن يعلمهم القرآن ، فلم يأت عليه شهران حتى ختم سبعة منهم القرآن ، فأوفدهم إلى عمر بن الخطاب ، فلما قدموا عليه فرض لهم ألفين ألفين [٢٩٦] (أي : ألفين لكل واحد منهم) .

وبعد مدة أرسل الخليفة كتاباً آخر إلى أمراء الأجناد يقول فيه : (**ارفعوا إليَّ كلَّ من حمل القرآن حتى أُلحقهم في الشرف من العطاء ، وأُرسلهم في الآفاق يعلِّمون الناس**) .

فكتب إليه أبو موسى : إنَّه بلغ مَنْ قِبلي ممَّن حمل القرآن ثلاثمائة وبضعة رجال .

فكتب إليهم عمر : (بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله عمر إلى عبدالله بن قيس ومن معه من حملة القرآن :

سلامٌ عليكم ، أما بعد :

فإنَّ هذا القرآن كائنٌ لكم أجراً ، وكائنٌ لكم شرفاً وذخراً ، فاتَّبعوه ولا يتبعنَّكم ؛ فإنه من اتبعه القرآن

---

(٢٩٢) رواه مسلم - رقم / ٨١٧ .

(٢٩٣) أي يحضرها الناس للعمرة والحج .

(٢٩٤) حياة الصحابة ٣/١٣٣.

(٢٩٥) تاريخ عمر لابن الجوزي - ص / ٢١٣ .

(٢٩٦) طبقات ابن سعد ١٢٣/٧ .

زخَّ[٢٩٧] في قفاه حتى يقذفه في النار ، ومن تَبع القرآن وَرَدَ به القرآن جنَّات الفردوس ، فليكوننَّ لكم شافعاً إن استطعتم ، ولا يكوننَّ بكم ماحلاً[٢٩٨] فإنه من شفع له القرآن دخل الجنة ، ومن محل به القرآن دخل النار .

واعلموا أنَّ هذا القرآن ينابيع الهدى وزهرة العلم ، هو أحدث الكتب عهداً بالرحمن ، به يفتح الله أعيناً عُمياً ، وآذاناً صمّاً ، وقلوباً غُلفاً .

واعلموا أنَّ العبد إذا قام من الليل فتسوَّك وتوضأ ثمَّ كبَّر وقرأ، وضع الملك فاه على فِيه[٢٩٩] ويقول : اتلُ ، اتلُ ، فقد طبت وطاب لك . وإن توضأ ولم يستك حفظ عليه ولم يَعْدُ ذلك .

ألا وإنَّ قراءة القرآن مع الصلاة كنزٌ مكنون وخيرٌ موضوع ، فاستكثروا منه ما استطعتم ، فإنَّ الصلاة نور ، والزكاة برهان ، والصبر ضياء ، والصوم جنَّة ، والقرآن حجةً لكم أو عليكم .

فأكرموا القرآن ولاتُهينوه ، فإنَّ الله مُكرمٌ من أكرمه ، ومهينٌ من أهانه ، **واعلموا أنَّه من تلاه وحفظه وعمل به واتَّبع ما فيه كانت له عند الله دعوة مستجابة ،** إن شاء عجَّلها له في دنياه ، وإلا كانت ذُخراً في الآخرة ، واعلموا أنَّ ما عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا وعلى ربِّهم يتوكَّلون)[٣٠٠] .

وهكذا كانت عناية عمر t بأهل القرآن كبيرة ، وكان يغتنم كل فرصة للاحتفاء بهم وتكريمهم وتوجيههم بالوصايا وتزويد المعلمين بالنصائح التي تنفعهم في إتقان تعليم القرآن الكريم .

عن قَرَظة بن كعب t قال: (خرجنا نريد العراق ، فمشى معنا عمر بن الخطاب t إلى صِرار[٣٠١] ، فتوضأ ثم قال : أتدرون لم مشيت معكم ؟ قالوا : نعم ، نحن أصحاب رسول الله e مشيت معنا ، قال: إنكم تأتون أهل قريه لهم دويٌّ[٣٠٢] بالقرآن كدوي النحل ، فلا تبدؤوهم بالأحاديث فيشغلوكم ، جوِّدوا

---

(٢٩٧) زخَّ : أي رفع .

(٢٩٨) ماحلاً : أي خصماً مجادلاً .

(٢٩٩) أي : وضع الملك فمه على فم قارئ القرآن .

(٣٠٠) حياة الصحابة - ٢٣٣/٣ . نقلاً عن كنز العمال ٢١٧/١ .

(٣٠١) صرار : موضع يبعد عن المدينة المنورة ثلاث أميال .

(٣٠٢) دوي : صوت ليس بالعالي .

[٣٠٣] القرآن ، وأقلُّوا الرواية عن رسول الله e وامضوا وأنا شريككم) [٣٠٤] .

كما كان t مربياً حكيماً في توجيه بعض الناس إلى تعلم القرآن الكريم لتستقيم حياتهم ، ويتخلوا عن الكسل والسلبية .

أخرج ابن أبي شيبة عن الحسن قال : كان رجل يكثر غشيان باب عمر t ، فقال له : اذهب فتعلم كتاب الله . فذهب الرجل ففقده عمر ثم لقيه ، فكأنه عاتبه ، فقال : **(وجدت في كتاب الله ما أغناني عن باب عمر)** [٣٠٥] .

---

(٣٠٣) وفي رواية أخرى : جرِّدوا القرآن ، أي : لا تخلطوه بغيره حتى لا يشتبه على الناس .

(٣٠٤) رواه الحاكم في المستدرك ١/١٠٢ وصححه ووافقه الذهبي .

(٣٠٥) حياة الصحابة ٣/٢٢٧ .

الدرس الرابع

عمر بن الخطاب t (٢)

نماذج من تدبره لآيات القرآن الكريم :

- لقد كان حرص عمر t كبيراً على اتقان تعلُّم القرآن الكريم والمبادرة إلى العلم والعمل معاً ، والتفكر والتدبر عند كل آية ، ولهذا قال عبدالله بن عمر t : (تعلَّم عمر بن الخطاب البقرة في ثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزوراً) [٣٠٦] .

وما ذاك إلا لأنه t يقرأ متفكراً متدبراً خاشعاً ، يتفاعل مع كل آية وتهتز لها مشاعره ، وإليك بعض النماذج :

- عن عبدالله بن شداد قال : (سمعت عمر يقرأ في صلاة الصبح سورة يوسف فسمعت نشيجه وإني لفي آخر الصفوف ، وهو يقرأ : { إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ }) [٣٠٧] .

- وعن عبد الله بن عمير t قال : (صلَّى بنا عمر بن الخطاب صلاة الفجر ، فافتتح سورة يوسف فقرأها ، حتى إذا بلغ { µ ¶ ﮊ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ } بكى حتى انقطع فركع) [٣٠٨] .

- وعن الحسن قال : (كان عمر بن الخطاب يمر بالآية من وِرْدِه بالليل فيبكي حتى يسقط ويبقى في البيت حتى يُعاد للمرض)[٣٠٩] .

- وعنه أنه قال : (قرأ عمر بن الخطاب t : { إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن © } [٣١٠] فربا [٣١١]

---

(٣٠٦) تاريخ عمر بن الخطاب - لابن الجوزي - ص / ٢١٤ .

(٣٠٧) تاريخ عمر بن الخطاب - ص / ١٩٢ .

(٣٠٨) حياة الصحابة ٢/٦٢٣ .

(٣٠٩) رواه الإمام أحمد في كتاب/ الزهد - ٢/٢٩ ، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٥١ . والدينوري في المجالسة ٢/٣٧٦ .

(٣١٠) سورة الطور الآيتان / ٧-٨ .

(٣١١) أي : انتفخ فزعاً .

منها ربوةً عِيدَ [٣١٢]منها عشرين يوماً) [٣١٣] .

- وعن ابن عمر قال : (غلب عمرَ بن الخطاب t البكاءُ وهو يصلي بالنَّاس صلاة الصبح فسمعتُ حنينه من وراء ثلاثة صفوف)[٣١٤].

وعن عبد الله بن ربيعة قال : (صليت خلف عمر الفجر فقرأ سورة الحج وسورة يوسف قراءة بطيئة) [٣١٥].

وهذه الروايات تؤكِّد تركيز عمر t على نوع مهم من أنواع تعليم القرآن الكريم ، وهو تلاوته بخشوع وتدبر وخاصة في الصلاة ، مما يورث السكينة ويهز أعماق النفوس ، وهذا النوع من التعليم غير المباشر له أهمية كبيرة ، كما سبق بيانه عند الحديث عن المنهج النبوي الذي سار عليه الصحابة y في تعليم القرآن الكريم .

ونلاحظ في الرواية الأخيرة أنَّ عمر كان يقرأ في الصلاة قراءة بطيئة، وهذا بلا شك ضروري لكي يتمكن المصلون من تفهم المعاني وتدبرها وتذوق حلاوتها، مع ترسيخ حفظ الآيات في الصدور، وخاصة عندما تتكرر في الصلوات.

كما كانت خطبة الجمعة مجالاً لدى عمر t في تعليم الناس القرآن وتلاوته عليهم ؛ اقتداءً بهدي النبي e :

- روى البخاري عن عمر بن الخطاب t (أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر سورة النحل حتى إذا جاء السجدة ، نزل فسجد وسجد الناس ، حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها ، حتى إذا جاء السجدة قال : يا أيها الناس ! إنَّما نمرُّ بالسجود ، فمن سجد فقد أصاب ، ومن لم يسجد فلا إثم عليه ، ولم يسجد عمر)

---

(٣١٢) أي : أصبح يعاد لمرضه .

(٣١٣) حياة الصحابة ٢/ ٦٢٣ .

(٣١٤) تاريخ عمر - ص / ١٩٢ .

(٣١٥) الرياض النضرة في مناقب العشرة - للمحب الطبري ١/ ٣٦٣ .

.[٣١٦]

قال الإمام ابن حجر رحمه الله : (في الحديث من الفوائد أنَّ للخطيب أن يقرأ القرآن في الخطبة ، وأنه إذا مرَّ بآية سجدة ينزل إلى الأرض ليسجد بها ، إذا لم يتمكَّن من السجود فوق المنبر)[٣١٧] .

غيرة عمر على كتاب الله :

عن عروة بن الزبير: أنَّ المِسوَر بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبدِ القاري حدَّثاه ، أنَّهما سمعا عمر بن الخطَّاب يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله e ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة[٣١٨] لم يقرئنيها رسول الله e ، فكِدتُ أُساوره[٣١٩] في الصلاة ، فتصبَّرت حتَّى سلَّم ، فلبَّبته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله . فقلت : كذبت ؛ فإنَّ رسول الله e قد أقرأنيها على غير ما قرأت . فانطلقت به أقوده إلى رسول الله e ، فقلت : إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها . فقال رسول الله e : **(أرسله ، اقرأ يا هشام)** ، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله e : **(كذلك أُنزلت)** ، ثمَّ قال : **(اقرأ يا عمر)**. فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله e : **(كذلك أُنزلت ، إنَّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسر منه)**[٣٢٠] .

---

(٣١٦) رواه البخاري رقم / ١٠٢٧ ، في سجود القرآن .

(٣١٧) فتح الباري : ٢/ ٦٥١ .

(٣١٨) حروف كثيرة : لغات ولهجات مختلفة .

(٣١٩) أُساوره : أثب عليه وآخذ برأسه .

(٣٢٠) رواه البخاري - رقم / ٤٧٠٦ ومسلم رقم / ٨١٨ ، وقد روى مسلم عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله e قال : (أقرأني جبريل عليه السلام على حرف واحد فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف) مسلم/ ٨٢٠ . وفي رواية لمسلم عن أبي بن كعب أنَّ النبي e أتاه جبريل عليه السلام فقال : (إنَّ الله يأمرك أن تقرأ أُمتك القرآن على حرف ، فقال : (أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإنَّ أمَّتي لا تطيق ذلك) ثم أتاه الثانية ، فقال : إنَّ الله يأمرك أن تقرأ أمَّتك على حرفين ، فقال : (أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإنَّ أمَّتي لا تطيق ذلك) ثم جاء الثالثة فقال : إنَّ الله يأمرك أن تقرأ أمَّتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : (أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإنَّ أمتي لا تطيق ذلك) ثم جاءه الرابعة فقال : إنَّ الله يأمرك أن تقرأ أمتك على سبعة أحرف ، فأيُّما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا) مسلم / ٨٢١.
قال الإمام ابن قتيبة : (ولو أنَّ كل فريق من هؤلاء ـ يعني قبائل العرب ـ أُمر أن يزول عن لغته ، وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتدَّ ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه إلا بعد رياضة نفس طويلة ، وتذليل للِّسان ، وقطعٍ للعادة ، فأراد

وهكذا حرص عمر t على التأكُّد من الرسول e خشية التهاون أو الخطأ في حرف من القرآن الكريم غَيرةً منه t على كتاب الله تعالى .

وفي خلافته t كان له موقف صارم ممن يحاولون السؤال عن متشابه القرآن لتشكيك الناس ، وإليك قصة عقوبته لرجل يقال له (صُبيغ) .

روى الدارمي عن سليمان بن يسار أنَّ رجلاً يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل الناس عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر ، وقد أعدَّ له عراجين النَّخل [٣٢١] فقال : من أنت ؟

قال : أنا عبد الله صبيغ .

فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه ، وقال : أنا عبد الله عمر ، فجعل له ضرباً حتى دمي رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين حسبك ، قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي [٣٢٢] .

وفي رواية : أنَّ صبيغاً العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر ، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب .. فقال عمر : تسأل عن محدثة .. فضربه .. وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين ، فاشتدَّ ذلك على الرجل ، فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت توبته ، فكتب عمر أن يأذن للناس بمجالسته [٣٢٣]، وذلك بعد أن زال خطره في تشكيك الناس وانشغالهم بالجدل .

وإليك قصة أخرى تدل على غيرة عمر t على كتاب الله U .

عن خالد بن عُرفطة قال : كنت جالساً عند عمر t إذ أُتي برجل من عبد القيس ، فقال له عمر : أنت

الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً .. كتيسيره لهم في الدين) . =

= وقد نبه العلماء على أنه ليس المراد بالقراءات السبع الأحرف السبعة التى ورد ذكرها عن النبي e ، وإنما المراد بها القراءات المنقولة عن الأئمة السبعة المعروفين عند القراء ، وهي داخلة في الأحرف السبعة المذكورة .

وقد استوفى الشيخ طاهر الجزائري الحديث عن هذا الأمر في كتابه (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) ص/١١٢ وما بعدها .

(٣٢١) عراجين النخل : جمع عرجون ، وهو الغصن الذي عليه طلع النخل .

(٣٢٢) رواه الدارمي - رقم /١٤٤ .

(٣٢٣) رواه الدارمي - رقم / ١٤٨ .

فلان بن فلان العيدي ؟ قال : نعم . فضربه بعصاً معه ، فقال الرجل :

مالي يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر : اجلس . فجلس . فقرأ عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم { r t u v w x y z { | } ~

﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ © ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ

}[٣٢٤] ، فقرأها عليه ثلاثاً ، فقال الرجل : ما لي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أنت الذي نسخت كتاب دانيال [٣٢٥] ؟ قال : مرني بأمرك أتبعه . قال : انطلق فامحه بالحميم [٣٢٦]، والصوف الأبيض ، ثم لا تقرأه أنت ولا تُقرئه أحداً من الناس ، فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لأنهكنَّك [٣٢٧] عقوبة)[٣٢٨] .

نموذج لمجالسه t في التفسير :

عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب : (قرأت الليله آية أسهرتني { < ? @ A B C D E F } [٣٢٩] ما عَنَى ؟ فقال بعض القوم : الله أعلم . فقال : إني أعلم أن الله أعلم ، ولكن إنما سألت إن كان عند أحد منكم علم وسمع فيها بشيء أن يخبر بها سمع . فسكتوا ، فرآني وأنا أهمس [٣٣٠] ، فقال : قل يا ابن أخي ولا تحتقر نفسك . قلت: عَنيَ بها العمل . قال : وما عني بها العمل ؟ قلت : شيء أُلقي في رُوعي [٣٣١] فقلته . فتركني وأقبل وهو يفسرها ، صدقت يابن أخي عَنَى بها العمل ، ابن آدم أفقر ما يكون إلى جنة إذا كبر سنه وكثرت عياله ، وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم القيامة ، صدقت يا ابن أخي) [٣٣٢] .

---

(٣٢٤) سورة يوسف / الآيات ١-٣ .

(٣٢٥) أحد كتب اليهود .

(٣٢٦) الحميم : الماء الحار .

(٣٢٧) أنهكنك : أي أبالغ في عقوبتك .

(٣٢٨) حياة الصحابة ٣/ ١٦٣ .

(٣٢٩) البقرة : ٢٦٦ .

(٣٣٠) الهمس : الكلام الخفي لا يكاد يفهم .

(٣٣١) روعي : قلبي .

(٣٣٢) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر والحاكم في المستدرك وصححه ٣/ ٥٤٢ (كما في حياة الصحابة ٣/ ٢١٨) .

أقواله ووصاياه :

ما أبدع الحكم والوصايا المأثورة عن سيدنا عمر t والتي حفلت بها كتب السلف الصالح ، ونقتطف بعضاً منها مما له صلة بتعليم القرآن الكريم والعناية به :

١- قال عمر t : (اقرؤوا القرآن تُعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وتزيَّنوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله U ، لا تخفى منكم خافية) [٣٣٣] .

٢- وقال t : (يا معشر القرَّاء ، ارفعوا رؤوسكم ، ولا تزيدوا الخشوع على ما في القلب ، استبقوا في الخيرات ، ولا تكونوا عيالاً على النَّاس ، فقد وضح الطريق) [٣٣٤] .

٣- وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما : (أما بعد : فإنَّ القوَّة في العمل ، أن لا تؤخر عمل اليوم لغدٍ ، فإنكم إذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال ، فلا تدرون أيها تأخذون ، فأضعتم . فإن خيِّرتم بين أمرين أحدهما للدنيا والآخر للآخرة ، فاختاروا أمر الآخرة على أمر الدنيا ، فإنَّ الدنيا تفنى والآخرة تبقى .

كونوا من الله على وَجَل ، وتعلَّموا كتاب الله ، فإنَّه ينابيع العلم وربيع القلوب) [٣٣٥] .

٤- وكتب إلى سعد بن أبي وقاص t لما جعله أميراً على حرب العراق وأوصاه قائلاً : (يا سعد لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله e ، وصاحب رسول الله ، فإن الله U لا يمحو السيِّء بالسيِّء ، ولكنه يمحو السيِّء بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت النبي e منذ بُعثَ إلى أن فارقنا ، فالزمه فإنه الأمر .

هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبتَ عنها حَبِط عملك وكنتَ من الخاسرين) [٣٣٦] .

(٣٣٣) المجالسة وجواهر العلم للإمام الدينوري -٤/ ١١٥ .

(٣٣٤) حلية الأولياء ٧/ ٧١ .

(٣٣٥) كنز العمال ١٦/ ١٥٩ .

(٣٣٦) حياة الصحابة ٢/ ١٢١

٥- وعن عبد الرحمن بن عوف t قال :

(لما أُتي عمر بكنوز كسرى قال له عبد الله بن أرقم : ألا تجعلها في بيت المال ؟ فقال عمر t : لا نجعلها في بيت المال حتى نقسمها . وبكى عمر t ، فقال له عبد الرحمن بن عوف t : **ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله إنَّ هذا ليوم شكر ويوم سرور ويوم فرح .**

فقال عمر t : إنَّ هذا لم يعطه الله قوماً قط إلا ألقى بينهم العداوة والبغضاء) [٣٣٧] .

وفي رواية أنه قرأ قوله تعالى : { أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ } [٣٣٨] .

مشهد الوداع :

بعد حياة حافلة بالعطاء ، مشرقة بنور القرآن الكريم ، كانت نهاية الرحلة أن يقضي عمر t شهيداً في محراب النبي e ، واشتدت فاجعة المسلمين وحزنهم ، **وإليك هذا المشهد الذي يصف لنا وقفة وداع الأحبة أهل القرآن وصحابة النبي العدنان :**

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : (إني لواقف في قوم ، فدعوا الله لعمر بن الخطاب ، وقد وُضِع على سريره .

وفي رواية : إذا رجلٌ من خلفي قد وَضَع مِرفقه على منكبي يقول : (ما خلَّفتُ أحداً أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بمثل عملهِ منكَ ، وايمُ الله ، إن كنتُ لأرجو ، أن يجعلك الله مع صاحبيك ، لأني كنتُ كثيراً أسمع رسول الله e يقول : ذهبتُ أنا وأبوبكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، فإن كنتُ لأرجو أن يجعلك الله معهما . فالتفتُّ ، فإذا هُوَ علي بن أبي طالب) [٣٣٩] .

ومعنى (لأرجو أن يجعلك الله مَعَ صاحبيك) ، أي : تدفن مَعَ رسول الله e وأبي بكر الصديق t .

وَقَدْ كَانَ لعمر t قبيل موته مواقف عجيبة وَذَلِكَ عندما سقاه الطبيب اللبن فخرج من جرحه أبيض

---

(٣٣٧) رواه البيهقي ٦/٣٥٨ .

(٣٣٨) سورة المؤمنون / الآيتان ٥٥-٥٦ .

(٣٣٩) رواه البخاري رقم / ٣٤٧٤ ، ٣٤٨٢ ، ومسلم رقم ٢٣٨٩ في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر t .

كما شربه ، فلما رأى عمر بياضه أحسَّ بدنو أجله ، واقترابه من آخر لحظات حياته ، وتذكر هول الموقف وسؤال ربه له عما استرعاه ، فبكى حتى أبكى من حوله من الصحابة ، وقال : **لو أنَّ لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع .**

قال الصحابة : وما أبكاك إلا هذا ؟ قال : ما أبكاني غيره .

فقال ابن عباس : **يا أمير المؤمنين ، والله إنْ كان إسلامك لنصراً ، وإن كانت إمامتك لفتحاً ، والله لقد ملأت إمارتك الأرض عدلاً ، ما من اثنين يختصمان إليك إلا انتهيا إلى قولك .** قال : فقال عمر : أجلسوني

فلما جلس قال لابن عباس : أعد عليَّ كلامك ، فلما أعاد عليه قال : أتشهد لي بذلك عند الله يوم تلقاه ؟

فقال ابن عباس : نعم .

ففرح عمر بذلك وأعجبه [340] .

واشتدَّ نزيف الدم ، وجعل عمر يفيق ثم يغمى عليه ، ثم يذكرونه بالصلاة فيفيق ويقول : (نعم ، ولا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة) [341] .

ونختم هذا الدرس بكلمة توجيهية نافعة للشيخ علي الطنطاوي ، حيث يقول رحمه الله .

(اعلموا أنَّ المدرسة التي تخرَّج فيها عمر (مدرسة محمد ﷺ) لا تزال مفتوحة ، والطريق الذي مشى فيه عمر لا يزال لاحِباً مسلوكاً ، والنِّبراس الذي استضاء به عمر لا يزال مُشتعلاً مُضيئاً ، فاهتدوا به يهدكم إلى عزِّ الدنيا ، وإلى نعيم الجنَّة في الآخرة) [342] .

---

(340) طبقات ابن سعد (٣/٣٥٤ ، ٣٥٥) .

(341) البداية والنهاية ٧/١٣٧ .

(342) قصة حياة عمر للطنطاوي - ص / ١٧ .

أسئلة للدرسين الثالث والرابع

س١ - التركيز في التعليم أمر مهم بحيث تهدف خطة التعليم لتخريج نماذج مميَّزة تقوم بدورها بإكمال عملية التعليم بكفاءة .. وقد كان عمر t سباقاً في التوجيه لهذا الأمر عندما أرسل القراء إلى بلاد الشام ..

اشرح ذلك بالتفصيل .

س٢ - كان رجل يكثر غَشيان باب عمر t فقال له : اذهب فتعلَّم القرآن .. فماذا كانت النتيجة ؟ وما هو تفسيرك لذلك ؟

س٣- حدد عمر t منهجاً تربوياً في السؤال عن العلم ، والتفريق بين السائل المسترشد والسائل الذي يهدف إلى تشكيك الناس ... وضِّح ذلك مستشهداً بالقصة المناسبة الواردة في هذا الدرس.

الدرس الخامس

عثمان بن عفان t

لمحات من حياته t [٣٤٣]:

- ولد عثمان t بعد مولد الرسول e بست سنوات .

- **دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام** ، وقال له : ويحك يا عثمان ، إنَّك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل ، وهذا رسول الله قد بعثه الله تعالى برسالة إلى خلقه ، فهل لك أن تأتيه فتسمع منه ؟ فدخل على رسول الله e ، وسمع منه القرآن فأسلم .

- **زوَّجه النبي e ابنتيه** : الأولى رقية ، فلما ماتت زوَّجهُ أمَّ كلثوم ، وهو من المهاجرين الأولين ، وَقَدْ هاجر إلى الحبشة ومعه رقية ابنة النبي e ، ثم هاجر إلى المدينة .

- شهد المشاهد والغزوات مع رسول الله e ، ولكنه تغيَّب عن غزوة بدر بسبب مرض زوجته (رقية) رضي الله عنها ، فقال له النبي e : **(إنَّ لك أجرَ رجلٍ ممن شهدَ بدراً وسهمَهُ)** [٣٤٤] .

- اشترى بئر رومة بعشرين ألف درهم ، فقال النبي e : **(من يزيد في مسجدنا)** . فاشترى عثمان موضع خمس سواري فزاده في المسجد ، وجهَّز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيراً ، وأتمها ألفاً بخمسين فرساً .

- بويع بالخلافة في المحرم سنة أربع وعشرين ، وهو يومئذٍ ابن سبع وستين سنة ، واستشهد t وهو يقرأ القرآن الكريم وعمره اثنان وثمانون سنة ، يوم الجمعة في ١٨ ذي الحجة سنة ٣٦ هـ ودفن بالبقيع ، وكانت ولايته اثنتي عشرة سنة إلا اثنتي عشرة ليلة [٣٤٥] .

---

(٣٤٣) طبقات ابن سعد ٣ / ٥٥ - البداية والنهاية ٣/ ٢٩ ، الإصابة ٢/ ٤٥٥ .

(٣٤٤) رواه البخاري في الفضائل - رقم / ٢٩٦٢ .

(٣٤٥) المجالسة وجواهر العلم ٢/ ١١٠ .

فضائله t :

١ - روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : استأذن عثمان فجلس رسول الله e وسوَّى ثيابه ..ثم قال: **(ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)** [٣٤٦] .

٢ - وروى البخاري أنَّ رسول الله e بعث عثمان إلى أهل مكة يوم الحديبية ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال رسول الله e بيده اليمنى : **(هذه يد عثمان)** . فضرب بها على يده ، وقال : **(هذه لعثمان)** [٣٤٧] .

وفي رواية : **(فكانت يد رسول الله e لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم)** [٣٤٨] .

٣ - وعن عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنهما قال : جاء عثمان إلى النبي e بألف دينار ، حين جهَّز جيش العُسْرة ، فنثرها في حِجْره .

قال عبد الرحمن : فرأيت النبي e يقلِّبها في حجره ، ويقول : **(ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم)** مرتين [٣٤٩] .

٤ - وعن عبد الرحمن بن خباب t قال : (شهدت رسول الله e وهو يحثُّ على تجهيز جيش العُسْرة ، فقام عثمان بن عفان ، فقال : يارسول الله ، عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله . ثمَّ حضَّ على الجيش ، فقام عثمان فقال : يارسول الله عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله . ثمَّ حضَّ على الجيش ، فقام عثمان بن عفان فقال : عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها [٣٥٠] وأقتابها في سبيل الله . فأنا رأيت رسول الله e ينزل عن المنبر ، وهو يقول : **(ما على عثمان ما فعل بعد هذه ، ما على عثمان ما فعل بعد هذه)** [٣٥١] .

---

[٣٤٦] رواه مسلم - رقم / ٢٤٠١ .

[٣٤٧] رواه البخاري - رقم /٣٤٩٥ .

[٣٤٨] رواه الترمذي - رقم / ٣٧٠٣ .

[٣٤٩] أخرج الترمذي - ٣٧٠٢ في المناقب ، وقال : حديث حسن . ورواه أحمد في المسند ٢ / ٦٣ .

[٣٥٠] الأحلاس : الأكسية التي تكون على ظهور الإبل تحت الرِّحال .

[٣٥١] أخرجه الترمذي - رقم / ٣٧٠١ في المناقب ، باب مناقب عثمان بن عفان t ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

٥- وعن شرحبيل بن مسلم أن عثمان t كان يطعم الناس طعام الإمارة ، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت ، وفي رواية : أنه كان ينام القيلولة في المسجد وهو يومئذٍ خليفة ويقوم وأثر الحصى بجنبه [٣٥٢] .

جهوده في تعليم القرآن الكريم والعناية بجمعه :

كان لعثمان t جهود كبيرة في تعليم القرآن الكريم في حياة النبي e وبعد وفاته ، وقد صنف الإمام الذهبي رحمه الله كتاباً بعنوان (معرفة القراء الكبار) ذكر فيه طبقات القراء أولي الإسناد و الإتقان ، وكان أول من تحدَّث عنهم في الطبقة الأولى هو عثمان بن عفان t فقال : (أحد السابقين الأولين ، وأحد من جمع القرآن على عهد رسول الله e ، قرأ عليه المغيرة بن أبي شهاب المخزومي .. وحدَّث عنه بنوه : أبان وعمرو وسعيد وحمران بن أبان ، وابن عباس ، وعبدالله بن عمر بن الخطاب ، وأنس بن مالك y ، والسائب بن زيد وأبو أمامة بن سهل ، وأبو عبدالرحمن السلمي ، والأحنف بن قيس ، وطارق بن شهاب ، وخلق كثير) [٣٥٣] .

وقد كان t لا يألوا جهداً في تعليم القرآن الكريم رغم عدم تفرغه لذلك ، وانشغاله بأعباء الخلافة ، ويحدثنا عن هذا تلميذه التابعي الجليل أبو عبد الرحمن السلمي فيقول : (قرأت القرآن على عثمان t فقال لي : إنك إذن تشغلني عن النظر في أمور الناس فامض إلى زيد بن ثابت ، فإنه أفرغ لهذا الأمر فأقرأ عليه فإن قراءتي وقراءته واحدة ليس بيني وبينه فيها خلاف) [٣٥٤] .

أما جمعه للقرآن الكريم :

فقد روى البخاري : (أنَّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمَّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثمَّ نردُّها إليكِ . فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن

---

[٣٥٢] حياة الصحابة ٢/٢٨٨ .

[٣٥٣] معرفة القراء الكبار للذهبي - ١/٢٩-٣٠ .

[٣٥٤] حياة الصحابة ٣/ ١٩٣ .

ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرَّهط القرشيين الثلاثة :

إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم . ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق) [٣٥٥] .

وهكذا وفق الله سبحانه عثمان بن عفان t لإزالة أسباب الاختلاف وجمع الناس على مصحف واحد ، واستجابت له الأمة بالسمع والطاعة ، وتركت القراءة بالأحرف التي كانت موجودة من قبل ، لأنها كانت رخصة لتسهيل التلاوة على الناس بسبب اختلاف لهجاتهم ، وأما بعد انتشار الإسلام وتعليم القرآن فلابد من جمع الناس على مصحف واحد [٣٥٦] .

قال الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله :

(اشتد الخلاف بين كثير من الناس في بعض أوجه القراءة ، وأنكر بعضهم على بعض ، وذلك في عهد عثمان t ، فأمر بنسخ تلك الصحف إلى مصاحف ، وأن يُكتبَ بلسان قريش ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وعزم على الناس أن يتركوا القراءة بالأوجه المختلفة التي رُخِّص لهم فيها في ابتداء الأمر تسهيلاً عليهم ، وأن يقتصروا منها على الوجه الأرجح ، فوافقوه على ذلك ، ورأوا السداد فيما فعل) [٣٥٧] .

وقد بيَّن العلماء الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان رضي الله عنهما ، فقالوا : إنَّ جَمْعَ أبي بكر كان لِخَشْيَةِ أن يذهب من القرآن شيءٌ بذهاب حَمَلَتِهِ ؛ لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد فجمعه في صحائف مُرتِّباً لآيات سُوَرِه على ما وقفهم عليه النبي e .

وجَمْعُ عثمان t كان لـمَّا كَثُرَ الاختلاف في وجوهِ القراءة ، فأدى ذلك إلى تخطِئَةِ بعضهم بعضاً فخشي

---

(٣٥٥) رواه البخاري - رقم / ٤٧٠٢ .

(٣٥٦) ينظر التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن - للشيخ طاهر الجزائري ص/ ٧٩ .

(٣٥٧) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن - ص/ ٩٩ .

من تفاقُم الأمر في ذلك ، فَنَسخ تلك الصُّحُفَ في مصحفٍ واحد مُرَتَّباً لسُورِه ، واقتَصَر من سائر اللغات على لغةِ قريش ، محتجاً بأنه نَزَل بلغتهم ، وإنْ كان قد وُسِّعَ في قراءتِه بلغةِ غيرهم رفعاً للحرجِ والمشقةِ في ابتداء الأمر ، فرأى أنَّ الحاجة في ذلك قد انتهت فاقتصر على لغةٍ واحدة [٣٥٨] .

قال القاضي أبوبكر الباقِلاَّني : (لم يَقصِد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين ، وإنما قَصَد جَمْعَهم على القراءات الثابتة المعروفه عن النبي e وإلغاء ما ليس كذلك) [٣٥٩] .

نماذج من أقواله ووصاياه :

١ - بعدما تمَّت مبايعته صلَّى بالنَّاس صلاة العصر ، ثم صعد منبر رسول الله e ، وخطب في المسلمين خطبة الخلافة ، وكان مما قال في خطبته : (إنَّكم في دار قُلعةٍ وارتحال ، وفي بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أُتيتم ، صُبِّحتم أو مُسِّيتم ، ألا وإنَّ الدنيا طويت على الغرور ، فلا تغرنَّكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنَّكم بالله الغرور .

اعتبروا بمن مضى ، ثمَّ جدُّوا فلا تغفلوا ، فإنه لا يُغفل عنكم ! أين أبناء الدنيا وإخوانها . الذين أثاروها وعمروها ، ومُتِّعوا بها طويلاً ؟ ألم تلفظهم ؟ ارموا بالدنيا حيث رمى الله بها واطلبوا الآخرة) .

٢ - وعن الحسن البصري أنَّ عثمان بن عفان t خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : (أيها الناس اتقوا الله ، فإنَّ تقوى الله غُنم[٣٦٠] ، وإنَّ أكيس الناس [٣٦١] من دان نفسه [٣٦٢] وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله عز وجل نوراً لظلمة القبر ، وليخشَ عبدٌ أن يحشره الله عز وجل أعمى وقد كان بصيراً .. **واعلموا أنَّ من كان الله عز وجل معه لم يخَف شيئاً ، ومن كان الله عز وجل عليه ، فمن يرجو بعده ؟!**) .

---

(٣٥٨) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن - ص/ ١٠٤ .

(٣٥٩) المرجع السابق .

(٣٦٠) غُنم : أي غنيمة ومكسب عظيم .

(٣٦١) أكيس الناس : أي أعقلهم .

(٣٦٢) دان نفسه : أي حاسبها ، ويوم الدين هو يوم الحساب .

٣- وعن مالك بن دينار قال : (كان عثمان t إذا طلع في القبر بكى ، وقال : هذا أول منازل الآخرة) [٣٦٣] .

٤ - وعن هانئ مولى عثمان بن عفان t قال : (كان عثمان إذا وقف على قبر يبكي حتى يُبل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتذكر القبر فتبكي ؟

فقال : إني سمعت رسول الله e يقول : (**القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد**) . وقال e : (**ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه**) [٣٦٤] .

استشهاد عثمان t :

أورد كتَّاب السير أنَّ المعتدين لما دخلوا على عثمان t ليقتلوه كان المصحف في حجره يقرأ فيه ، فمدَّ يده فضُربت فسال الدم ، فقطرت قطرة على قوله تعالى : { c d f g h } [٣٦٥] .

فقال : أما إنها أول يد خطت المفصَّل [٣٦٦] . أي كتبت القرآن الكريم الذي هو تفصيل لكل شيء [٣٦٧] .

- وعن أنس بن مالك t قال :

قالت امرأةُ عثمان بن عفان t حين قتلوه :

(لقد قتلتموه ، وإنه ليحيي الليلة بالقرآن في ركعةٍ) [٣٦٨] .

رحم الله أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وجزاه عن الإسلام وأهله خير الجزاء .

---

(٣٦٣) المجالسة وجواهر العلم - ٤ /١١٦ ، البداية والنهاية ٢١٤/٧ .

(٣٦٤) رواه الترمذي - رقم / ٢٣٠٨ - وقال حديث حسن .

(٣٦٥) سورة البقرة - آية ١٣٧

(٣٦٦) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني - ٢٥٤/١ .

(٣٦٧) أو : المقصود بالمفصل أواخر القرآن لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة .

(٣٦٨) حياة الصحابة ٩٤/٣ .

أسئلة للدرس الخامس

س١ - لماذا سُمي عثمان بن عفان t ذا النورين ؟

س٢ - مَا هُوَ الفرق بين جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق t وجمع القرآن في عهد عثمان بن عفان t ؟

س٣ - كَانَ عثمان t إذا وقف عند قبر يبكي ...
اذكر دليلاً من القرآن الكريم وآخر من السنة النبوية في إثبات عذاب القبر ونعيمه ، مَعَ بيان أهمية الخشية من الله في حياة المسلم .

الدرس السادس

علي بن أبي طالب t

لمحات من حياته t [٣٦٩]:

- هو ابن عم النبي e ، والده أبو طالب بن عبد المطلب ، يجتمع نسبه مع الرسول e في جده الأول عبد المطلب ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، أسلمت قديماً ، وهي الَّتِي ربَّت النبي e ، ويوم ماتت صلَّى النبي e عليها ، وقال : **(جزاك الله مِنْ أمٍّ خيراً ، فقد كنتِ خير أم)** ، وولدت لأبي طالب عقيلاً وجعفراً وعلياً وأم هانئ ، وكان علي أصغر ولد أبي طالب .

- ولد قبل البعثة بعشر سنين ، وتربَّى في حجر النبي e ولم يفارقه ، وكان أول من أسلم من الصبيان .

- بات t في فراش النبي e ولبس ثوبه ليلة هجرته إلى المدينة ليظن المحاصرون له أن الرسول e لم يزل نائماً ، وتعرَّض لأذى المشركين ، وأمره النبي e أن يؤدي ودائع كانت عنده للناس ، فأقام ثلاثة أيام يؤدي الودائع ثم هاجر إلى المدينة [٣٧٠] .

- زوَّجه النبي e ابنته فاطمة رضي الله عنها ، وكان يُكثر زيارتها وتفقد أحوالها ، وقد جاء مرَّة بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت ، فقيل هو في المسجد راقد ، فجاءه وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقِّه ، فأصابه تراب فجعل رسول الله e يمسحه عنه ويقول : قم أبا تراب ، قم أبا تراب ، فما كان لعلي اسمٌ أحبَّ إليه من أبي تراب [٣٧١] .

- قتل t ليلة الجمعة ليلة السابع عشر من رمضان ، سنة أربعين ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقيل : ابن ثمان وخمسين ، ودفن بالكوفة ، ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .

---

[٣٦٩] المجالسه ٢/ ١٣٠ ، والرياض النضرة ٣/١٠٤ ، صفة الصفوة ١/ ١٣٨ ، الإصابة ٢/ ٥٠١ .

[٣٧٠] حياة الصحابة ١/ ٣٤٧ .

[٣٧١] الحديث رواه مسلم - رقم /٢٤٠٩ .

فضائله t :

١ - عن سعد بن أبي وقاص t قال : قال رسول الله e لعلي : **(أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي)** [٣٧٢].

٢ - وعن أبي هريرة t أنَّ رسول الله e قال يوم خيبر : **(لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه)** .

قال عمر بن الخطاب t : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، قال : فتساورت لها [٣٧٣] رجاء أن أُدعى لها ، قال : فدعا رسول الله e علي بن أبي طالب ، فأعطاه إياها ، وقال : **(امش ولا تلتفت ، حتى يفتح الله عليك)** .

قال : فسار عليٌّ شيئاً ثم وقف ولم يلتفت ، فصرخ : يا رسول الله ، على ماذا أقاتل الناس ؟

قال : **(قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك ، فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله)** [٣٧٤] .

وفي رواية أن الرسول e لما قال هذا القول : **(لأعطين الراية ..)** بات الناس يتحدثون ليلتهم أيُّهم يُعطاها ، فلما أصبح الناس غدَوْا على رسول الله e كلهم يرجون أن يُعطاها ، فقال e : **(أين علي بن أبي طالب ؟)** .

فقالوا : هو يا رسول الله يشتكي عينيه .

قال : **(فأرسلوا إليه)** . فأتي به ، فبصق رسول الله e في عينيه ، ودعا له فبرأ ، حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي : يارسول الله ! اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال : (انفُذ على رِسلك ، حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، **فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَمِ** [٣٧٥])[٣٧٦] .

---

(٣٧٢) رواه مسلم - رقم/ ٢٤٠٤ .

(٣٧٣) تساورت لها ، أي : تطاولت وأظهرت وجهي لذلك ليتذكرني ؛ حرصاً على هذا الفضل ونيل المنزله ، والاتصاف بما ذكره الرسول الأكرم بقوله : (رجلاً يحب الله ورسوله) .

(٣٧٤) رواه مسلم ، رقم/ ٢٤٠٥ .

(٣٧٥) حُمر النعم : هي الإبل الحُمر ، وهي أنفس أموال العرب ، يُضرب بها المثل للشيء النفيس .

٣- عن أنس بن مالك t عن النبي e أنه قال : (**الجنة تشتاق إلى ثلاثة : علي وعمار وسلمان**) (٣٧٧) .

جهوده t في تعليم القرآن الكريم :

- بلغ علي t الذروة في تعلم القرآن الكريم على يد رسول الله e حتى كان يقول t : (سلوني عن كتاب الله ؛ فإنه ليس فيه من آية إلا وقد عرفتُ بليلٍ نزلت أم بنهار ، في سهل أو في جبل) (٣٧٨) .

وأما تعليمه للقرآن فقد كان منذ أيام شبابه حيث أرسله النبي e لليمن معلماً وقاضياً .

عن علي t قال أتى النبيَّ e ناسٌ من اليمن فقالوا : ابعث فينا من يفقهنا في الدين ، ويعلِّمنا السُّنَن، ويحكم فينا بكتاب الله .

فقال النبي e : (**انطلق ياعلي إلى أهل اليمن ، ففقههم في الدين وعلِّمهم السُّنَن ، واحكم فيهم بكتاب الله**) وضرب على صدري ثم قال : (**اذهب فإن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك**)(٣٧٩)

وأما في خلافته فمجالسه في تعليم القرآن الكريم بمسجد الكوفة مشهورة :

- عن زر بن حبيش قال : قرأت القرآن كله في المسجد الجامع بالكوفة على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب t ، فلما بلغت الحواميم (٣٨٠) ، قال أمير المؤمنين : (قد بلغت عرائس القرآن) (٣٨١) .

- كما كان t أيام خلافته مرشداً للناس ومعلماً لهم يغشاهم في أسواقهم ليتلو عليهم آيات القرآن الكريم ، وقد ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله عن زاذان قال : (كان علي يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة يرشد الضال ، ويعين الضعيف ، ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ، ويقرأ : { تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا } ، ثم يقول : نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من

---

(٣٧٦) رواه مسلم ، رقم/٢٤٠٦

(٣٧٧) أخرجه الترمذي/رقم-٣٧٩٧ ، وقال : حديث حسن غريب . والحاكم في المستدرك ١/ ١٣٧ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٣٧٨) الإصابة ٤/ ٤٦٧ ، والرياض النضرة ٢/ ١٦٧ .

(٣٧٩) أخرجه ابن جرير الطبري ، كما في منتخب كنز العمال ٥/ ٣٧ ، وانظر حياة الصحابة ٣/ ١٩٣ .

(٣٨٠) الحواميم : هي السور القرآنية السبع التي تبدأ بـ { ! } ، وأولها سورة غافر ثم فصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف .

(٣٨١) جمال القراء وكمال الإقراء - للإمام السخاوي - ١/ ٣٥ .

الولاة وأهل القدرة من سائر الناس) .

- **وهكذا نجد اهتمامه t بإرشاد الناس ونصحهم وتذكيرهم بآيات القرآن الكريم** وما فيها من الدعوة للخلق القويم ، ولم يكن يشغله عن ذلك أعباء الخلافة ، وهذا تأكيد عملي على أنَّ إرشاد الناس وتعليمهم من أهم أعمال الراعي تجاه رعيته .

- كما كان t يوصي تلاميذه بتحري الإخلاص في تعلُّم القرآن الكريم وتعليمه ، فقد روى الدارمي عن إياس بن عمر قال : أخذ علي بن أبي طالب بيدي ، ثم قال : (إنك إن بقيت سيقرأ القرآن ثلاثة أصناف : فصنفٌ لله ، وصنفٌ للجدال ، وصنفٌ للدنيا ، ومن طلب به أدرك)[٣٨٢] .

أي : أدرك ما يطلبه ، فإن كان خالصاً لله أدرك الأجر والمثوبة ، وإن كان لغير الله أدرك الوزر والعقوبة ولو اجتمعت له الدنيا .

- **ومن مآثر علي t أنه أمر أبا الأسود الدؤلي بأن يضع قواعد العربية لئلا يقع الأعاجم في الخطأ عند تعلمهم القرآن الكريم .**

وقصة ذلك أن أعرابياً جاء إلى علي بن أبي طالب t فقال : يا أمير المؤمنين كيف تقرأ هذا الحرف : لا يأكله إلا الخاطون ، كلٌّ والله يخطو . فتبسم علي وقال : { - . / 0 } قَالَ : صدقت يا أمير المؤمنين ، ما كان الله ليُسلم عبده . ثم التفت علي إلى أبي الأسود الدؤلي فقال : إن الأعاجم قد دخلت في الدين كافة ، فضع للناس شيئاً يستدلون به على صلاح ألسنتهم . فرسم له الرفع والنصب والخفض[٣٨٣] .

- وقد جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله فقال: يا أبا سعيد ما تقول في علي بن أبي طالب ؟ فاحمرت وجنتا الحسن وقال: (**رحم الله علياً، إنَّ علياً كان سهماً لله صائباً في أعدائه، وكان في محلَّةِ العلم وأشرفها وأقربها إلى رسول الله e .. أعطى القرآن عزائمه وعَمله وعِلْمه ، فكان منه في رياض مورقة وأعلام بيِّنة**) .

نماذج من أقواله ووصاياه t :

١ - وصية نفسية أوصى بها عليٌّ t والد الشاعر الفرزدق ، وهي وصية لكل أب يحرص على صلاح ابنه

(٣٨٢) رواه الدارمي - رقم /٣٣٢٩ .

(٣٨٣) حياة الصحابة ١٩١/٣.

وفلاحه في الدنيا والآخرة .

قال الفرزدق : (دخلت مع أبي على علي بن أبي طالب t ، فسلَّم عليه أبي ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا غالب بن صعصعة .

قال : من هذا الذي معك ؟

قال : ابني ، وهو شاعر ، وإن شئت أنشدك .

فقال علي : علِّمه القرآن ، فهو خيرٌ له من الشعر) [٣٨٤] .

٢- وعن الشعبي قال : قال علي t : (عجبت لمن يهلك والنجاة معه ! قيل ما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : الاستغفار) [٣٨٥]

٣- وعن عاصم بن ضمرة قال : ذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب t فقال علي : (الدنيا دار صدقٍ لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهِم عنها ، ودار غنى لمن تزوَّد منها ، ومهبط وحي الله ومُصلَّى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومتجر أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة) [٣٨٦] .

٤- وعن علي بن أبي طالب t أنه خطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : (أما بعد ؛ فإنَّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإنَّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وإنَّ المضمار [٣٨٧] اليوم وغداً السباق ، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل ، فمن قصَّر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خُيِّب عمله ، ألا فاعملوا الله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة ، ألا وإني لم أرَ كالجنة نام طالبها، ولم أرَ كالنار نام هاربها .

ثم قال : (**إنَّ الله تبارك وتعالى وَعَدَ جنته من أطاعه ، وأوعد ناره من عصاه ، إنَّها نارٌ لا يهدأ زفيرها ، ولا يُفك أسيرها ، ولا يُجبر كسيرها ، حرُّها شديد ، قعرها بعيد ، وماؤها صديد ، وإنَّ أخوف ما أخاف**

---

[٣٨٤] المجالسة وجواهر العلم -٤/ ٣٥٥ .

[٣٨٥] المجالسة وجواهر العلم للدينوري ٤ /٤٩، وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢ /٤٠١ .

[٣٨٦] المجالسة ٤/ ٥٢ .

[٣٨٧] المضمار : المكان الذي تضمَّر فيه الخيول استعداداً للسباق أو الركض إلى العدو ، وتضميرها أن تُشد عليها سروجها وتجلَّل بالأَجِلَّة حتى تعرق ويذهب رَهَلُها ويشتد لحمها ، وتُعلف حتى تقوى . (لسان العرب : ض م ر) – ٤/ ٤٩١ .

عليكم اتباع الهوى وطول الأمل) [٣٨٨] .

٥- وعن كُميل بن زياد قال : أخذ علي بن أبي طالب t بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبَّان (أي الصحراء) ، فلما أصحرنا جلس ثمَّ تنفَّس ثم قال : (يا كُميل بن زياد ، القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك ، **الناس ثلاثة : فعالم ربَّاني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعَاع أتباع كل ناعق** [٣٨٩] ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق .

العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم يزكو على العمل ، والمال تنقصه النفقة ، ومحبة العالم دين يدان بها ، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة [٣٩٠] بعد موته ، وصنيعة المال تزول بزواله ، مات خزَّان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ، أولئك هم الأقلُّون عدداً ، الأعظمون عند الله قدْراً) [٣٩١] .

فتأمل أخي الحبيب هذه الوصية البديعة التي لا يكفيها أن تُكتب بماء الذهب ، وإنما ينبغي أن تُنقش في القلوب ، لتكون دليلاً للذين يبتغون مرضاة ربهم سبحانه ، وحافزاً لهم على الاستمرار في العلم والتعليم ، والدعوة إلى هدي الكتاب المبين وسنة الرسول الأمين .

ولتلاحظ معي كيف أخذ علي t وهو المعلِّم المربي بيد تلميذه كُميل بن زياد وسار به خارج البلدة ، وأجلسه في مكان بعيد عن ضوضاء الناس ، ليوجِّه إليه هذه الوصايا النفيسة شحذاً لهمته ، وتبصيراً له بما ينفعه ويُسعده في الدارين .

أفلا ينهج الدعاة والمربون اليوم هذا النهج في اغتنام الفرص وتحيُّن المناسبات والمواطن التي تزيد من قبول الناس لإرشاداتهم ودعوتهم .

---

(٣٨٨) المجالسة ٤/ ١٢٠-١٢١ ، والبداية والنهاية ٧/ ٨ .

(٣٨٩) أي : أراذل الناس وغوغاؤهم وأخلاطهم ممن يتبعون كل صائح دون بصيرة من أمرهم .

(٣٩٠) الأُحدوثة : الذكر .

(٣٩١) حياة الصحابة ٣/ ١٥٨ ، وقد أورد الإمام ابن عبدالبر طرفاً منه في جامع بيان العلم (٢/ ١١٢) ، ثم قال : هو حديث مشهور عند أهل العلم .

أسئلة للدرس السادس

س١ - بلغ حرص الصحابة y على الفضائل وتسابقهم إليها مبلغاً كبيراً ، ولقد عبَّر عمر t عن ذلك بقوله (فتساروت لها) - وضِّح ذلك ..

وما هي الدروس المستفادة من هذه القصة ؟

س٢ - أرسل الرسول e علياً t لقتال يهود خيبر ، وزوَّده بنصيحة مهمة تُعد منهجاً للدعاة وتشريفاً لهم وبياناً لهدف الجهاد في الإسلام .

فما هي تلك النصيحة ؟ وماهي الدروس المستفادة منها لمعلمي القرآن الكريم ؟

س٣- قسَّم علي t الناس ثلاثة أصناف في إحدى وصاياه ووصف كل صنف بوصف محدد .

اشرح هذه الأصناف الثلاثة بشيء من التفصيل؟

واذكر ما يستفاد منها في توجيه مدرسي وطلاب الحلقات القرآنية ؟

الدرس السابع

مصعب بن عمير t

لمحات من حياته t [٣٩٢]:

- هُوَ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ، والده عمير بن هاشم من أثرياء قريش ، وأمه خناس بنت مالك ، كانت تحبه محبة شديدة وتعتني بِهِ وتكسوه أحسن اللباس ، حَتَّى عُرف بِأَنَّهُ أعطر شباب مكة .

- **كَانَ من أوائل السابقين إلى الإسلام** ، وكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه ، وَكَانَ يلتقي بالرسول e في دار الأرقم .

- **عرف أهله خبر إسلامه فأخذوه وحبسوه** ، وحرمته أمه من المال واللباس ، وأقسمت ألا تأكل أو تشرب أو تستظل بظل حَتَّى يرجع عن إسلامه ، فكانت تقف في الشمس حَتَّى تسقط مغشياً عليها ، ومع ذَلِكَ بقي ثابتاً عَلَى الإسلام ، ولم يزل محبوساً إلى أن هاجر إلى الحبشة .

- **بقي في الحبشة ثلاثة أشهر** ثم عاد مَعَ المهاجرين فاشتد عَلَيْهِم العذاب فهاجروا مَرَّة أخرى ، وَذَلِكَ من السنة الخامسة للبعثه إلى الحادية عشر ، حَيْثُ عاد إلى مكة ، واشتدت عَلَيْهِ المحن وتغير لونه ولم يعد يستطيع المسير من شدة الضعف .

- قَالَ سعد بن مالك t :

(أما مصعب بن عمير فَإِنَّهُ كَانَ أترف غلام بمكة بين أبويه ، فلما أصابه مَا أصابنا لم يقوَ عَلَى ذَلِكَ ، فلقد رأيتُه وإنَّ جلده ليتطاير عنه تطاير جلد الحية ، وَلَقَدْ رأيته ينقطع بِهِ فما يستطيع أن يمشي فنعرض لَهُ القِسِيَّ ثم نحمله عَلَى عواتقنا) [٣٩٣] .

---

(٣٩٢) ينظر : طبقات ابن سعد ١١٦/٣ ، صفة الصفوة ١٧٨/١ ، سير أعلام النبلاء ١٤٥/١ ، البداية والنهاية ، ١٥١/٣ ، الإصابة ٤٠١/٣ .

وينظر كتاب : مصعب بن عمير الداعية المجاهد - تأليف محمد حسن بريغش - ضمن سلسلة أعلام المسلمين .

(٣٩٣) سير أعلام النبلاء ١ / ١٤٨ .

- **زوجته** هي حمنه بنت جحش ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب (بنت عم الرسول e) وأختها أم المؤمنين زينب بنت حجش (زوجة الرسول e) .

- **أرسله النبي e معلماً إلى المدينة المنورة** مَعَ عبد الله بن أم مكتوم بَعْدَ بيعة العقبة الأولى ، ثم رجع إلى مكة العام التالي مَعَ السبعين الَّذِينَ قدموا إلى مكة وبايعوا الرسول e بيعة العقبة الثانية ، وذهب إلى منزل الرسول e قبل أن يقرب منزله ، وبشَّره بسرعة إسلام الأنصار ، فسُرَّ رسول الله e بذلك ، ثم ذهب إلى أمه ودعاها إلى الإسلام فأبَتْ ، فأقام مصعب مَعَ النبي e بقية ذي الحجة والمحرم وصفر ثم عاد إلى المدينة

- **كَانَ مصعب في غزوة بدر حامل اللواء** ، وأُسر أخوه أبو عزيز بن عمير في تِلْكَ الغزوة وَكَانَ مشركاً بل إنَّهُ كَانَ حامل لواء المشركين ، فمرَّ بِهِ مصعب وأحد الأنصار يمسك بِهِ ، فقال للأنصاري : (شُد يديك بِهِ ، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك) .

قَالَ أبو عزيز : يا أخي هَذِهِ وصاتك بي ؟

قَالَ مصعب : إِنَّهُ أخي دونك .

فضائله t :

١ - عن عمر بن الخطاب t قَالَ :

(نظر النبي e إلى مصعب بن عمير مقبلاً ، وعليه إهابُ كبش قد تنطق بِهِ [٣٩٤] ، فقال النبي e : (**انظروا إلى هَذَا الرجل الَّذِي قد نوّر الله قلبه ، لَقَدْ رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ، فدعاه حب الله ورسوله إلى مَا ترون**) [٣٩٥] .

٢ - عن علي بن أبي طالب t قَالَ :

(إِنَّا لجلوس مَعَ النبي e إذ طلع علينا مصعب بن عمير مقبلاً ، وما عليه إلاَّ بُردة لَهُ مرقوعة بفرو ، وَكَانَ أنعم غلام بمكة وأرفعهم عيشاً ، فلما رآه رسول الله e ذكر مَا كَانَ فيه من النعيم ، ورأى حاله الَّتِي

---

(٣٩٤) أي : جلد كبش قد جعله نطاقاً عَلَى وسطه وَاتخذه كالزنار .

(٣٩٥) رواه الطبراني والبيهقي كَمَا في الترغيب للمنذري ٣/٣٩٥، ورواه أبو نعيم في الحلية ١/١٠٨ .

هُوَ عليها ، فذرفت عيناه ، فبكى) [396] .

٣- وعن خباب بن الأرت t قَالَ :

(هاجرنا مَعَ رسول الله e في سبيل الله نبتغي وجه الله ، فوقع أجرنا عَلَى الله ، فمنَّا من مضى ولم يأكل من أجره شيئاً ، منهم مصعب بن عمير، قُتل يوم أُحد ، فلم يوجد لَهُ شيء يكفَّن فيه إِلاَّ نَمِره [397]، فكنا إذا وضعناها عَلَى رأسه خرجت رجلاه ، وإذا وضعناها عَلَى رجليه خرج رأسه) .

فقال رسول الله e : (**ضعوها مِمَّا يلي رأسه ، واجعلوا عَلَى رجليه من الإذخر** [398])[399] .

قَالَ الإمام القرطبي : (معنى "لم يأكل من أجره شيئاً " أي : مات عَلَى الحال الَّتِي هاجر عليها من الفقر ومجانبة زهرة الدُّنْيَا وطيباتها ، فذلك الَّذِي سَلِم لَهُ أجر عمله كله) [400] .

أول سفراء الصحابة لتعليم القرآن :

لما جَاءَ وفد من أهل المدينة وبايعوا الرسول e بيعة العقبة الأولى قالوا له : (**يا رسول الله ابعث إلينا رجلاً يفقهنا في الدين ويُقرِئنا القرآن**) ، فكان الشاب المؤمن الصابر مصعب بن عمير أهلاً لهذه المهمة العظيمة ، حيث اختاره الرسول e ليكون سفيره بين أهل المدينة يعلمهم القرآن ويؤمهم في الصلاة ويدعو الناس إلى الإسلام .

وغادر مصعب مكةَ مهاجراً للمرة الثالثة ، لكنه اليوم يتطلع إلى الغد المشرق ، ويحمل عبء مهمة كبرى تشرَّفَ بحملها ، ولمَّا وصل المدينة نزل في بيت الصحابي الجليل أسعد بن زرارة (أحد المبايعين في بيعة العقبة الأولى) ، وبهذا كان أول مهاجر إلى المدينة المنورة وَكَانَ يُسمى المقريء [401] .

---

(396) رواه الترمذي / ٢٤٧٨ ، وأبو يعلى كَمَا في مجمع الزوائد ١٠ /٣١٧ .

(397) النمره : كِساء ملَّون مخطط . ينظر : النهاية في غريب الحديث ٥/ ٣٦٩ .

(398) الإذخر : نبات طيب الرائحة .

(399) رواه البخاري - رقم / ١٢١٧ ، ٣٦٨٤ ، ومسلم - رقم /٩٤٠ .

(400) المفهم لما أَشكل من تلخيص كتاب مسلم - للقرطبي - ٢/٥٩٧ .

(401) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٣٤ .

وباشر مصعب t مهمته في تعليم القرآن والدعوة إلى الإسلام ، وإمامة المسلمين من الأوس والخزرج في الصلاة ، وذلك أَنَّ بعضهم كره أن يؤُمَّه بعض بسبب ما كان بينهم في الجاهلية من عداوة ، فجمع الله قلوبهم على مصعب t ، وأضحوا يتعلمون القرآن ويتلقون آياته بتدبر وبصائر مفتوحة .

قَالَ الإمام ابن الجوزي في حديثه عن مصعب بن عمير t :

(بعثه رسول الله e إلى المدينة بَعْدَ أن بايع الأنصار البيعة الأولى يفقههم ويُقرئهم القرآن ، وَكَانَ يأتيهم في دورهم فيدعوهم إلى الإسلام ، فأسلم منهم خلق كثير ، وفشا الإسلام فيهم) (٤٠٢) .

مشهد فريد في حياة مصعب t :

لنقِف عند هذه الحادثة التي رواها ابن هشام (٤٠٣) وغيره من المؤرخين وكتَّاب السيرة ، وهي أَنَّ أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظَفَر ، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة ، فدخل به حائطاً (٤٠٤) من حوائط بني ظَفر ، فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما رجال ممن أسلموا ، وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذٍ سيِّدا قومهما من بني عبد الأشهل ، وكِلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير : (لا أبا لَكَ ! انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارَيْنا ليُسَفِّها ضعفاءنا ، فازجرهما وانهَهُما عن أن يأتيا دارَيْنا ، فإنه لولا أسعد بن زرارة منِّي حيث قد علمت كفيتك ذَلِكَ ، هو ابن خالتي) .

فأخذ أسيد بن حضير حربته ، ثُمَّ أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير : **هذا سيّد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه .**

قال مصعب : إنْ يجلس أُكَلِّمه .

---

(٤٠٢) صفوة الصفوة - ١ / ١٧٨ .

(٤٠٣) السيرة النبوية لابن هشام - ٤٣٥ .

(٤٠٤) الحائط: البستان .

فوقف عليهما مُشتِّماً ، وقال : ما جاء بكما إلينا تسفِّهانِ ضعفاءَنا ؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة [٤٠٥] .

فقال له مصعب : **أوَ تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قَبِلْتَه ، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره** .

قَالَ : أنصفت ، ثُمَّ ركز حربته وجلس إليهما ، فكلَّمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن ، فقالا : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم به في إشراقة وجهه ، ثُمَّ قَالَ : **ما أحسن هذا الكلام وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟** .

قالا له: تغتسل فتطَّهر وتطهِّر ثوبيك ، ثُمَّ تشهد شهادة الحق ، ثُمَّ تصلي ، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، ثُمَّ قام فركع ركعتين ، ثُمَّ قال لهما : إِنَّ ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلَّف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن : سعد بن معاذ .

ثُمَّ أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قَالَ : أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم .

فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قَالَ : كلَّمتُ الرجلين فوالله ما رأيتُ بهما بأساً ، وقد نهيتهما ، فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حُدِّثت أَنَّ بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليُخفروك [٤٠٦] .

فقام سعد مُغضباً مبادراً تخوُّفاً ، للذي ذُكر له من بني حارثة ، فأخذ الحربة ، ثُمَّ قال : والله ما أراك أغنيتَ شيئاً ! ثُمَّ خرج إليهما ، فلما رآهما سعد مطمئنين ، عرف أَنَّ أُسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف متشتماً ، ثُمَّ قال لأسعد بن زرارة : يا أبا أمامة ، أمَا والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا منّي !! أتغشانا في دارنا بما نكره ؟ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير : **(أي مصعب ، جاءك واللهِ سيِّدُ مَن وراءَه مِن قومه ، إنْ يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان)** .

---

(٤٠٥) أي : إن كنتما تحرصان عَلَى حياتكما ، وهذا تهديد لهما بالقتل .

(٤٠٦) الإخفار : نقض العهد والغدر .

قَالَ : فقال له مصعب : أوَتقعد فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً ورغبتَ فيه قبلتَهُ ، وإن كرهته عَزلنا عنكَ ما تكره ؟

قال سعد : أنصفت ، ثُمَّ ركز الحربة وجلس ، **فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن .**

قالا : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، لإشراقه وتسهُّله ، ثُمَّ قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟

قالا : تغتسل فتطَّهر وتطهِّر ثوبيك ، ثُمَّ تشهد شهادة الحق ، ثُمَّ تصلِّي ركعتين .

فقام واغتسل وطهَّر ثوبيه ، وتشهَّدَ شهادة الحق ، ثُمَّ ركع ركعتين ، ثُمَّ أخذ حربته ، فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعه أُسيد بن حُضير.

فلما رآه قومه مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم .

فلما وقف عليهم قَالَ : يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم ؟

قالوا : سيدنا وأفضلنا رأياً .

قَالَ: فَإِنَّ كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرامٌ حَتَّى تؤمنوا بالله ورسوله .

قالا : **فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلاَّ مسلماً أو مسلمة .**

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام ، حَتَّى لم تبقَ دارٌ من دورِ الأنصار إلاَّ وفيها رجال ونساء مسلمون .

وهكذا تؤثر الدعوة الصادقة في النفوس ، وتجلو آيات القرآن الكريم صدأ القلوب ، حَتَّى تعود الفطرة نقية بإذن الله تعالى .

وقد روى الطبراني أَنَّ مصعباً t قرأ عليهما آياتٍ من أول سورة الزخرف ، وهي قوله تعالى : { P
Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a
b c d e f g h i j k }[٤٠٧] .

وهذه الآيات الكريمة كان لها أثرها في القلوب .

---

(٤٠٧) الآيات من ١ - ٥ .

واستمر مصعب في أداء مهمته يعلِّم القرآن ، ويدعو إلى الإسلام حَتَّى لم يبقَ دارٌ من دور المدينة إلاَّ وفيها مسلم .

ولقد كان t يطوف من بيتٍ إلى بيتٍ يتلو عليهم القرآن ، ويدعوهم إلى تدبُّره والتمسك به بأسلوبٍ مؤثرٍ ، وهمَّةٍ عالية حَتَّى كانت بيعة العقبة الثانية ، ثُمَّ أذِنَ الرسول e لأصحابه بالهجرة ، واستقبلت المدينة وفود المهاجرين ، واحتفى أهلها الأنصار بالرسول e وصحبه الكرام .

أول من صلّى الجمعة بالمسلمين في المدينة :

من مناقب مصعب t أَنَّهُ أول من جمع المسلمين بالمدينة المنورة لصلاة الجمعة بَعْدَ أن أنتشر بينهم الإسلام .

قَالَ ابن شهاب : (كَانَ مصعب أول من جمع الجمعة بالمدينة بالمسلمين قبل أن يَقدمها رسول الله e)

وقال ابن الجوزي : (كَانَ مصعب يأتيهم في دورهم فيدعوهم إلى الإسلام ، فأسلم منهم خلق كثير ، وفشا الإسلام فيهم ، وكتب إلى رسول الله e يستأذنه أن يجمع بهم ، فأذِن لَهُ ، فجمع بهم في دار بني خيثمة) [٤٠٨] .

استشهاده t :

كان مصعب t نموذجاً للمؤمن الصادق في كل المواطن إلى أن لقي ربه شهيداً يوم أُحُدٍ وهو يحمل اللواء ، وهو ابن أربعين سنة ، فلما مرَّ الرسول e على الشهداء ورأى مصعباً منهم وقف ودعا لَهُ ، وقرأ قوله تعالى : { ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 } [٤٠٩] .

وَكَانَ ذَلِكَ في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة النبوية .

قَالَ ابن إسحاق : (قاتل مصعب بن عمير دون رسول الله e حَتَّى قُتل ، وَكَانَ الَّذِي قتله ابن قمئة

(٤٠٨) صفة الصفوة ١ /١٧٨ .

(٤٠٩) سورة الأحزاب / آية ٢٣ - وانظر : صفة الصفوة ١ /١٧٩ .

الليثي ، وَهُوَ يظن أَنَّهُ رسول الله e ، فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمداً ، ولما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله e الراية لعلي بن أبي طالب) [٤١٠] .

روى ابن ماجه أن حمنة بنت جحش (زوجة مصعب بن عمير) لما بلغها خبر قتل أخيها قالت : رحمه الله وإنا لله وإنا إِلَيْهِ راجعون . فقالوا : قُتل زوجك . فقالت : واحزناه .

وفي رواية : أَنَّهُ نُعي إليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت [٤١١] واستغفرت لَهُ ، ثم نُعي لَهَا خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت لَهُ ، ثم نُعي إليها زوجها مصعب بن عمير فصاحت، فقال رسول الله e : (**إن زوج المرأة منها لبِمكان**) [٤١٢] .

---

(٤١٠) البداية والنهاية لابن كثير - ٤ / ٢٠ ، سير أعلام النبلاء ١ /١٤٨ .

(٤١١) أي : قالت : إِنَّا لله وإنا إِلَيْهِ راجعون .

(٤١٢) البداية والنهاية ٤ /٤٦ .

أسئلة للدرس السابع

س١ - كَانَ مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين في غزوة بدر ، وأخوه أبو عزيز حامل لواء المشركين ، مَا هُوَ المشهد الَّذِي حصل بينهما ؟ وماذا تستنتج من ذَلِكَ .

س٢ - نزل مصعب في بيت أسعد بن زرارة في المدينة الَّذِي كَانَ عوناً لَهُ عَلَى نشر الإسلام وتعليم القرآن ، فمن هُوَ أسعد بن زرارة ؟ اذكر موجزاً عن أبرز جوانب حياته t .

س٣ - كانت تلاوة مصعب للآيات القرآنية في أوائل سورة الزخرف سبباً في إسلام سعد بن معاذ ، ارجع إلى تفسير تِلْكَ الآيات ، وتأمل مَا فيها من المعاني الَّتِي أيقظت فطرة سعد بن معاذ t .

الدرس الثامن

أبي بن كعب t

لمحات من حياته t [٤١٣]:

- هو أُبيُّ بن كَعْبِ بن قيس ، أبو منذر الأنصاري النجاري ، ويكنى أيضاً أبا الطفيل .

- كان يكتب في الجاهلية قبل الإسلام حيث كانت الكتابة قليلة، وهو أحد كتبة الوحي للرسول e ، بل إنه أول من كتب للرسول e من الأنصار[٤١٤] .

- شهد بيعة العقبة الثانية وغزوة بدر ، والمشاهد كلها مع رسول الله e ، وكان يختم القرآن في ثمانية أيام[٤١٥] .

- كان أُبيٌّ ربعةً[٤١٦] ، وكان أبيض الرأس واللحية .

- توفي بالمدينة في خلافة عثمان t سنة ثلاثين على الأرجح[٤١٧].

فضائله t :

١ - عن أنس t قال : قال النبي e لأبيٍّ :

(إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن) . قال أُبي : آلله سمَّاني لك ؟ قال : **(الله سمَّاك لي) . فجعل أُبي يبكي** . قال قتادة : فأُنبئت أنَّه قرأ عليه : { D E F G H I J }[٤١٨] أي : سورة البينة .

---

(٤١٣) ينظر : طبقات ابن سعد ٤٩٨/٣ ، سير أعلام النبلاء ٣٨٩/١ ، تذكرة الحفاظ ١٦/١ ، معرفة القراء الكبار ٣٢/١ ، البداية والنهاية ٩٧/٧ ، الإصابة ١٨٠/١ .

(٤١٤) عيون الأثر - لابن سيد الناس ٤١٣/١ .

(٤١٥) فضائل القرآن لابن كثير ص/٢٨ .

(٤١٦) أي : ليس بالطويل ولا بالقصير .

(٤١٧) وهذا ما رجحه ابن سعد في الطبقات (٥٠٢/٣) ، والأصبهاني في (سير السلف الصالحين) (٢٦٨/٢) ، ورجح الذهبي أنه توفي في خلافة عمر سنة اثنتين وعشرين (سير أعلام النبلاء ٤٠٠/١) .

(٤١٨) رواه البخاري - رقم / ٤٦٧٦ ، ٤٦٧٧ و مسلم - رقم / ٧٩٩ .

وفي رواية : (أنَّ نبيَّ الله e قال لأُبي بن كعب : (**إنَّ الله أمرني أن أُقرئك القرآن**) . قال : آلله سمَّاني لك ؟ قال : نعم .

قال : وقد ذُكرتُ عند ربِّ العالمين ؟ قال : (**نعم**) ، فذرفت عيناه[٤١٩] .

أجل ، إنها دموع الفرح والسعادة التي تملَّكَت أُبيّاً وهو يتشرف بذكر الله لاسمه في الملأ الأعلى ، وتخصيصه من بين جميع الصحابة ليستمع إلى القرآن بأمر الله تعالى من فم رسول الله e .

قال الإمام النووي رحمه الله :

(أما بكاؤه فبكاء سرور واستصغار لنفسه عن تأهيله لهذه النعمة، وإعطائه هذه المنزلة ، **والنعمة فيها من وجهين :**

أحدهما كونه منصوصاً عليه بعينه ، ولهذا قال (وسماني) معناه : نص عليَّ بعيني ، أو قال اقرأ على واحد من أصحابك ، قال (بل سمَّاك) فتزايدت النعمة .

والثاني قراءة النبي e فإنها منقبة عظيمة له لم يشاركه فيها أحد من الناس ، وقيل : إنما بكى خوفاً من تقصيره في شكر هذه النعمة ، وأما تخصيص هذه السورة بالقراءة فلأنها مع وجازتها جامعة لأصول وقواعد ومهمات عظيمة ، وكان الحال يقتضي الاختصار)[٤٢٠] .

٢ - وعن أُبي بن كعب ، قال : قال رسول الله e :

(**يا أبا المنذر ! أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم ؟**) قلت : الله ورسوله أعلم . قال : (**يا أبا المنذر أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم ؟**) قلت : الله لا إله إلا هو الحي القيوم . قال : فضرب في صدري ، وقال : (**لِيهْنِكَ العلم أبا المنذر**)[٤٢١] .

فما أعظم هذا الدعاء من رسول الله e : (**ليهنك العلم**) .

أي : ليكن العلم هنيئاً لك ، وما أعظم المكانة التي تبوأها أُبي واختص بها ببشارة الرسول e له بأعظم آية ، وهي آية الكرسي .

---

(٤١٩) رواه البخاري - رقم / ٤٦٧٧ .

(٤٢٠) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦ / ٢١ .

(٤٢١) رواه مسلم - رقم / ٨١٠ .

قال الإمام النووي رحمه الله : (في هذا الحديث منقبة عظيمة لأُبي ودليل على كثرة علمه ، وفيه تبجيل العالم فضلاءَ أصحابه وتكنيتهم ، وجواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة ، ولم يُخفْ عليه إعجابٌ ونحوه ، لكمال نفسه ورسوخه في التقوى)[٤٢٢] .

٣- وعن أبي هريرة t أنَّ رسول الله e خرج على أُبيٍّ بن كعب ، فقال : (**يا أُبيُّ**) وهو يصلي ، فالتفتَ أُبي ولم يجبه ، وصلَّى أُبي فخفَّف ، ثمَّ انصرف إلى رسول الله e ، فقال : السلام عليك يارسول الله .

فقال رسول الله e : (**وعليك السلام ، مامنعك يا أُبي أن تجيبني إذا دعوتك ؟**) .

فقال : يارسول الله إني كنت في الصلاة .

قال : (**أفلم تجد فيما أُوحي إليَّ أن** : { ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ } ؟) . قال : بلى ، ولا أعود إن شاء الله .

قال : (**تُحبُّ أن أعلِّمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ؟**) قال : نعم يارسول الله ، قال رسول الله e : (**كيف تقرأ في الصلاة ؟**) قال : فقرأ بأمِّ القرآن ، فقال رسول الله e : (**والذي نفسي بيده ما أُنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ، وإنها سبع من المثاني ، والقرآن العظيم الذي أُعطيته**)[٤٢٣] .

وهذه مزية أخرى اختص بها أُبي t بتعلمه سورة الفاتحة من الرسول e وتبشيره بفضائلها ومنزلتها .

٤- وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت النبي e يقول : (**خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب**)[٤٢٤] .

٥- وعن أنس t قال : قال رسول الله e : (**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في أمر الله عمر ، وأصدقهم حياءً عثمان ، وأقرؤهم لكتاب الله أُبي بن كعب**)[٤٢٥] .

---

[٤٢٢] شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٩٣ .

[٤٢٣] رواه الترمذي - رقم / ٢٨٧٥ ، وقال : حديث حسن صحيح .

[٤٢٤] رواه البخاري - رقم / ٣٥٩٧ .

[٤٢٥] رواه الترمذي - رقم / ٣٧٩٣ ، وقال : حديث حسن صحيح .

وهذه شهادة عظيمة لسيد القرَّاء أُبي من رسول الله e وإرشاد للصحابة ومن بعدهم لتلقي القرآن عنه.

٦ - قال الإمام الذهبي: (كان عمر بن الخطاب t يُكرم أُبياً ويهابه ويستفتيه، ولما توفي قال عمر: اليوم مات سيد المسلمين) (٤٢٦) .

مزية فريدة لأُبي t في تعلم القرآن الكريم :

لاشك أن أعظم منقبة لأبي بن كعب t ماسبق ذكره حيث أمر الله U رسوله الكريم e أن يقرأ عليه سورة البينة ، وفي هذا الأمر حِكم بليغة ودروس بديعة ، كما ذكر ذلك الإمام النووي رحمه الله ، **حيث قال ما ملخصه** (٤٢٧) :

١ - المراد أن يتعلم أبي بن كعب ألفاظ القرآن الكريم وصيغة أدائه ومواضع الوقوف وطريقة القراءة بشكل مخصوص، بخلاف ما سواه من النغم المستعمل في غيره.

٢ - الحث على تلقي القرآن الكريم من أفواه المختصين المجيدين لأدائه جيلاً بعد جيل .

٣ - بيان فضيلة أبي بن كعب والحث على الأخذ منه ، ولهذا كان بعد النبي e إماماً مقصوداً في تعليم القرآن الكريم مشهوراً بِهِ .

قال الإمام الذهبي في حديثه عن أبي بن كعب t : (سيد القراء جمع القرآن في حياة النبي e ، وعرض على النبي e ، وحفظ عنه علماً مباركاً ، وكان رأساً في العلم والعمل t) (٤٢٨) .

تصدُّره للتعليم في المسجد النبوي :

وردت روايات عديدة تبين مكانة هذا الصحابي الجليل ، وتصدره للتعليم في مسجد الرسول e ، ومنها :

١ - أورد ابن سعد في الطبقات أنَّ عثمان بن أبي العاص قدم على رسول الله e مع وفد ثقيف ، وكان أصغر الوفد سناً ، فكانوا يخلِّفونه عَلَى رحالهم يتعاهدها لهم ، فإذا رجعوا من عند رسول الله e وناموا

---

(٤٢٦) تذكرة الحفاظ ١/ ١٧ .

(٤٢٧) شرح النووي على صحيح مسلم - ١٦/ ١٩ .

(٤٢٨) سير أعلام النبلاء - ١/ ٣٩٠ .

ظهراً أتى عثمان إلى النبي e ، فأسلم قبلهم سراً وكتمهم ذلك ، وجعل يسأل النبي e عن الدين ويستقرؤه القرآن ، فقرأ سوراً من فم النبي e ، وكان إذا وجده نائماً عمد إلى أبي بكر فسأله واستقرأه ، وإلى أُبي بن كعب فسأله واستقرأه ، فأُعجب به النبي e وأحبه ، فلما أسلم الوفد جعله أميراً عليهم وهو أصغرهم ، لما رأى من حرصه على الإسلام [٤٢٩] .

ويظهر في هذه الرواية بجلاء مكانة أُبي بن كعب في تعليم القرآن الكريم ، حتى بادر هذا الصحابي الشاب إلى التلقي عنه وعن أبي بكر الصديق ، عندما يكون رسول الله e نائماً فترة الظهيرة .

٢- عن جندب بن عبدالله البجلي قال : (أتيت المدينة ابتغاء العلم ، فدخلت مسجد رسول الله e ، فإذا الناس حِلق يتحدثون، فجعلت أمضي الحلق حتى أتيت حَلْقة فيها رجل شاحب عليه ثوبان كأنما قدم من سفر .. فجلست إليه فتحدث بما قُضي له ثم قام ، فسألت عنه بعدما قام ، قلت : من هذا ؟.

قالوا : **هذا سيد المسلمين أبي بن كعب**) [٤٣٠] .

٣- وعن الفضيل بن عمرو قال : (أقرأني أبي بن كعب القرآن، فأهديت له قوساً) [٤٣١] .

ولهذا قال عمر t : (أقرؤنا أبي) ، كما كان عمر يحث الناس على التلقي عنه فيقول : (**من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أُبي بن كعب**) [٤٣٢] ، وكان يقول له : (قد جعل الله عندك علماً فعلِّم النَّاس ما عُلِّمت) [٤٣٣] .

وهكذا نذر أبي بن كعب t نفسه لتعليم القرآن الكريم حتى تلقى عنه عدد كبير من الصحابة والتابعين.

قال الإمام الذهبي رحمه الله : (أخذ عنه القراءة : ابن عباس ، وأبو هريرة ، وعبدالله بن السائب ، وعبد

---

(٤٢٩) طبقات ابن سعد ٥/ ٥٠٨ .

(٤٣٠) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠١ .

(٤٣١) الإصابة ٣/ ٤٢٣ .

(٤٣٢) سير أعلام النبلاء ١/ ٣٩٤ .

(٤٣٣) سير أعلام النبلاء ١/ ٣٩٧ .

الله بن عياش بن أبي ربيعة ، وأبو عبد الرحمن السلمي ... وآخرون) [٤٣٤] .

منهجه في التعليم :

كان أبيٌّ t حريصاً على تعليم الناس كتاب ربهم وأمور دينهم التي تنفعهم في حياتهم ، وأما ما لا ينفع من العلم فقد كان مُعرضاً عن إشغال الناس به ، مرشداً لهم أن يهتموا بالمسائل التي تمس حياتهم وواقعهم.

روى الدارمي عن مسروق قال : (كنت أمشي مع أُبي بن كعب ، فقال فتىً : ما تقول ياعماه في كذا وكذا؟ قال : يا ابن أخي أكان هذا ؟ قال : لا . قال : فأعفنا حتى يكون) [٤٣٥] .

وفي رواية: (فاجمنا حتى يكون ، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا)[٤٣٦] .

وفي هذا إرشاد وتوجيه لهذا الشاب أن يهتم بالأمور والمسائل الأساسية التي يحتاجها المسلم ، ولا ينشغل بالبحث عن الفتاوى للأمور الافتراضية التي لم تقع ، لأنَّ بابها لا ينتهي ، وهي مدخل إلى الجدال والانشغال عن العلم النافع ، ولعلها إذا وقعت لا تكون بالصورة الوهمية المفترضة التي يسأل عنها السائل ، وإنما تكون بشكل آخر .

نماذج من أقواله ووصاياه

١ - روى الربيع بن أنس عن أَبي العالية قال : قال رجل لأُبي بن كعب : أوصني ، قال : (**اتخذ كتاب الله إماماً ، وارض به حكماً وقاضياً ، فإنه الذي استَخْلَفَ فيكم رسولُكُم ، شفيع مطاع ، وشاهدٌ لا يُتَّهم ، فيه ذكركم وذكر من قبلكم ، وحكم ما بينكم ، وخبركم وخبر ما بعدكم**) [٤٣٧] .

٢ - عن أبي نضرة قال : قال رجلٌ منا يقال له : جابر أو جويبر، قال : أتيتُ عمر وقد أُعطيتُ منطقاً فأخذت في الدنيا ، فصغَّرتها ، فتركتها لا تسوى شيئاً ، وإلى جنبه رجل أبيض الرأس واللحية والثياب، فقال : كلُّ قولك مقارب إلا وقوعك في الدنيا ، **هل تدري ما الدنيا ؟ فيها بلاغنا وزادنا إلى الآخرة ، وفيها**

---

(٤٣٤) معرفة القراءة الكبار ١ / ٣٢ .

(٤٣٥) رواه الدارمي - رقم / ١٥٠ .

(٤٣٦) سير أعلام النبلاء ١ / ٣٩٩ .

(٤٣٧) تذكرة الحفاظ - ١ / ١٧ .

أعمالنا التي نُجزى بها .

قلت: من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : **هذا سيِّد المسلمين أُبيُّ بن كعب)** (٤٣٨).

وهكذا وضَّح سيِّدالقراء t المنهج القرآني في بيان حقيقة الدنيا وأنها ليست مذمومة إلا إذا أشغلت عن طاعة الله سبحانه ، فالواجب السعي فيها لمرضاة الله سبحانه واتخاذها مزرعة للآخرة .

مشهد الوداع

عن عُتي بن ضمرة قال : (رأيت أهل المدينة يموجون في سككهم ، فقلت : ما شأن هؤلاء ؟ فقال بعضهم : وما أنت من أهل البلد ؟ قلت : لا . قَالَ : **فإنه قد مات اليوم سيد المسلمين ، أُبيُّ بن كعب)**(٤٣٩) .

تغمده الله بواسع رحمته ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

---

(٤٣٨) سير أعلام النبلاء ١/ ٣٩٢ .

(٤٣٩) سير أعلام النبلاء ١/ ٣٩٨ .

أسئلة للدرس الثامن

س١ - اذكر خمسة فضائل ومزايا لسيد القراء أبي بن كعب t وردت في ثنايا هذا الدرس ؟

س٢ - علَّم رسول الله e الصحابي الجليل (أُبَيَّ بن كَعْبٍ) سورة الفاتحة وسماها السبع المثاني ... فما معنى هذه التسمية ؟ واذكر الأسماء الأخرى لهذه السورة ؟

س٣ - أوضح أبي بن كعب t المنهج السوي في تحديد موقف المسلم من الدنيا والزهد فيها ، اشرح ذلك بشيء من التفصيل مستشهداً ببعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ؟

الدرس التاسع

عبد الله بن مسعود t (١)

لمحات من حياته t [٤٤٠]:

- هو عبد الله بن مسعود بن غافل ، من قبيلة هذيل ، كنَّاه النبي e بأبي عبد الرحمن ، وأما لقبه فكان يُعرف بأمه ، فيقال له : ابن أم عبد ، وهي : أم عبد الله بنت عبد ود ، أسلمت مَعَ السابقين الأولين .

- ولد في السنة الثانية والعشرين من مولد النبي e ، وقد مات والده وهو صغير فنشأ يتيماً ، وكان يرعى الغنم أجيراً .

- أسلم مبكراً وهو غلام ، وكان سادس من أسلم ، قبل دخول الرسول e دار الأرقم .

وأول معرفته بالإسلام أنه قدم مكة مع أناس من قومه لشراء عطور فأرشدوهم إلى العباس فجلسوا إِلَيْهِ ، وإذا بهم يرون الرسول e يدخل من باب الصفا كأنه القمر ليلة البدر فيطوف بالبيت ومعه علي وزوجته خديجة ثم يكبر ويصلي .

- وقد كان يرعى الغنم مرة فجاءه الرسول e ومعه صاحبه أبو بكر وقالا له : هل عندك من لبن تسقينا ؟ ، فقال : إني مؤتمن ولست ساقيكما .. وكانت المعجزة النبوية سبباً في إسلامه (كما سنذكر بعد قليل) .

- آخى الرسول e يوم الهجرة بينه وبين معاذ بن جبل رضي الله عنهما ، وكان لابن مسعود شرف المشاركة في الغزوات مع الرسول e .

- كان يخدم النبي e في بيته ويقوم على شؤونه ويلزم صحبته في أسفاره ، وقد روى كثيراً من المشاهد العظيمة والأحكام الجليلة .

---

(٤٤٠) طبقات ابن سعد ٢/٣٤٢ ، اتحاف الورى بأخبار أم القرى ١/١٣٠ ، صفة الصفوة ١/١٨٠ ، سير أعلام النبلاء ١/٤٦١ ، تذكرة الحفاظ ١/١٣ ، معرفة القراء الكبار ١/٣٣ ، الإصابة ٢/٣٦٠ ، شذرات الذهب ١/٣٨ ، وانظر كتاب (عبد الله بن مسعود) تأليف : عبدالستار الشيخ ، ضمن سلسلة أعلام المسلمين .

- كانت له مواقف مشهودة ، فهو أول من جهر بالقرآن الكريم بعد رسول الله e بمكة ، وفي غزوة بدر قال الرسول e : من ينظر ما صنع أبو جهل ؟ فانطلق ابن مسعود فوجده جريحاً فأخذ بلحيته وداس فوق عنقه ، وقال : هل أخزاك الله ياعدو الله ؟

فقال له أبو جهل : لقد ارتقيت مُرتقىً صعباً يارُويعيَ الغنم .

فاجتزَّ ابن مسعود رأسه ، وجاء به إلى الرسول e قائلاً : هذا رأس عدو الله أبي جهل (٤٤١) .

- شارك في حروب الردة ، ومعركة اليرموك ، وفتح حمص ، أرسله عمر t إلى أهل الكوفة ليعلمهم أمور دينهم وتولى مسؤولية بيت المال في الكوفة في خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما ، وقدِم في أواخر عمره إلى المدينة ، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين وَقَدْ جاوز الستين من عمره ، ودفن بالبقيع .

- وقال عنه الشعبي رحمه الله : (**مَا دخل الكوفة أحد من الصحابة أنفع علماً ولا أفقه صاحباً من عبد الله بن مسعود**) (٤٤٢) .

- وقال الإمام الذهبي : (يمكن أن تجمع سيرة ابن مسعود في نصف مجلد ، فلقد كان من سادة الصحابة وأوعية العلم وأئمة الهدى) (٤٤٣) .

كما قال عنه : (الإمام الحبر ، فقيه الأمة ، الهُذلي المكي المهاجري البدري ، كان من السابقين الأولين ، ومن النجباء العالمين ، شهد بدراً ، وهاجر الهجرتين ، ومناقبه غزيرة ، روى علماً كثيراً) (٤٤٤) .

فضائله t :

١ - عن زرِّ بن حبيش ، عن ابن مسعود أنه قال : كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط ، فجاء النبي e وأبو بكر .

فقالا : ياغلام ، هل عندك من لبنٍ تسقينا ؟

---

(٤٤١) انظر الرواية في صحيح البخاري - رقم /٣٧٤٥ ، وسيرة ابن هشام ٢/٦٣٦

(٤٤٢) سير أعلام النبلاء ١/٤٩٤ .

(٤٤٣) تذكرة الحفاظ ١/١٦

(٤٤٤) سير أعلام النبلاء ١/٤٦١ .

قلت : إنِّي مؤتمن ، ولست ساقيكما .

فقال النبي e : **(هل عندك من جذعة [٤٤٥] ؟)**

قلت : نعم ، فأتيته بها ، فاعتقلها [٤٤٦] النبي e ، ومسح الضرع ودعا ، فحفل الضرع ، ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة ، فاحتلب فيها فشرب ، وشرب أبو بكر ، ثم شربت ، ثم قال e للضرع : **(اقلِص)** [٤٤٧] . فقلص ، فأتيته بعد ذلك فقلت : **علِّمني من هذا القول !**

قال : **(إنَّك غلامٌ معلَّم)** .

قال : **فأخذت مِن فيه** [٤٤٨] **سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد)** [٤٤٩] .

فما أعظم هذه الكلمة التي قالها ابن مسعود t : (إني مؤتمن) مع أنه لم يُسلم بعد ، وهذا دليل على صفاء نفسه ونقاء فطرته ، ولهذا سارع إلى الإسلام وكان من السابقين .

وأما قول الرسول e لعبد الله بن مسعود : **(إنَّك غلامٌ معلَّم)** أي : أنت صالح لأن تُعلَّم فتَعْلم ، وتُلقَّن فتفهم [٤٥٠] ، وهذه بشارة عظيمة له من الصادق المصدوق e حظي ابن مسعود ببركتها حتى أصبح من أكبر علماء الصحابة ، فهو الشاب الأمين المؤتمن ، والعلم يتطلب الأمانة في التلقي والتحمل والطلب ، والأمانة في التبليغ والأداء والتعليم ، وقد تحوَّل ابن مسعود t بعد إسلامه من غلام يرعى الغنم إلى معلِّم من كبار علماء الصحابة وقرائهم ، بل تحول من الجهل وظلماته إلى حياة الهداية وأنوارها .

٢ - ومن أعظم فضائله t أنَّ النبي e أمره أن يقرأ عليه القرآن الكريم واستمع لقراءته حتى ذرفت عيناه .

روى البخاري عن عبد الله بن مسعود t قال : قال لي النبي e : **(اقرأ عليَّ القرآن)** . قلت : أقرأ

---

(٤٤٥) الجذعة : هي من الضأن ما تمت لها سنة .

(٤٤٦) اعتقال الشاة هو أن يضع رجلها بين ساقه وفخذه ثم يحلبها .

(٤٤٧) اقلص : اجتمع ، وعُد كما كنت .

(٤٤٨) فيه : أي فمه .

(٤٤٩) رواه الإمام أحمد في المسند - رقم / ٣٥٩٨ ، وأورده الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (١/ ٣٣٥) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد .

(٤٥٠) المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - للإمام أبي العباس القرطبي - ٦/ ٣٧٢ .

عليك وعليك أُنزل ؟!.

قال : (**فإني أحب أن أسمعه من غيري**)

- وفي رواية : (**إني أشتهي أن أسمعه من غيري**) .

فقرأت عليه سورة النساء ، حتى بلغت : { W X Y Z [\ ] ^ _ `

a b }[٤٥١] . قال : (**حسبك الآن**) فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان [٤٥٢] .

وفي رواية: قال لي رسول الله e وهو على المنبر : (**اقرأ عليَّ القرآن**)[٤٥٣].

فما أعظم الاصطفاء لذلك الصحابي الجليل لكي يتلو آيات القرآن الكريم أمام النبي e وتذرف دموعه الشريفة e تأثراً وخشوعاً .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى :

(وفي حديث ابن مسعود هذا فوائد ، منها استحباب استماع القراءة والإصغاء لها ، والبكاء عندها وتدبرها ، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع لها ، وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه ، وفيه تواضع أهل العلم والفضل ولو مع اتباعهم) [٤٥٤] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

(والذي يظهر أنَّ الرسول e بكى رحمة لأمته ؛ لأنه علم أنه لابد أن يشهد عليهم بعملهم ، وعملُهم قد لايكون مستقيماً ، فقد يفضي إلى تعذيبهم) [٤٥٥] .

٣- وعن عبد الله بن مسعود t قال : لما نزلت هذه الآية : { V W X Y Z [

---

(٤٥١) سورة النساء / آية ٤١ .

(٤٥٢) رواه البخاري - رقم /٤٣٠٦ ، ٤٧٦٣ ، ٤٧٦٨ .

(٤٥٣) فتح الباري ٧١٨/٨ .

(٤٥٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٨٨/٦ .

(٤٥٥) فتح الباري ٧١٨/٨ .

\ ] ^ _ ` a b .. } [٤٥٦]، قال لي رسول الله e : **(قيل لي : أنت منهم)** [٤٥٧].

فانظر كيف اختُصَّ ابن مسعود t بأن يذكر اسمه في الملأ الأعلى بهذا الفضل العظيم ، وكيف بادر الرسول e لبشارته ، ويالها من بشارة لا تعدلها كنوز الدنيا !!.

٤- وعن زر عن عبد الله أن رسول الله e مرَّ بين أبي بكر وعمر ، وعبدالله بن مسعود قائم يصلي ، فافتتح سورة النساء يسجلها [٤٥٨] ، فقال e : **(من أحبَّ أن يقرأ القرآن غضَّاً كما أُنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد)** . فأخذ عبد الله في الدعاء ، فجعل رسول الله e يقول : **(سلْ تُعط)** . فكان فيما سأل : (اللهمَّ إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد ، ومرافقة نبيك محمد e في أعلى جنات الخلد) .

فأتى عمر عبدَ الله يبشره ، فوجد أبا بكر خارجاً قد سبقه ، فقال : إنَّك لسبَّاق بالخير) [٤٥٩] .

٥- وعن أبي موسى الأشعري t قال : (قدمت أنا وأخي من اليمن ، فكنَّا حيناً وما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت النبي e من كثرة دخولهم ولزومهم له) [٤٦٠] .

والمعنى : مكثنا زماناً ونحن نظن أنهما من أهل بيت النبوة [٤٦١] ، وهذه منقبة عظيمة لابن مسعود وأمه رضي الله عنهما .

٦- وعن معاوية بن قرَّة عن أبيه قال : صعد ابن مسعود شجرةً فجعلوا يضحكون من دقة ساقيه ، فقال النبي e : **(لهما في الميزان أثقل من أُحد)** [٤٦٢] .

---

(٤٥٦) سورة المائدة / آية ٩٣ .

(٤٥٧) رواه مسلم - رقم / ٢٤٥٩ .

(٤٥٨) يسجلها : أي يقرؤها قراءة مفصَّلة .

(٤٥٩) رواه الإمام أحمد في المسند ١/٤٤٥ ، والحاكم بنحوه ٣/٣١٧ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وصحّحه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٩٠ .

(٤٦٠) رواه البخاري - رقم /٣٥٥٢ ، رواه مسلم - رقم / ٢٤٦٠ .

(٤٦١) شرح مسلم للنووي - ١٦/١٤.

(٤٦٢) رواه الحاكم ٣١٧/٧ وصححه ووافقه الذهبي ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٩٢ ، وقال : (رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح)

٧- وعن أبي الدرداء t قال : (خطب رسول الله e خطبة خفيفة ، فلما فرغ من خطبته قال: **(يا أبا بكر قم فاخطب)** . فقصَّر دون رسول الله e ، فلما فرغ من خطبته قال : **(يا عمر قم فاخطب)** . فقام فخطب فقصَّر دون رسول الله e ودون أبي بكر .. ثم قال : **(يا ابن أم عبد قم فاخطب)** فقام ابن أم عبد فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

(يا أيها الناس إنَّ الله عزَّ وجل ربنا ، وإنَّ الإسلام ديننا ، وإنَّ القرآن إمامنا ، وإنَّ البيت قبلتنا ، وإنَّ هذا نبينا ـ وأومأ بيده إلى النبي e ـ **رضينا ما رضي الله تعالى لنا ورسوله ، وكرهنا ما كره الله تعالى لنا ورسوله)**

فقال النبي e : **(أصاب ابن أم عبد ، أصاب ابن أم عبد وصدق ، رضيتُ لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد)** [٤٦٣] .

٨- عن عبد الرحمن بن يزيد قَالَ : سألنا حذيفة عن رجلٍ قريب السمت والهدى من النبي e حَتَّى نأخذ عنه ، فقال : مَا أعرف أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودَلَّاً[٤٦٤] بالنبي e من ابن أم عبد) [٤٦٥] .

ابن مسعود يجهر بالقرآن في مكة :

حدَّث ابن إسحاق عن عروة بن الزبير عن أبيه قال : أوَّل من جهر بالقرآن بعد رسول الله e بمكة عبد الله بن مسعود ، قال : اجتمع يوماً أصحاب رسول الله e فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر به قط ، فمن رجل يُسْمِعُهُمُوهُ ؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا ! قالوا: إنَّا نخشاهم عليك، إنَّما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ! قال: دعوني فإنَّ الله سيمنعني ! قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها ، حتى قام عند المقام ثم قرأ : { Z } | { } رافعاً بها صوته { G H I J } ، قال : ثم استقبلها يقرؤها، قال : فتأمَّلوه فجعلوا يقولون : ماذا قال

---

(٤٦٣) رواه الحاكم (٣/٣١٧) وصحَّحه ووافقه الذهبي ، ورواه البزار والطبراني كما في مجمع الزوائد (٩/٢٩٣)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٣/٢٢٥).

(٤٦٤) السمت : الهيئة الحسنة والخشوع ، والدلُّ : السيرة والشمائل ، وَهُوَ مأخوذ مِمَّا يدل ظاهر حاله عَلَى حُسن فِعاله . (فتح الباري ٧/١٢٩) .

(٤٦٥) رواه البخاري - رقم / ٣٥٥١ .

ابن أمِّ عبد ؟! قال : ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد ! فقاموا إليه فجعلوا يضربونه في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثَّروا في وجهه .

فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك !

فقال : **ماكان أعداء الله أهون عليَّ منهم الآن ، ولئن شئتم لأغدينَّهم بمثلها غداً !**

قالوا : لا ، حسبك ، قد أسمعتهم ما يكرهون) [٤٦٦] .

منزلة ابن مسعود بين قرَّاء الصحابة :

اشتهر ابن مسعود t بملازمته للنبي e وخدمته له ومرافقته وحرصه الشديد على الأخذ عن النبي e منذ بداية إسلامه وهو في مكة في ريعان شبابه حتى توفي الرسول e وقد ضمَّه النبي e لنفسه وجعله في عداد أهل بيته ، فلازمه حضراً وسفراً وليلاً ونهاراً ليتعلم منه وينقل عنه [٤٦٧] ، كل هذا جعله أهلاً لتميزه عن باقي الصحابة الكرام في تعليم القرآن الكريم حتى أصبح من أعلمهم بكتاب الله تعالى ، وحُقَّ له أن يفخر بذلك .

١ - عن مسروق قال : ذُكر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو فقال : ذاك رجل لا أزال أحبه ، سمعت النبي e يقول : (**خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود**) فبدأ به (**وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب**) .

وفي رواية : (**استقرؤا القرآن من أربعة ..**) [٤٦٨] .

٢ - وعن شقيق بن سلمه قال : خطَبنا عبد الله بن مسعود فقال : (والله لقد أخذتُ من في [٤٦٩] رسول الله e بضعاً وسبعين سورة ، والله لقد علم أصحاب النبي e أني من أعلمهم بكتاب الله ، وما أنا بخيرهم .

(٤٦٦) سيرة ابن هشام ١/ ٣١٤-٣١٥ .

(٤٦٧) المفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم ٦/ ٣٧٢ .

(٤٦٨) رواه البخاري - رقم / ٣٥٩٧ ، ومسلم - رقم / ٢٤٦٤ .

(٤٦٩) أي : فم رسول الله e .

قال شقيق : فجلست في الحلق أسمع ما يقولون ، فما سمعت رادًّا يقول غير ذلك) [470] .

٣ - وعن مسروق قال : قال عبد الله t :

(والله الذي لا إله غيره ، ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أُنزلت ، ولا أُنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أُنزلت ، ولو أعلمُ أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبتُ إليه) [471] .

---

[470] رواه البخاري - رقم /٤٧١٤ ، ومسلم - رقم / ٢٤٦٢ .

[471] رواه البخاري - رقم /٤٧١٦ ، ومسلم - رقم / ٢٤٦٣ .

الدرس العاشر

عبد الله بن مسعود (٢)

منهجه t في التعليم :

التزم الصحابة y بالمنهج النبوي في تعليم القرآن والذي سبق الحديث عنه بالتفصيل، وقد تظاهرت الروايات الدالة على ذلك في حياتهم ودعوتهم .

وإليك أبرز معالم هذا المنهج الذي التزمه ابن مسعود t في التعليم متأسياً بالرسول e .

١ - التأكيد على إتقان التلاوة مع التدبر :

روى مسلم عن أبي وائل ، قال : جاء رجل يقال له نهيك بن سنان إلى عبد الله ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ! كيف تقرأ هذا الحرف ، أَلِفاً تجده أم ياءً : من ماءٍ غير آسن [٤٧٢] أو من ماءٍ غير ياسن ؟ .

فقال عبد الله : وكلَّ القرآن قد أحصيت غير هذا ؟

قال : إني لأقرأ المفصل في ركعة .

فقال عبد الله : (**هذّاً كهذِّ الشعر**[٤٧٣] ؟ **إنَّ أقواماً يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم** [٤٧٤]، **ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع** ، إنَّ أفضل الصلاة الركوع والسجود) [٤٧٥] .

وقد أكَّد ابن مسعود t التزامه بالمنهج النبوي في الحث على تدبر آيات القرآن الكريم ، وأنَّ العبرة ليست بكثرة التلاوة ، وإنما بالإتقان والتفكر في المعاني .

---

(٤٧٢) آسن : الآسن من الماء هو المتغير الطعم واللون .

(٤٧٣) هذّاً كهذِّ الشعر: نصبه على المصدر : أي أتهذُّ القرآن هذّاً ، فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر، قال النووي : الهذُّ شدة الإسراع والإفراط في العجلة. ينظر شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ١٠٥ .

(٤٧٤) لا يجاوز تراقيهم : أي لا يجاوز القرآن تراقيهم ليصل إلى قلوبهم ، فليس حظهم منه إلا مروره على ألسنتهم ، والتراقي جمع ترقوة ، وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق ، وهما ترقوتان من الجانبين .

(٤٧٥) رواه البخاري (٧٤٢) باب صفة الصلاة ، ومسلم (٨٢٢) .

وقد قال للرجل السائل : (وكلَّ القرآن قد أحصيت غير هذا !) ولم يجبه عن سؤاله ؛ لأنه لم يكن يقصد التعلم والمعرفة حسب ما لاحظ منه .

قال الإمام النووي : (هذا محمول على أنه فهم منه أنه غير مسترشد في سؤاله ، ولو كان مسترشداً لوجب جوابه) [٤٧٦] .

ولهذا كَانَ عبد الله بن مسعود يؤكد عَلَى تدبر معاني القرآن الكريم ، ويقول : (إذا سمعت الله يقول : { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ } فأَرْعِها سمعكُ ، فإنه خيرٌ يأمر بِهِ أو شرٌّ ينهى عنه) [٤٧٧] .

٢ - التخفيف عَلَى الناس وترغيبهم :

كَانَ ابن مسعود حريصاً عَلَى عدم الإثقال عَلَى الناس في التعليم خشية الملل تأسياً بالرسول e .

عن شقيق بن سلمةَ قَالَ : خرج علينا عبد الله بن مسعود t فقال : (إني لأخبرُ بمجلسكم فما يمنعني من الخروج إليكم إِلاَّ كراهية مللكم ؛ وإن رسول الله e كَانَ يتخوَّلنا [٤٧٨] بالموعظة مخافة السآمه علينا) [٤٧٩] .

وعن الأعمش أن عبد الله بن مسعود t مرَّ برجل يذكِّر قوماً فقال : (يا مذكِّر لا تقنِّط الناس) [٤٨٠] .

كَمَا كَانَ t يحرص عَلَى تشويق المتعلمين وترغيبهم بمختلف الأساليب ، فقد روى البيهقي في سننه عن علقمه أنه قَالَ :

(كنت رجلاً قد أعطاني الله U حُسن الصوت بالقرآن ، وَكَانَ عبد الله بن مسعود يستقرئني ويقول : اقرأ فداك أبي وأمي فإني سمعت رسول الله e يقول : **إن حُسن الصوت يزين القرآن**) [٤٨١] .

وَكَانَ يحثُّ عَلَى مجالس العلم ويرغِّب فِيهَا ، ومن أقواله في ذَلِكَ :

---

(٤٧٦) شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ١٠٤ .

(٤٧٧) حياة الصحابة ٣/ ٢٣٦ ، نقلاً عن الحلية لأبي نعيم ١/ ١٣٠ .

(٤٧٨) يتخولنا : يتعهدنا ويراعي الأوقات في تذكيرنا ، والحديث رواه البخاري - رقم /٦٨ ، ومسلم - رقم / ٢٨٢١ .

(٤٧٩) جامع بيان العلم لابن عبد البر ١/ ١٠٥ .

(٤٨٠) رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح كَمَا قَالَ الهيثمي في مجمع الزوائد ١ / ١٩١ .

(٤٨١) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٥٤ ، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٧ / ٨٤ .

- (نِعم المجلس الَّذِي تذكر فيه الحكمة) [٤٨٢] .

- (المتقون سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة) [٤٨٣] .

وستطالع بَعْدَ عدة صفحات بدائع من أقواله ووصاياه t في هَذَا المجال .

٣- الحرص عَلَى أمانة العلم :

كَانَ ابن مسعود t حريصاً عَلَى أمانة العلم ، والتحذير من التهاون فِيهَا ، ومن أقواله في ذَلِكَ :

(أيها الناس ، من سُئِلَ عن علم يعلمه فليقل بِهِ ، ومن لم يكن عنده علم فليقل : الله أعلم ؛ فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم : الله أعلم) [٤٨٤] .

كَمَا كَانَ يرشد تلاميذه إلى الإقبال عَلَى التعليم والأخذ عن العلماء الَّذِينَ هم ورثة الأنبياء وحَمَلةُ القرآن والسنة ، فكان يقول :

(يا أيها الناس عَلَيْكُم بالعلم قبل أن يُقبض ، وقبضه ذهاب أهله ، وعليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يُفتقَر إلى مَا عنده .. فَإِنَّهُ سيجئ قوم يتلون كتاب الله ينبذونه وراء ظهورهم) [٤٨٥] .

ولما أراد أن يغادر الكوفة ويرجع إلى المدينة جمع تلاميذه وأصحابه الَّذِينَ تلقوا القرآن عَلَى يده ، وأمرهم بتقوى الله وأن لا يختلفوا في القرآن ولا يتنازعوا فيه ، ثم قَالَ لَهُمْ :

(والله إني لأرجو أن يكون قد أصبح اليوم فيكم من أفضل مَا أصبح في أجناد المسلمين من الدين والفقه والعلم بالقرآن) [٤٨٦] .

كَمَا كَانَ يحذر أصحابه من سؤال أهل الكتاب (اليهود والنصارى) عن شيء لأنهم حرَّفوا وبدَّلوا ، فمن سألهم عن شيء فليأخذ مَا وافق كتاب الله U وليحذر من تصديقهم فيما يخالفه .

([٤٨٢]) رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن كَمَا قَالَ الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٦٧ .

([٤٨٣]) رواه الطبراني ورجاله موثوقون كَمَا قَالَ الهيثمي ١/١٢٦ .

([٤٨٤]) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر - ٢/٥١ .

([٤٨٥]) رواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد ١/١٢٦ .

([٤٨٦]) رواه الإمام أحمد ١/٤٥٠ .

عن حُريث بن ظُهير قَالَ : قَالَ عبد الله بن مسعود t : (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وَقَدْ ضلُّوا فتكذِّبون بحقٍّ أو تصدقون بباطل)

وفي رواية : (إن كُنتُم سائليهم لا محالة فانظروا مَا واطأ [٤٨٧] كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فَدَعُوه) [٤٨٨] .

نماذج لمجالس ابن مسعود t في تعليم القرآن الكريم :

اشتهر ابن مسعود t بتعليم القرآن طوال حياته ، وخاصة في الكوفة حَيْثُ أرسله عمر بن الخطاب t إلى أهلها سنة ٢١ هـ ، وَقَدْ كتب عمر t إلى أهل الكوفة :

(إني قد بعث إليكم عماراً أميراً ، **وابن مسعود معلماً ووزيراً** ، وهما من النُّجباء من أصحاب محمد e من أهل بدر ، فاسمعوا لهما واقتدوا بهما **وَقَدْ آثرتكم بعبد الله عَلَى نفسي**) [٤٨٩] .

وَلَقَدْ كان t حريصاً على أن تكون مجالسه في تعليم القرآن الكريم مزدانةً بالإرشاد والتوجيه ، وحثِّ الناس على الالتزام بأخلاق القرآن وهدي الإسلام ، والتحذير من المعاصي .

وإليك هذا النموذج في تفسيره لإحدى الآيات الكريمة وتعليقه عليها :

عن عبد الله بن السائب عن راذان عن ابن مسعود t قال : (إنَّ القتل في سبيل الله يكفِّر الذنوب كلها غير الأمانة ، يؤتى بِهِ وإن قُتل في سبيل الله ، فيقال لَهُ : أدِّ أمانتك . قال : ربِّ ! كيف أؤديها وقد ذهبت الدنيا ؟!

فيقول : اذهبوا به إلى الهاوية ، حتى إذا انتُهِيَ به إلى قرار الهاوية ، مُثِّلَتْ له أمانته كيومِ دُفعت إليه ، فيحملها ، فيضعها على عاتقه ، فيصعد في النار ، حتى إذا رأى أنْ قد خرج منها زلَّت عن عاتقه ، فهوت

(٤٨٧) مَا واطأ : مَا وافق .

(٤٨٨) انظر هَذِهِ الروايات في حياة الصحابة ٣/ ١٧٠ ، وَقَدْ وردت في جامع بيان العلم ٢ / ٤٠ ، ومجمع الزوائد ١ /١٩٢ .

(٤٨٩) رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح كَمَا قَالَ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ /٢٩١ ، ورواه الإمام أحمد في كتاب فضائل الصحابة رقم/١٥٤٧، وذكره الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ١ /٤٨٦ .

وهوى في أَثرها أَبَد الآبدين . ثم تلا ابن مسعود : { ©ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا } (٤٩٠) .

قال زاذان : فلقيت البراء بن عازب ، فحدَّثته بما قال ابن مسعود ، فقال : صدق أخي) (٤٩١) .

وإليك نموذجاً آخر يصف تلك المجالس القرآنية التي تُعقد في دار ابن مسعود t ،وأكرِم بها من دارٍ حفلت بمجالس تعليم القرآن :

فقد أخرج الطبراني عن عبد الله بن مسعود t أنه كان يقرئ الرجل الآية ، ثم يقول : (**لهي خير مما طلعت عليه الشمس**) حتى يقول ذلك في القرآن كله .

وفي رواية : (كان ابن مسعود إذا أصبح أتاه الناس في داره ، فيقول : على مكانكم . ثم يمر بالذين يقرئهم القرآن ، فيقول : أيا فلان بأي سورة أتيت ؟ فيخبره في أي آية ، فيفتح عليه الآية التي تليها ، ثم يقول : تعلَّمها فإنَّها خير لك ممَّا بين السماء والأرض ، ثم يمر بالأخرى فيقول : آيـةٌ مثل ذلك ، حتى يقول ذلك لكلِّهم) (٤٩٢) .

فانظر إلى هذا الأسلوب البديع في الحث والتشويق على تعليم القرآن الكريم ، وتقوية همم الدارسين ، حتى يتسابقوا إلى نيل هذا الخير العظيم لأنه كل آية يتعلمها أحدهم خير له مما طلعت عليه الشمس ، ومن الدنيا ومافيها ، وهكذا كان ابن مسعود t يغرس حب القرآن الكريم في نفوس تلاميذه ، ويقول لهم مبشراً : (**من أحب القرآن فليبشر**) (٤٩٣) .

ويقول لهم أيضاً : (**إنَّ هذا القرآن مأدبة الله ، فمن دخل فيه فهو آمن**) (٤٩٤) .

---

(٤٩٠) سورة النساء / آية ٥٨ .

(٤٩١) رواه الطبراني في الكبير ١٠ / ٢٧٠ ، والبيهقي في الشعب ٤ / ٣٢٣ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ / ٢٩٣) : رجاله ثقات ، ورواه الدينوري في المجالسة ٤ / ٤٨٠ . وقد جاء في الحديث المرفوع الذي رواه مسلم (١٨٨٦): (القتل في سبيل الله يكفِّر كل شيء إلا الدَّين) .

(٤٩٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٧٠) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٤٩٣) رواه الدارمي - رقم / ٣٣٢٣ .

(٤٩٤) رواه الدارمي - رقم / ٣٣٢٢ .

وإليك نموذجاً ثالثاً لبيان الثمرات المباركة الَّتِي أثمرتها جهود ابن مسعود t في تعليم القرآن .

روى البخاري عن علقمة قَالَ : (كنا جلوساً مَعَ ابن مسعود t فجاء خبّاب [٤٩٥] فقال : يا أبا عبد الرحمن أيستطيع هَؤُلاءِ الشباب أن يقرؤوا كَمَا تقرأ ؟

قَالَ : أما إنك لَوْ شئتَ أمرتُ بعضهم يقرأ عليك .

قَالَ : أجل .

قَالَ : اقرأ يا علقمة ... وفي رواية (قَالَ : رتِّل فداك أبي وأمي) فقرأتُ خمسين آية من سورة مريم .

قَالَ عبد الله : كَيْفَ ترى ؟

قَالَ : قد أحسن .

قَالَ عبد الله : ما أقرأ شيئاً إِلاَّ وَهُوَ يقرؤه) [٤٩٦] .

وهَذِهِ منقبة عظيمة لعلقمة أبرز تلاميذ ابن مسعود t وشهادة لَهُ من أستاذه أَنَّهُ مثله في القراءة والإتقان ، وَهُوَ يدل أيضاً عَلَى جهود ابن مسعود t وحرصه عَلَى الدِّقة في تعليم القرآن الكريم كَمَا تلقاه الصحابة الكرام عن رسول الله e .

أقواله ووصاياه :

١ - روى الدارمي عن عبد الله بن مسعود أنه قال :

(إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، والنور والشفاء النافع ، عصمةٌ لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه) [٤٩٧] .

وفي رواية : (إن هذا القرآن مأدبة ، فخذوا منه ما استطعتم ، فإني لا أعلم شيئاً أصغر من بيتٍ ليس فيه كتاب الله ، وإنَّ القلب الذي ليس فيه من كتاب الله شيءٌ خَرِبٌ ، كخراب البيت الذي لا ساكن له)[٤٩٨] .

---

(٤٩٥) هُوَ خباب بن الأرت الصحابي المشهور .

(٤٩٦) رواه البخاري - رقم / ٤١٣٠ .

(٤٩٧) رواه الدارمي - رقم / ٣٣١٥ .

(٤٩٨) رواه الدارمي - رقم / ٣٣٠٧

وفي رواية أخرى : (عليكم بهذا القرآن ، فإنه مأدبة الله ، فمن استطاع منكم أن يأخذ من مأدبة الله شيئاً فليفعل ، فإنما العلم بالتعلم)[٤٩٩] .

٢- وعنه t أنه قال : (يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه فيكون قائداً له إلى الجنة، ويشهد عليه ويكون سائقاً له إلى النار) [٥٠٠].

٣- **ومن أقواله ووصاياه الوصية المشهورة لحملة القرآن ، حَيْثُ قَالَ** t : (ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليلهِ إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون) [٥٠١] .

٤ -**وقال t موصياً بالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه e والحذر من مواطن الفتن :**

(إنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله ، وأوثقَ العُرى كلمةُ التقوى وخيرَ المِلَل ملةُ إبراهيم ، وأحسن السُّنن سنة محمد e ، وخيرَ الهدي هديُ الأنبياء ، وأشرفَ الحديثِ ذكرُ الله ، وخيرَ القصص القرآن ، وخيرَ الأمور عوازِمُها ، وشر الأمور مُحدثاتها ، وماقلَّ وكفى خيرٌ مما كثُر وألهى ، ونفسٌ تُنجيها خيرٌ من إمارة لاتُحصيها ، وشرُّ المعذرة حين يحضر الموت ، وشرُّ الندامة ندامة يوم القيامة ، وشرُّ الضلالةِ الضلالةُ بعد الهدى ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزَّاد التقوى ، وخير ما وَقَر في القلب اليقينُ ، وشرُّ العمى عمى القلب ... وإنما يكفي أحدَكم ما قنعتْ به نفسُهُ) [٥٠٢] .

٥- **ومن بدائع أقواله t في الحث عَلَى صلاة الجماعة في المسجد** والتحذير من التخلف عنها مَا رواه مسلم وأصحاب السنن أن عبد الله ابن مسعود t قَالَ : (من سرَّه أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ عَلَى هَذِهِ الصلوات حَيْثُ ينادى بهن ، فإن الله U شرع لنبيكم سُنن الهدى ، وإنهن من سُنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كَمَا يُصلي هَذَا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتُم ، وما

(٤٩٩) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١ /١٢٩، وقال : رواه البزار ورجاله موثقون.

(٥٠٠) رواه الدارمي - رقم / ٣٣٢٥ .

(٥٠١) رواه أبو نعيم في الحلية ١ / ١٣٠ ، وأورده الإمام النووي في التبيان ص ٤٣ .

(٥٠٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ١٢٤ ، وأورده ابن القيم في الفوائد ص/ ٣٢٩ .

من رجل يتطهر فيحسن الطُّهُور ثم يعمد إلى مسجد من هَذِهِ المساجد إلاَّ كَتب الله لَهُ بِكُلِّ خطوة يخطوها حسنة ، ويرفعه بِهَا درجة ، ويحطُّ عنه بِهَا سيئة ، وَلَقَدْ رأيتُنا وما يتخلف عنها إلاَّ منافقٌ معلومُ النفاق ، وَلَقَدْ كَانَ الرجل يؤتى بِهِ يُهادى [٥٠٣] بين الرجلين حَتَّى يُقام في الصف) [٥٠٤] .

٦- ومن أقواله t : (إنَّكُمْ في ممرِّ الليل والنهار في آجال منقوصة ، وأعمال محفوظة ، والموت يأتي بغتة ، من زرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة ، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مثل مَا زرع) [٥٠٥] .

رحم الله هَذَا الصحابي الجليل ورضي عنه ، وجزاه عن المسلمين خيراً الجزاء ، فقد زرع أعظم خير ، وأثمرتْ جُهوده أنفع الثمار في تعليم القرآن الكريم .

(٥٠٣) يُهادى بين الرجلين : يتماشى بينهما معتمداً عليهما لمرضه وضعفه .

(٥٠٤) رواه مسلم -رقم / ٦٥٤ ، وابو داود -رقم / ٥٥٠ ، والنسائي ٢ /١٠٧ وابن ماجه -رقم / ٧٧٧

(٥٠٥) سير أعلام النبلاء ١ /٤٩٧ .

أسئلة للدرسين التاسع والعاشر

س١ - من فضائل عبد الله بن مسعود t أَنَّهُ قتل عدو الله أبا جهل بَعْدَ أن وجده جريحاً في معركة بدر ، وَقَدْ سبقه اثنان من شباب الصحابة كانا يبحثان عن أبي جهل ، حَتَّى ضربه كل منهما بسيفه ... فمن هما ؟ وما هي قصتهما ؟

س٢ - أثنى النبي e عَلَى ابن مسعود t ، واختصه بأمور عديدة ، اذكر ثلاثة منها من خلال مَا درست في الدرسين السابقين .

س٣ - حرص ابن مسعود t عَلَى منهج الترغيب والتشويق في تعليم القرآن الكريم ، متأسياً بالنبي e .
اذكر دليلاً من الحديث النبوي يؤكد ذَلِكَ ..
واستنتج فوائد هَذَا المنهج بالنسبة للمعلم والمتعلم ؟

الدرس الحادي عشر

أبو موسى الأشعري t

لمحات من حياته t [٥٠٦]:

- هُوَ عبد الله بن قيس بن سُليم الأشعري التميمي من بلاد اليمن، ولد سنة خمس وأربعين من مولد النبي e ، أي بَعْدَ البعثة النبوية بخمس سنوات .

- قدم مكة وَهُوَ شاب وتلا عَلَيْهِ النبي e آيات من القرآن فأسلم، ورجع إلى قومه [٥٠٧] .

- هاجر إلى المدينة في السنة السابعة عند فتح خيبر وشهد مَعَ النبي e المشاهد والغزوات بَعْدَ خيبر ، وكَانَ كثير الملازمة لَهُ .

- في الصحيحين عن أبي موسى t قَالَ : (خرجنا مَعَ الرسول e في غزاة ونحن ستة نفر عَلَى بعير نتعاقبه ، قَالَ : فنُقبت أقدامنا ، ونُقبت قدمي ، وسقطت أظفاري ، فكنا نلفُّ عَلَى أرجلنا الخرق ، فسميت غزاة ذات الرقاع ؛ لما كنا نعصب عَلَى أرجلنا من الخِرَق) .

قَالَ أبو بُردة : (فحدَّث أبو موسى بِهَذَا الحديث ، ثم كرِهَ ذَلِكَ وقال: مَا كنت أصنع بأن أذكره ـ أي :

---

(٥٠٦) ينظر : طبقات ابن سعد ٢/ ٣٤٤ ، ٤/ ١٠٥ ، سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٨٠ ، معرفة القراء الكبار ١/ ٣٧ ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ١/ ٢٦٨ ، البداية والنهاية ٨/ ٤٥ ، الاصابة ٢/ ٣٥١ .

(٥٠٧) أما هجرته إلى الحبشة فقد اختلف فِيهَا ؛ فقيل : إِنَّهُ هاجر إلى الحبشة ثم قدم إلى المدينة مَعَ جعفر بن أبي طالب t يوم فتح خيبر . وقيل : لم يهاجر وَإِنَّمَا رجع إلى قومه فلم يزل في بلاد قومه حَتَّى قدم هُوَ وأناس من الأشعريين عَلَى رسول الله e فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين وهم جعفر وأصحابه من أرض الحبشة (ينظر : طبقات ابن سعد ٤/ ١٠٥)

= وذكر ابن العماد في شذرات الذهب (١/ ٥٤) أن أبا موسى هاجر من بلده زبيد في نحو اثنين وخمسين رجلاً ، وركب البحر ، فألقتهم الريح إلى النجاشي بالحبشة ، فبقي مَعَ جعفر وأصحابه حَتَّى قدم معهم في سفينة ، وجعفر وأصحابه في سفينة أخرى (وصحح ذَلِكَ الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٧/ ٧٠٠) .

لا أتذكر ذَلِكَ ـ كأنه كرِه أن يكون شيئاً من عمله أفشاه) (٥٠٨) ـ أي : خشية الرياء ـ .

- اشتهر t بكثرة عبادته وورعه ، وَكَانَ كثير التهجد وقراءة القرآن ، وَكَانَ رقيق القلب غزير الدمع يخطب بالناس فيبكي ، وَكَانَ لاتكاد تلقاهُ في يوم حارٍّ إلاَّ صائماً .

- أرسله النبي e مَعَ معاذ بن جبل إلى اليمن ، وأمرهما أن يعلما الناس القرآن ، واستعمله والياً عَلَى زبيد وعدن (في اليمن) ، وبقي والياً عليها طيلة خلافة أبي بكر الصديق t ، ثم سافر إلى بلاد الشام، وشهد عدة فتوحات في جيش أبي عبيدة بن الجراح t ، ثم تولى إمارة الكوفة والبصرة في عهد عمر بن الخطاب t (سنة ١٧هـ) .

- وَقَدْ كتب عمر إلى أهل البصرة كتاباً يقول فيه : (إني قد ولَّيتُ عَلَيْكُم أبا موسى ليأخذ من قويكم لضعيفكم ، وليقاتل بكم عدوكم، وليدفع عن دينكم) (٥٠٩) .

- بقي أميراً عَلَى البصرة اثني عشر عاماً افتتح خلالها أقاليم كثيرة ، وَكَانَ قائد الجيش إلى أصفهان (سنة ٢٣هـ) ، وأخذ معه ابنه أبا بكر (وَكَانَ عمره ١٧ عاماً) حَتَّى افتتحها t .

- توفي t بمكة سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية t (٥١٠) .

فضائله t :

١ - أعظم فضيلة لأبي موسى الأشعري t دعاءُ الرسول e لَهُ بالمغفرة ودخول الجَنَّة .

عن أبي بردة عن أبيه ـ أبي موسى الأشعري ـ أن النبي e قَالَ : (**اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه ، وأدخله يوم القيامة مُدخلاً كريماً**) (٥١١) .

٢ - وعن أبي موسى الأشعري t قَالَ : (لما غزا رسول الله خيبر أشرف الناس عَلَى وادٍ فرفعوا

---

(٥٠٨) رواه البخاري - رقم /٤١٢٨ ، ومسلم - رقم / ١٤٩ .

(٥٠٩) البداية والنهاية - ٨٢/٧ .

(٥١٠) ذكر بعض المؤرخين أَنَّهُ توفي سنة اثنتين وأربعين، ولكن الصحيح كَمَا قَالَ الإمام ابن كثير أَنَّهُ توفي سنة اثنتين وخمسين (البداية والنهاية ٨/ ٤٥)

وذكر الإمام الذهبي أَنَّهُ مات بالكوفة (سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٨٢) .

(٥١١) رواه مسلم - رقم / ٢٤٩٨ .

أصواتهم بالتكبير ... وأنا خلف دابة رسول الله e فسمعني وأنا أقول : لا حول ولا قوة إِلاَّ بالله

فقال لي : يا عبد الله بن قيس ، فقلت : لبيك يا رسول الله

قَالَ : **(ألا أدلك عَلَى كلمة من كنزٍ من كنوز الجَنَّة ؟)**

قلت : بلى يارسول الله ، فداك أبي وأمي

قَالَ : **(لا حول ولا قوة إِلاَّ بالله)** [٥١٢] .

وفي هَذَا الإرشاد النبوي فضيلة أخرى لأبي موسى t .

٣- وعن أبي بُردة عن أبي موسى t قَالَ : قَالَ رسول الله e : **(إني لأعرف أصوات رُفقة الأشعريِّين بالقرآن حَيْثُ يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل)** [٥١٣] .

وفي هَذَا ثناء عظيم من الرسول e عَلَى أبي موسى وقومه الأشعريين ، وما يتصفون بِهِ من حرص عَلَى التهجد بالقرآن.

٤- وعن أنس بن مالك t أن رسول الله e قَالَ : **(يَقْدمُ عَلَيْكُم قوم أرقُّ منكم قلوباً)** فقدم الأشعريون وفيهم أبو موسى ، فكانوا أول من أظهر المصافحة في الإسلام ، فجعلوا حين دنوا المدينة يرتجزون ويقولون :

غـداً نلـقى الأحـبة　　　محمـداً وحِـزبـه [٥١٤]

٥- وقال الشعبي رحمه الله : (قضاة الأمة أربعة : عمر وعلي وزيد وأبو موسى y) [٥١٥].

٦- **وقال عنه الإمام الذهبي** : (حفظ القرآن والعلم ، ولئن قَصُرت مدَّة صحبته فلقد كَانَ من نجباء الصحابة ، وَكَانَ من أطيب الناس صوتاً ... وَقَدْ استغفر لَهُ النبي e) [٥١٦] .

---

(٥١٢) رواه البخاري - رقم / ٣٩٦٨ .

(٥١٣) رواه مسلم - رقم /٢٤٩٩ .

(٥١٤) رواه الإمام أحمد ٣/١٥٥ ، وابن حبان - رقم /٧١٩٣ وإسناده صحيح كَمَا حققه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريجه لأحاديث صحيح ابن حبان (١٦/١٦٥) .

(٥١٥) تذكرة الحفاظ - ١/٢٤ .

(٥١٦) معرفة القراء الكبار ١/٣٧ .

وقال عنه أيضاً : (كَانَ عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله ، إِلَيْهِ المنتهى في حُسن الصوت بالقرآن ، روى علماً طيباً مباركاً ، وأقرأ القرآن) [٥١٧] .

وقال أيضاً : (كَانَ أبو موسى صوَّاماً قوَّاماً ربَّانياً زاهداً عابداً ، ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر ، لم تغيّره الإمارة، ولا أغترَّ بالدنيا) [٥١٨] .

حُسن صوته في تلاوة القرآن الكريم :

عُرف أبو موسى t بحُسن صوته ، حَتَّى كَانَ النبي e يستمع لتلاوته ، كَمَا كَانَ الصحابة y يجتمعون لسماع تلاوته ويتأثرون ويخشعون ، ومن أبرز الروايات في هَذَا المجال :

١ - روى البخاري عن أبي بُردة عن أبي موسى الأشعري t عن النبي e أَنَّهُ قَالَ : (**يا أبا موسى ، لَقَدْ أوتيتَ مزماراً من مزامير آل داود**) [٥١٩] .

وفي رواية : (**لَوْ رأيتني البارحة ، وأنا أسمع لقراءتك ؟ لَقَدْ أُعطيت مزماراً من مزامير آل داود**) [٥٢٠] .

وفي رواية : (قلت : والله يا رسول الله ، لَوْ علمتُ أنك تسمع قراءتي لحبَّرته لَكَ تحبيراً) [٥٢١] أي : تحسيناً .

٢ - وأخرج أبو يعلى عن أنس t قَالَ :

(قعد أبو موسى t في بيته ، واجتمع إِلَيْهِ ناس ، فأنشأ يقرأ عليْهِم القرآن ، قَالَ : فأتى رسولَ الله e رجلٌ ، فقال : يا رسول الله ألا أُعجِّبكَ من أبي موسى . قعَد في بيت واجتمع إِلَيْهِ ، ناس فأنشأ يقرأ عليْهِم القرآن ، فقال رسول الله e : (**أتستطيع أن تُقعدني حَيْثُ لا يراني أحدٌ منهم ؟**) ، قَالَ : نعم .

فخرج رسول الله e فأقعده الرجل حَيْثُ لا يراه منهم أحد ، فسمع قراءة أبي موسى فقال : (**إِنَّهُ يقرأ**

---

[٥١٧] تذكرة الحفاظ - ١ /٢٣ .

[٥١٨] سير أعلام النبلاء ٢ /٣٩٦ .

[٥١٩] رواه البخاري - رقم /٤٧٦١ .

[٥٢٠] رواه مسلم - رقم /٧٩٣ .

[٥٢١] رواه الطبراني ، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ /٣٦٣ .

عَلَى مزمارٍ من مزامير آل داود) [٥٢٢] .

وهكذا ضرب الرسول e مثلاً لحسن صوت أبي موسى الأشعري في تلاوة القرآن وحلاوة نغمته بمزامير آل داود .

أي : بِمَا عُرف بِهِ نبي الله داود u من حُسن الصوت [٥٢٣] .

٣- قَالَ أبو عثمان النهدي : **(كَانَ أبو موسى يصلي بنا ، فما سمعت صوت صنَجٍ أحسن من صوته)** [٥٢٤] .

وفي ذَلِكَ دلالة عَلَى تحسين الصوت بالتلاوة وماكان أبو موسى يتحلى بِهِ من جمال الصوت والخشوع في التلاوة .

٤- وَقَدْ روى الدارمي عن عمر بن الخطاب t أنه كَانَ يقول لأبي موسى الأشعري : **(ذكِّرْنا ربنا)** فيقرأ عنده [٥٢٥] .

ولهذا ذكر الإمام النووي أنه يُستحب استفتاح مجلس العلم وختمه بقراءةِ قارئ حسن الصوت مَا تيسَّر من القرآن ، وأنه ينبغي للقارئ في هَذِهِ المواطن أن يقرأ مَا يليق بالمجلس ويناسبه من آيات الرجاء والخوف والمواعظ والتزهيد في الدُّنْيَا ، والترغيب في الآخرة ، والتأهب لَهَا ، وقصر الأمل ، ومكارم الأخلاق [٥٢٦] .

جهوده في تعليم القرآن الكريم :

اشتهر أبو موسى الأشعري t بتعليم القرآن الكريم لأهل البصرة بعدما أصبح والياً عليها سنة (١٧ هـ) وَهُوَ يومئذ في ذروة شبابه ورجولته ، وَقَدْ بلغ الخامسة والثلاثين من عمره ، وَقَدْ اصطحب معه عدداً

---

(٥٢٢) رواه أبو يعلى وإسناده حسن كَمَا قَالَ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٦٣ .

(٥٢٣) قَالَ الإمام القرطبي : (المزمار والمزمور : الصوت الحسن ، وبه سُميت آله الزَّمر مزماراً ، وآل داود : هُوَ داود u نفسه) .

(٥٢٤) طبقات ابن سعد - ٤/ ١٠٨، جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي- ١/ ٣٢٦ ، وفتح الباري ٩/٩٣ .

والصنج : آلة تُتخذ من النحاس كالطبقتين يُضرب أحدهما بالآخر .

(٥٢٥) سنن الدارمي - رقم ٢/ ٤٧٢ .

(٥٢٦) التبيان في آداب حملة القرآن - ص/ ٩١ .

من أصحاب رسول الله e منهم : أنس بن مالك ، وأخوه البراء بن مالك ، وعمران بن الحصين y [٥٢٧]

وأقبل أهلها يتعلمون القرآن ويتزاحمون عَلَيْهِ ، حَتَّى تخرج عَلَى يديه مئات الحفاظ المتقنين .

ولهذا قَالَ الحسن البصري رحمه الله : (مَا قدم البصرةَ راكب خيرٌ لأهلها من أبي موسى) [٥٢٨] .

وعن أنس t قَالَ : (بعثني الأشعري إلى عمر t ، فقال لي عمر : كَيْفَ تركت الأشعري ؟

قَالَ : **تركتُه يعلِّم الناس القرآن .**

فقال : أما إِنَّهُ كيِّس [٥٢٩] ، ولا تُسمعها إياه) [٥٣٠] .

وهذا ثناء من عمر وأنس رضي الله عنهما وشهادة لَهُ بِمَا يقوم من تعليم القرآن .

وَقَدْ ذكر المؤرخون أن أبا موسى t كَانَ إذا صلَّى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم القرآن [٥٣١] .

وعن أبي رجاء العُطاردي قَالَ : (كَانَ أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هَذَا المسجد مسجد البصره يقعد في حلقنا ، فكأني أنظر إِلَيْهِ بين بُردين أبيضين يقرئني القرآن) [٥٣٢] .

وهكذا ازداد عدد القراء المهرة الَّذِينَ تعلَّموا القرآن عَلَى يد أبي موسى t ، حَتَّى أصبح كل واحد منهم عريفاً أو مدرساً في حلقة من حلقات القرآن العامرة في مسجد البصرة ، وَكَانَ من أبرزهم التابعي الجليل أبو رجاء العُطاردي ، وعامر بن عبد قيس ، وصفوان بن محرز وَكَانَ أبو موسى t يطوف عَلَيْهِم ، ويستمع لقراءة الناس ويراقب تعليم هَؤُلاءِ العرفاء ، ليطمئن عَلَى مَا يقومون بِهِ ، ويؤهلهم لتعليم القرآن الكريم لمن بعدهم .

وَلَقَدْ كَانَ أمير المؤمنين عمر t يحثُّ أمراءه عَلَى تعليم القرآن للناس ، وَقَدْ كتب إلى أمراء الأجناد : **أن ارفعوا إليَّ كل من حمل القرآن حَتَّى ألحقهم في الشرف من العطاء ، وأرسلهم إلى الآفاق يعلِّمون الناس .**

---

(٥٢٧) ينظر كتاب : أبو موسى الأشعري الرباني العابد،لمحمد علي دوله - ص ٩٧.

(٥٢٨) سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٩ .

(٥٢٩) كيِّس : أي عاقل فَطِن .

(٥٣٠) طبقات ابن سعد ٤/١٦٢ ، سير أعلام النبلاء ٢/٣٩٠ .

(٥٣١) سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٩ .

(٥٣٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/٢٥٦ .

فكتب إِلَيْهِ أبو موسى الأشعري t **أَنَّهُ بلغ مَنْ قِبلِي ممن حمل القرآن أكثر من ثلاثمائة رجل .**

فكتب إِلَيْهِ عمر بن الخطاب وصية قَالَ فِيهَا :

(من عبد الله عمر إلى عبد الله بن قيس ومن معه من حَمَلة القرآن :

سلام عَلَيْكُم ، أما بَعْدَ فإن هَذَا القرآن كائنٌ لَكُمْ أجراً وكائن لَكُمْ شرفاً وذخراً ، فليكونن لَكُمْ شافعاً إن استطعتم ، ولا يكونن بكم مَاحلاً [٥٣٣]، واعلموا أن هَذَا القرآن ينابيع الهدى وزهرة العلم ، وَهُوَ أحدث الكتب عهداً بالرحمن ، بِهِ فتح الله أعيناً عُمياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غُلفاً .

ثم قَالَ : (فأكرموا القرآن ولا تهينوه ، فإن الله مكرمٌ من أكرمه ومهينٌ من أهانه ، واعلموا أَنَّهُ من تلاه وحفظه وعمل بِهِ واتبع مَا فيه كانت لَهُ عند الله دعوة مستجابة ، إن شاء الله عجَّلها لَهُ في دنياه ، وإلا كانت لَهُ ذُخراً في الآخرة ، واعلموا أن مَا عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى رَبِّهِمْ يتوكلون) [٥٣٤] .

فتأمل هَذِهِ الرسالة التوجيهية العظيمة الَّتِي خصَّ بِهَا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب t حُفَّاظ القرآن من تلاميذ أبي موسى الأشعري ليكونوا أهلاً لتحمل مسؤولية تعليم القرآن الكريم ، لكي يرسلهم إلى الآفاق يعلِّمون الناس .

ولا شك أن توجيهات أبي موسى t كَانَ لَهَا أبلغ الأثر في إعداد هَؤُلاءِ الحفاظ ، وتأهيل هَذِهِ الكوكبة من خيرة أئمة التابعين لنشر القرآن العظيم .

عن أبي الأسود الديلي عن أبيه قَالَ : جمع أبو موسى القراء وقال : لا تُدخلوا عليَّ إلاَّ من جمع القرآن ، قَالَ: فدخلنا عَلَيْهِ زهاء ثلاثمائة ، فوعظنا وقال : **(أنتم قراء أهل البلد ، فلا يطولنَّ عَلَيْكُم الأمد فتقسوا قلوبكم كَمَا قست قلوب أهل الكتاب)**[٥٣٥] .

وعن أبي كنانة عن أبي موسى الأشعري أَنَّهُ جمع الَّذِينَ قرأوا القرآن ، فإذا هم قريب من ثلاثمائة ، فعظّم القرآن وقال :

---

(٥٣٣) ماحلاً : خصماً مجادلاً .

(٥٣٤) حياة الصحابة ٣/ ٢٣٣ ، نقلاً عن كنز العمال ١/ ٢١٧ .

(٥٣٥) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٢٥٧ .

(إن هَذَا القرآن كائن لَكُمْ أجراً ، وكائن عَلَيْكُم وِزْراً ، فاتبعوا القرآن ولا يتبعنكم القرآن ، فَإِنَّهُ من اتَّبع القرآن هبط بِهِ عَلَى رياض الجَنَّة ، ومن تبعه القرآن زُجَّ في قفاه [٥٣٦] فقذفه في النار) [٥٣٧] .

فما أعظم هَذِهِ الموعظة ، وما أبدع هَذَا اللقاء التوجيهي الَّذِي اختص بِهِ أبو موسى t حفاظ القرآن ، وجمعهم في مكان واحد وعددهم أكثر من ثلاثمائة ، إدراكاً منه للمسؤولية العظيمة الملقاة عَلَى عواتقهم .

وتأمل كَيْفَ أثمرت جهود الصحابة رضوان الله عَلَيْهِم الَّذِينَ انتشروا في الآفاق حَتَّى تخرج من الحفاظ في البصرة فقط هَذَا العدد الكبير في سنوات قليلة .

نماذج من أقواله ووصاياه t :

١ - عن أبي كبشة السدوسي قَالَ : خطبنا أبو موسى الأشعري فقال : (إن الجليس الصالح خير من الوحدة ، والوحدة خيرٌ من الجليس السوء ، ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب العطر إِلاَّ يَحْذُكَ يعبق بك من ريحه [٥٣٨]، ألا وإن مثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إِلاَّ يحرق ثيابك يعبق من ريحه ، وَإِنَّمَا سُمي القلب من تقلُّبه ، وإن مثل القلب كمثل ريشةٍ بأرض فضاء ، تضربها الريح ظهراً لبطن ، ألا وإن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فِيهَا مؤمناً ويمسى كافراً) [٥٣٩] .

٢ - وعن الحسن قَالَ : (غزونا مَعَ أبي موسى إلى أصبهان ، وَكَانَ إذا خرج من بيته يقول لزوجته : يا أم موسى ، شُدّي رحلك ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى جسر جهنم معبر) [٥٤٠] .

٣ - عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب قَالَ : دعا أبو موسى فتيانه حين حضرته الوفاة فقال : اذهبوا فاحفِروا وأوسعوا ، وأعمقوا . فجاؤوا فقالوا : قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا . فقال : (والله إنها لإحدى المنزلتين : إما ليوسعنَّ عليَّ قبري حَتَّى يكون كل زاوية منه أربعين ذراعاً ، ثم ليفتحن لي بابٌ إلى الجَنَّة ، فلأنظرن إلى أزواجي ، ومنازلي ، وما أعد الله U لي من الكرامة ، ثم ليصيبني من ريحها وروحها

---

(٥٣٦) زُج في قفاه : دُفع من خلفه .

(٥٣٧) حلية الأولياء ١/ ٢٥٧ ، صفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ٢٦٤ .

(٥٣٨) أي : يعطيك من عطره وطيبه .

(٥٣٩) صفة الصفوة لابن الجوزي ١/ ٢٦٣ .

(٥٤٠) طبقات المحدثين بأصبهان -لابن الشيخ - ١/ ٢٣٧ ، صفة الصفوة ١/ ٢٦٤

حَتَّى أُبعث ، ولئن كانت الأخرى ـ ونعوذ بالله منها ـ ليُضيقنَّ عليَّ قبري ، ثم ليُفتحن لي بابٌ من أبواب جهنم ، فلأنظرن إلى سلاسلي ، وأغلالي وقرنائي ، ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حَتَّى أُبعث)[٥٤١] .

حوار بين ابنين :

تأمل معي هَذَا الحوار الَّذِي دار بين صحابيين جليلين ، هما عمر بن الخطاب وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهما ، والذي يرويه ابن عمر لأبي بردة (عامر بن أبي موسى الأشعري) كَمَا أورده الإمام ابن الجوزي في كتابه (تاريخ عمر بن الخطاب) حَيْثُ قَالَ :

(التقى أبو بُردة ـ عامر بن أبي موسى الأشعري ـ مَعَ ابن عمر ، فقال ابن عمر: لقي أبي أباك ، فقال يا أبا موسى : أيَسُرُّك أنكَ خرجتَ من عملك كفافاً خيرُه بشرِّه ، وشرُّه بخيره ، لا لَكَ ولا عليك ؟

قَالَ : **يا أمير المؤمنين ، والله لَقَدْ قدمتُ البصرة ، وإن الجفا فيهم لفاشٍ [٥٤٢]، فعلَّمتهم القرآن والسنة ، وغزوتُ بهم في سبيل الله ، وإني لأرجو بذلك فضيلة .**

قَالَ عمر : **لكن وددتُ أني خرجتُ من عملي خيرهُ بِشرِّه ، وشُّره بخيره كفافاً لا لي ولا عليَّ ، وخَلُصَ لي عملي مَعَ رسول الله e .**

فقال أبو بُردة لابن عمر : إن أباك خيرٌ من أبي) [٥٤٣] .

فانظر إلى هَذَا المشهد المؤثر والحوار البديع ، وخشية عمر t من تبعات المسؤولية .

وإذا كَانَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب t يخشى من التقصير في حمل أمانة هَذَا الدين وتولي شؤون الرعية ، ويحثُّ أبا موسى عَلَى ذَلِكَ بالرغم من الجهود العظيمة التي بذلها كل منهما في خدمة هَذَا الدين ، فما أعظم هَذَا الدرس البليغ لِكُلِّ من تُحدِّثهُ نفسهُ بالغرور لما يقوم بِهِ من عمل صالح وتعليم للناس ، فيظن

(٥٤١) صفة الصفوة - ١ / ٢٦٥ .

(٥٤٢) الجفا : البعد عن الشيء ، والمقصود البعد عن الصلة والبر وحسن الخلق ، والاتصاف بسوء المعاملة وغلظ الطبع ، وجافي الخلق هُوَ غليظ العشرة والفاشي : أي المنتشر بينهم

(٥٤٣) تاريخ عمر لابن الجوزي - ص / ١٨٥ .

أَنَّهُ ظفر بالدرجات العليا من الجنة ، ويدعوه ذَلِكَ إلى التراخي والاكتفاء بِمَا فعل ، وعدم الرغبة في بذل المزيد من الجهد في دعوة الناس وتعليمهم والحرص عَلَيْهِم ، والتفاني في إرشادهم إلى طريق الهداية .

أسئلة للدرس الحادي عشر

س١ - شارك أبو موسى t مَعَ الرسول e في غزوة ذات الرقاع ، فمتى كانت هَذِهِ الغزوة ؟ اذكر موجزاً عنها مَعَ أبرز الدروس والعِبر .

س٢ - تحسين الصوت أدب مُهم من آداب تلاوة القرآن وَقَدْ استدل العلماء عَلَى ذَلِكَ بثناء النبي e عَلَى حُسن صوت أبي موسى t ، مع أدلة أخرى .. فما هي تِلْكَ الأدلة ؟

س٣ - قَالَ عمر لأبي موسى رضي الله عنهما : (وددت أني خرجت من عملي خيره بشرِّه) اربط هَذَا القول مَعَ تفسير الآية الكريمة في سورة المؤمنون { ! " # $ % & } ، مَعَ بيان أهمية الخوف والرجاء في حياة المسلم .

الدرس الثاني عشر

معاذ بن جبل t

لمحات من حياته t [٥٤٤]:

- هُوَ معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي ، والده جبل بن عمرو ، وأمه هند بنت سهل ، ولد في المدينة عام ١٨ قبل الهجرة ، ويُكْنَى أبا عبد الرحمن ، كَانَ شاباً جميلاً سمحاً من خير شباب قومه .

- أسلم معاذ وَهُوَ ابن ثمانية عشرة سنة ، وَهُوَ أحد السبعين الَّذِينَ شهدوا بيعة العقبة الثانية ، في شهر ذي الحجة ، قبل هجرة النبي e بثلاثة شهور .

- آخى الرسول e بين معاذ وعبد الله بن مسعود بَعْدَ الهجرة وشهد بدراً والمشاهد كُلَّهَا مَعَ الرسول e .

- **أرسله النبي e إلى اليمن قاضياً ومعلماً بَعْدَ غزوة تبوك** ، واستقر في مدينة جند قرب تعز ، فلما حدثت فتنه الأسود العنسي الَّذِي أدعى النبوة في اليمن تحوَّل معاذ إلى حضرموت ، وبعد قتل العنسي رجع إلى صنعاء ، ثم عاد بَعْدَ وفاة النبي e إلى مكة في موسم الحج للعام الحادي عشر من الهجرة ، وبعد الحج رجع إلى المدينة .

- ظلَّ في مكة طوال خلافة الصديق t يعلم الناس ثم أرسله عمر t إلى الشام لتعليم القرآن سنة ١٣هـ .

---

(٥٤٤) ينظر : طبقات ابن سعد ٢/ ٣٤٧ ، ٤/ ١٠٥ ، صفة الصفوة ١/ ٢٢٨ ، سير أعلام النبلاء ١/ ٤٥٣ ، تذكرة الحافظ ١/ ١٩ ، البداية والنهاية ٧/ ٩٤ ، الكامل في التاريخ ٢/ ٦٩ ، الإصابة ٣/ ٤٠٦ .

وينظر كتاب : (إمام العلماء معاذ بن جبل) للدكتور عبد الحميد صالح حمدان ، وكتاب : (معاذ بن جبل إمام العلماء ومعلم الناس الخير) للشيخ عبد الحميد طهماز ، ضمن سلسلة أعلام المسلمين .

- ظل في الشام حَتَّى توفي بالطاعون في غور بيسان بالأردن وَذَلِكَ سنة ١٨هـ ، وعمره أقل من ٣٨ سنة ، وتوفيت معه زوجتاه وابنه عبد الرحمن [٥٤٥] .

فضائله t :

١ - عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ سمعت رسول الله e يقول : (**استقرئوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأُبي ، ومعاذ بن جبل**) [٥٤٦] .

٢ - ومن أعظم فضائل معاذ t أن النبي e أقسم لَهُ قائلاً : والله إني لأحبك :

عن معاذ بن جبل t أن رسول الله e أخذ بيده يوماً ، ثم قَالَ : (**يا معاذ والله إني لأحبك**) فقال معاذ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، وأنا والله أحبك .

قَالَ e : (**أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دُبُر كلِ صلاة أن تقول: اللهم أعني عَلَى ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك**) [٥٤٧] .

٣ - وَقَدْ اختصه النبي e ببشارة عظيمة ، وَكَانَ راكباً معه عَلَى الراحلة .

عن أنس بن مالك t أن النبي e ومعاذ رديفُه عَلَى الرحل ، قَالَ : (**يا معاذ**) . قَالَ : لبيك يا رسول الله وسعديك .

قَالَ : (**يا معاذ**) . قَالَ لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثاً)

قَالَ : (**مَا من عبد يشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وأن محمداً عبده ورسوله صِدقاً من قلبه إلاَّ حرَّمهُ الله عَلَى النار**)

قَالَ : يا رسول الله ، أفلا أُخبر بِهَا الناس فيستبشروا ؟

قَالَ : (**إذاً يتَّكِلوا**) . وأخبر بِهَا معاذ عند موته تأثماً) [٥٤٨] أي : خوفاً من الإثم في كتم هَذَا العلم .

---

(٥٤٥) توفي بِهَذَا الطاعون من المسلمين بالشام خمسه وعشرون ألفاً ، وسمي طاعون عمواس لأنه بدأ في منطقة عمواس بين القدس والرملة في فلسطين ، ثم انتشر في بلاد الشام .

(٥٤٦) رواه البخاري - رقم / ٣٥٩٥ .

(٥٤٧) رواه أبو داود - رقم / ١٥٢٢ ، والنسائي ٥٣/٣ واللفظ لَهُ ، وابن حبان (٢٠٢٠) ، والحاكم وصححه ٢٧٣/١ .

(٥٤٨) رواه البخاري - رقم / ١٢٨ ، ومسلم - رقم / ٣٢ .

وَقَدْ قيَّد النبي e هَذِهِ البشارة بشرط لا بد من تحققه ، وَهُوَ الصدق والاستقامة : (**صدقاً من قلبه**) .

٤ - وَقَدْ تكرر تكريم الرسول e لمعاذ بأن يردفه خلفه عَلَى دابته ويوصيه ببعض الوصايا ، ويخصه بالتعليم والتوجيه .

عن معاذ t قَالَ : بينما أنا رديف النبي e لَيْسَ بيني وبينه إِلاَّ آخر الرَّحْل ، فقال : (**يا معاذ**) . قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ثم سار ساعة ، ثم قَالَ : (**يا معاذ بن جبل**) . قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ، ثم قَالَ : يا معاذ بن جبل ، قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك .

قَالَ : (**هَلْ تدري مَا حقُّ الله عَلَى العباد ؟**) .

قلت : الله ورسوله أعلم .

قَالَ : (**فإن حق الله عَلَى العباد أن يعبدوه ولا يشركوا بِهِ شيئاً**) .

ثم سار ساعة ، ثم قَالَ : (**يا معاذ بن جبل**) .

فقلت : لبيك يا رسول الله وسعديك .

قَالَ : (**فَهَلْ تدري مَا حق العباد عَلَى الله إذا فعلوا ذَلِكَ ؟**) .

قلت : الله ورسوله أعلم .

قَالَ : (**فإن حق العباد عَلَى الله أن لايعذبهم**)[٥٤٩] .

فتأمل هَذَا الحوار البديع ، ونداء الرسول e لمعاذ بين الحين والآخر ، وجواب معاذ بالأدب الكامل والمحبة الخالصة .

٥ - وعن أنس t قَالَ : قَالَ رسول الله e : (**أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل**) [٥٥٠] .

٦ - قَالَ عمر t (**عجزت النساء أن يلَدْن مثل معاذ ، ولولا معاذ لهلك عمر**)[٥٥١] .

٧ - وقال ابن مسعود t : (إن معاذ بن جبل كَانَ أمةً قانتاً لله حنيفاً ، ـ " الأمَّة " : الَّذِي يعلِّم الناس

---

(٥٤٩) رواه البخاري رقم / ٢٧٠١ ، ومسلم رقم / ٣٠ ، وأحمد في المسند ٥ / ٢٤٢.

(٥٥٠) رواه الترمذي ٣٧٩٠ ، وابن ماجه ٣٧٩٠ وأحمد في المسند ٣ / ١٨٤ .

(٥٥١) الإصابه ٣/ ٤٠٧ .

الخير ، " والقانت " : المطيع لله وللرسول ـ وَكَانَ معاذ يعلم الناس الخير ، وَكَانَ مطيعاً لله ورسوله)[٥٥٢] .

جهوده في تعليم القرآن :

كَانَ معاذ t حريصاً منذ إسلامه عَلَى تعلم القرآن الكريم عَلَى يد النبي e وباقي الصحابة ، وخاصة عبد الله بن مسعود t ؛ لأن النبي e آخى بينهما بَعْدَ الهجرة .

عن عبد الله بن مسعود t قَالَ : (جَاءَ معاذ إلى النبي e فقال : يا رسول الله أقرئني ، فقال e : (**أقرئه**) . فأقرأتُه مَا كَانَ معي ، ثم اختلفت - أي : ذهبت - أنا وَهُوَ إلى رسول الله e ، فقرأ معاذ ، وَكَانَ معلّماً من المعلمين عَلَى عهد رسول الله e) [٥٥٣] .

وَلَقَدْ كَانَ t يؤم قومه في الصلاة بَعْدَ أن يصلي مَعَ النبي e .

روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله t : إن معاذ بن جبل t كَانَ يصلي مَعَ النبي e ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة ، فقرأ بهم البقرة ، قال : فَتَجَوَّزَ [٥٥٤] رَجُلٌ فصلى صلاة خفيفة ، فبلغ ذَلِكَ معاذاً فقال : إِنَّهُ منافق . فبلغ ذَلِكَ الرجل ، فأتى النبي e فقال يا رسول الله : إِنَّا قوم نعمل بأيدينا ، ونسقي بنواضحنا [٥٥٥] ، وإن معاذاً صلى بنا البارحة ، فقرأ البقرة ، فتجوَّزت ، فزعم أني منافق . فقال النبي e : (**يا معاذ ، أفتَّانٌ أنت**) ثلاثاً .. (**اقرأ : { ! " } و { o p q r } ، ونحوها**) [٥٥٦] .

وفي رواية : (**فلولا صليت بسبح اسم ربك ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى ، فَإِنَّهُ يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة**) [٥٥٧] .

فإذا كَانَ معاذ t متشوقاً إلى الإكثار من تلاوة القرآن الكريم في الصلاة فإن هَذَا التطويل فيه صعوبة

---

(٥٥٢) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٢٧٢ والطبراني ، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ١/ ٢٣١ .

(٥٥٣) منتخب كنز العمال عَلَى هامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٦٩ .

(٥٥٤) تجوَّز : خفَّف ، وأكمل الصلاة وحده .

(٥٥٥) النواضح : جمع ناضح ، وَهُوَ البعير الذي يُسقى عَلَيْهِ .

(٥٥٦) رواه البخاري - رقم / ٥٧٥٥ ، ومسلم - رقم / ٤٦٥ .

(٥٥٧) رواه البخاري - رقم / ٦٧٣ .

عَلَى بعض الناس الَّذِينَ يقضون نهارهم بالعمل ، ولهذا أرشده النبي e إلى الاكتفاء بتلاوة بعض السور غير الطويلة تخفيفاً عَلَى الناس .

- وعندما اعتمر الرسول عمرة الجعرانه [٥٥٨] استخلف عَلَى مكة عتَّاب ، **ومعه معاذ بن جبل يفقِّه الناس ويعلِّمهم القرآن** [٥٥٩] وعمره يناهز السادسة والعشرين .

ومن مناقبه t أن النبي e بعثه إلى اليمن قاضياً ومعلماً ، وودَّعه ماشياً ، ومعاذ راكب عَلَى الدابه ، وأوصاه بوصايا عظيمة كثيرة ، ومن أبرزها أَنَّهُ سأله : **(بم تقضي إن عَرَض لَكَ قضاء ؟).**

فقال معاذ : أقضي بِمَا في كتاب الله .

قَالَ : **(فإن لم يكن في كتاب الله ؟)** .

قَالَ : أقضي بِمَا قضى بِهِ الرسول e .

قَالَ : **(فإن لم يكن بِمَا قضى بِهِ الرسول ؟)** .

قَالَ : أجتهد رأيي ولا آلو (أي : لا أُقصِّر) .

فضرب الرسول e صدر معاذ ، وقال : **(الحمد لله الَّذِي وفَّق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسولَ الله)** [٥٦٠] .

فلما فرغ قَالَ : **(يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بَعْدَ عامي هَذَا ، ولعلك تمرُّ بمسجدي وقبري)** . فبكى معاذ جشعاً لفراق رسول الله e ، ثم التفت النبي e فأقبل بوجهه نحو المدينة ، فقال : **(إن أولى الناس بي المتقون ، مَنْ كانوا وحيث كانوا)** [٥٦١] .

وَقَدْ روى البخاري ومسلم عن أبي بُردة قَالَ : (بعث رسول الله e أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى

---

(٥٥٨) أحرم النبي e بالعمرة من الجعرانه (قرب مكة) وَكَانَ ذَلِكَ في شهر ذي القعدة من السنة الثامنه للهجرة .

(٥٥٩) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ١٨٥ .

(٥٦٠) رواه أبو داود (٣٥٩٢) ، والترمذي (١٣٢٧) ، والإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٣٦، وذكره ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٢٠٢) وقال : إسناده متصل ورجاله معروفون بالثقة .

(٥٦١) رواه الإمام أحمد في المسند - ٥/ ٢٣٥ ، وانظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم / ٢٤٩٧ .

اليمن، قَالَ : وبعث كلَّ واحدٍ منهما عَلَى مِخْلاف [٥٦٢] ، واليمن مِخلافان ، ثم قَالَ e : (**يِّسرا ولا تعسِّرا ، وبشرا ولا تُنفِّرا**) ، فانطلق كل واحدٍ منهما إلى عمله ، وكان كل واحدٍ منهما إذا سار في أرضه وَكَانَ قريباً من صاحبه أحدث بِهِ عهداً فسلَّم عَلَيْهِ (وفي رواية : فجعلا يتزاوران) ، فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى ، فجاء يسير عَلَى بغلته حَتَّى انتهى إِلَيْهِ ، وإذا هُوَ جالس ، وَقَدْ اجتمع إِلَيْهِ ناسٌ ...

فقال : **يا عبد الله ، كَيْفَ تقرأ القرآن ؟** قَالَ : أتفوقه تفوقاً [٥٦٣] على فراشي وفي صلاتي ، وعلى راحلتي .

قَالَ : **فَكَيْفَ تقرأ أنت يا معاذ ؟**

قَالَ : أنام أول الليل ، فأقوم وَقَدْ قضيتُ جزئي من النوم ، فأقرأ مَا كتب الله لي ، فأحتسب نومتي كَمَا أحتسب قومتي) [٥٦٤] .

والمعنى : أَنَّهُ يطلب الثواب في النوم والراحة كَمَا يطلبه في القيام والتلاوة ؛ لأن الراحة إذا قُصد بِهَا الإعانة عَلَى العبادة حصل الثواب بِهَا [٥٦٥] .

فما أبدع هَذَا اللقاء والتزاور بين سفيري النبي e ، وتشاروهما في أوقات تلاوة القرآن الكريم والتهجد بِهِ .

وَقَدْ تحدث الإمام ابن القيم رحمه الله عن ثمرات جهود هذين السفيرين في الدعوة إلى الإسلام وتعليم القرآن الكريم فقال : (بعث الرسول e أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن عند انصرافه من تبوك داعيين إلى الإسلام ، فأسلم عامة أهلها طوعاً من غير قتال) [٥٦٦]

وظل معاذ في مكة طوال خلافة أبي بكر الصديق t يعلِّم الناس ويستشيره الخليفة في الفتاوى ، ومن أبرز مَا استشاره بِهِ جمع القرآن الكريم .

---

(٥٦٢) المِخلاف : الإقليم ، فكان معاذ للجهة العليا إلى صوب عدن ، وأبو موسى للجهة السفلى .

(٥٦٣) أي : ألازم قراءته ليلاً ونهاراً ، شيئاً بَعْدَ شيء ، ولا أقرأ وردي دفعة واحدة ، مأخوذ من فُواق الناقة ، وَهُوَ أن تُحلب ثم تترك ساعة حَتَّى يجتمع لبنها ، ثم تُحلب وهكذا . ينظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤ / ٥٣٢ .

(٥٦٤) رواه البخاري - رقم / ٤٠٨٦ ، ومسلم - رقم / ١٧٣٣ .

(٥٦٥) فتح الباري لابن حجر - ٧ / ٦٥٩ .

(٥٦٦) زاد المعاد - ١/ ١٢٣ .

وفي السنة الثالثة عشرة من الهجرة أرسله عمر بن الخطاب إلى الشام معلماً ، وسبب ذَلِكَ أن يزيد بن أبي سفيان كتب إلى عمر t قائلاً :

(إن أهل الشام قد كثروا وملأوا المدائن ، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم ، فأعنِّي يا أمير المؤمنين برجال يعلِّمونهم)(٥٦٧) .

فأرسل عمر t ثلاثة من قراء الصحابة وهم: **معاذ وعبادة وأبو الدرداء** ، وأمرهم أن يبدأوا بحمص ، ثم يتركوا واحداً منهم فِيهَا وينتقل واحد منهم إلى دمشق ، والآخر إلى فلسطين ، فأقام عبادة بن الصامت بحمص ، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق ، ومعاذ إلى فلسطين .

ولما قدم عمر t إلى الشام خطب في منطقة (الجابيه) (٥٦٨) فقال : **(من كَانَ يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل)** .

وهكذا تنقَّل معاذ بين حمص ودمشق وفلسطين يعلِّم الناس ويرشدهم إلى أمور دينهم :

- عن أبي بحرية قَالَ : (دخلت مسجد حمص ، فإذا أنا بفتى حوله الناس ، فإذا تكلم كأنما يخرج من فمه نور ولؤلؤ ، فقلت : من هَذَا ؟ قَالوا : معاذ بن جبل) (٥٦٩) .

- وعن أبي ادريس الخولاني قَالَ : (دخلت مسجد دمشق ، فإذا فتىً بّراق الثنايا (٥٧٠) ، وإذا الناس معه فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إِلَيْهِ ، وصدروا عن قوله (٥٧١) .

---

(٥٦٧) طبقات ابن سعد ٢/٣٥٦ ، وسير أعلام النبلاء ٢/٣٤٤ ، وانظر تفصيل القصة في سيرة عمر t ص /١٦٢ من هَذَا الكتاب .

(٥٦٨) الجابية : قرية قرب دمشق من ناحية الجولان .

(٥٦٩) صفة الصفوة ١/٢٢٨ .

(٥٧٠) برّاق الثنايا : مضيء الأسنان كثير الابتسام ، ووصف الثنايا وهي مقدّمة الأسنان أنها تلمع إِذَا تبسم كالبرق دلالة عَلَى البشر وطلاقة الوجه .

(٥٧١) أسندوه إِلَيْهِ : رجعوا إِلَيْهِ فيما يختلفون فيه .

صدروا عن قوله : عملوا بِهِ واعتمدوه دون خلاف .

فسألت عنه ، فقيل : هَذَا معاذ بن جبل ، فلما كَانَ من الغد هجَّرت [٥٧٢] فوجدته قد سبقني بالتهجير ، ووجدته يصلي ، فانتظرته حَتَّى قضى صلاته ، ثم جئته من قِبل وجهه ، فسلَّمتُ عَلَيْهِ ، ثم قلت : والله إني لأحبكَ لله .

فقال : آلله ؟

فقلت : الله [٥٧٣] .

فأخذ بحَبوة ردائي ، فجبذني إِلَيْهِ ـ أي : جذبني ـ ، فقال : أبشر، فإني سمعت رسول الله e يقول : (**قَالَ الله تعالى : وجبت محبتي للمتحابين فيَّ ، والمتجالسين فيَّ ، والمتباذلين فيَّ**) [٥٧٤] .

وَكَانَ أبرز تلاميذه من كبار التابعين ، ومنهم : أبو مسلم الخولاني ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعطاء بن يسار ، وقيس بن أبي حازم ، ومالك ابن يخامر ، وأبو بحرية عبد الله بن قيس السكوني الحمصي، وأبو إدريس الخولاني واعظ دمشق وقاضيها ، ويزيد بن عميرة الزبيدي الحمصي ، ومالك بن هبيرة ، ومسلم الخزاعي ، رحمهم الله تعالى .

نماذج من أقواله ووصاياه t :

١ - عن رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل t قَالَ : (**تعلَّموا العلم ، فإن تعلُّمَهُ لله خشية ، وطلبَهُ عبادة ، ومذاكرتَهُ تسبيح** والبحث عن جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قُربة ؛ لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبيل أهل الجَنَّة ، وَهُوَ الأُنس في الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمحدِّث في الخلوة ، والدليل عَلَى السراء والضراء ، والسلاح عَلَى الأعداء ، والزَّيْن عند الأخلاء ، يرفع الله بِهِ أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة ، تُقتصُّ آثارهم ويُقتدى بأفعالهم ويُنتهى إلى رأيهم ، ترغب الملائكة في خلَّتهم

---

(٥٧٢) هجَّرت : أي بكَّرتُ ، وَهُوَ بتشديد الجيم .

(٥٧٣) قوله : (آلله ، فقلت : الله)، الأولى بهمزة ممدودة للاستفهام ، أي : تحبني لله ؟، والثانية : بلا مد .

(٥٧٤) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢/٩٥٣ ، وأورده الإمام النووي في رياض الصالحين - ص/ ١٤١ وقال : حديث صحيح . ورواه الإمام أحمد في مسنده - ٥ / ٢٣٦ عن أبي مسلم الخولاني بنحو قصة أبي إدريس .

وانظر شرح الحديث في كتاب : (من صحاح الأحاديث القدسية) للشيخ محمد عوامة - ص/ ٢٨٠ .

وبأجنحتها تمسحهم ، يستغفر لَهُمْ كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه ، لأن العلمَ حياةُ القلوب من الجهل ، ومصابيح الإبصار من الظُّلَم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العُلى في الدُّنْيَا والآخرة ... ، يُلهَمهُ السعداء ويُحرمه الأشقياء) [٥٧٥] .

٢- وعن نور بن يزيد قَالَ : كَانَ معاذ بن جبل إذا تهجَّد من الليل قَالَ : (**اللهم قد نامت العيون ، وغارت النجوم ، وأنت حيٌّ قيوم ، اللهم طلبي للجنة بطيء ، وهربي من النار ضعيف ، اللهم اجعل لي عندك هُدىً تردُّه إليَّ يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد**) [٥٧٦] .

٣- وعن معاوية بن قُرَّة قَالَ : قَالَ معاذ بن جبل لابنه : (يا بني إذا صليت فصَلِّ صلاة مودع ، لا تظن أنك تعود إليها أبداً ، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين ، حسنةٍ قدَّمها ، وحسنة أخَّرها) [٥٧٧] .

٤- وعن عمرو بن قيس أن معاذاً لما حضره الموت قَالَ : (**مرحباً بالموت مرحباً** ، زائر مُغِبٌّ [٥٧٨]، حبيب جَاءَ عَلَى فاقة [٥٧٩]، اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك ، إنك لتعلم أني لم أكن أحب الدُّنْيَا وطول البقاء فِيهَا لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر [٥٨٠] ومكابدة الساعات [٥٨١] ومزاحمة العلماء بالرُّكَب عند حِلَق الذِّكر) [٥٨٢] .

٥- ورأى رجلاً يبكي ، فقال : مَا يبكيك ؟

قَالَ : مَا أبكي عَلَى دنيا كنتُ أصبتها منك ، ولكن أبكي عَلَى العلم الَّذِي كنتُ أصيبه منك . قَالَ : (ولا تبكهْ ، فإن إبراهيم عَلَيْهِ السلام كَانَ في الأرض وَلَيْسَ بِهَا عالم فآتاه الله علماً ، **فإن متُّ فاطلب العلم عند**

---

(٥٧٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ /٢٣٩ ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١ /٥٥ .

(٥٧٦) صفة الصفوة لابن الجوزي - ١ /٢٣٠ .

(٥٧٧) صفة الصفوة لابن الجوزي - ١ /٢٣٢ .

(٥٧٨) الزائر المغب : الَّذِي جَاءَ زائراً بَعْدَ غيبوبة وأيام بعيدة ، وغَبَّ : بمعنى بَعُدَ ومنه قولهم : زُر غباً تزدد حباً .

(٥٧٩) عَلَى فاقة : عَلَى حاجة وافتقار إِلَيْهِ .

(٥٨٠) ظمأ الهواجر : أي العطش في نصف النهار عند اشتداد الحر ، والمقصود : الصيام في اليوم شديد الحر .

(٥٨١) المكابدة : من الكَبَد بالفتح ، وهي الشدة ، ومنه قوله تعالى : { T S R Q P } .

(٥٨٢) حلية الأولياء ١ /٢٣٩ ، صفة الصفوة ١ /٢٣٤ .

أربعة : عبد الله بن مسعود ، وسلمان الفارسي ، وعبد الله بن سلام ، وعويمر أبي الدرداء) (٥٨٣) .

وفي رواية عن يزيد بن عميره قَالَ :

(لما حضر معاذَ بن جبل الموتُ قيل لَهُ : يا أبا عبد الرحمن أوصنا . قَالَ : أجلِسوني . ففعلنا ، فقال : إن العلم والإيمان مكانهما ، من ابتغاهما وجدهما ، التمسوا العلم عند أربعة رهط : عند عويمر أبي الدرداء ، وعند سلمان الفارسي ، وعند عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن سلام) (٥٨٤) .

وهَذِهِ وصية منه t بلزوم مجالس هَؤُلاءِ الصحابة ،

ومنهم أبو الدرداء t الذي سنتحدث عنه في الدرس

القادم إن شاء الله .

---

(٥٨٣) أخرجه البخاري في التاريخ الصغير ١ /٩٨ ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ١ /٥١ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢ /٣١١ ، الأصفهاني في سير السلف الصالحين ٢ /٥٥٣ .

(٥٨٤) رواه الترمذي - رقم / ٣٨٠٦ ، وقال : حديث حسن غريب .

أسئلة للدرس الثاني عشر

س١ - بعث النبي e معاذاً إلى اليمن وأوصاه بوصايا عظيمة ورد ذكر بعضها في ثنايا هَذَا الدرس .

اذكر حديثاً آخر (رواه مسلم في كتاب الإيمان) يتضمن وصية النبي e لمعاذ أن يدعو أهل اليمن لأركان الإسلام ويتقي دعوة المظلوم .

س٢ - وصف أبو إدريس الخولاني معاذاً t بِأَنَّهُ برّاق الثنايا ،

فما معنى هَذَا الوصف ؟

وماذا تستنتج من الصفات الَّتِي ينبغي للمعلم والداعية التحلي بِهَا حَتَّى يؤثّر في الناس .

س٣ - أوصى معاذ عند موته بملازمة مجالس أربعة من الصحابة ،

منهم عبد الله بن سلام t .

اذكر موجزاً عن حياة هَذَا الصحابي بالرجوع إلى كتب السيرة والتراجم .

الدرس الثالث عشر

أبو الدرداء t

لمحات من حياته t [٥٨٥]:

- هُوَ عويمر بن زيد ، وقيل : عويمر بن عامر ، الأنصاري الخزرجي ، مشهور بكنيته .

- كَانَ أبو الدرداء من آخر الأنصار إسلاماً ، وَكَانَ يعبد صنماً ، فدخل عبد الله بن رواحة ، ومحمَّدُ بن مسلمه بيتَه ، فكسرا صنمه فرجع فجعل يجمعُ الصنم ، ويقول : ويحك ! هلاَّ امتنعتَ ! ألاَ دفعت عن نَفْسِك ، فقالت أم الدرداء : لوكان ينفعُ أو يَدفعُ عن أحد ، دَفَعَ عن نفسه ، ونفعها !.

فقال أبو الدرداء : أعدِّي لي ماءً في المغتسل . فاغتسلَ ، ولَبِسَ حُلَّته ، ثم ذهب إلى النبي e ؛ فنظر إِلَيْهِ ابن رواحه مُقبلاً ، فقال : يا رسول الله ، هَذَا أبو الدرداء ، وما أراه إِلاَّ جَاءَ في طلبنا ؟ فقال e : (**إِنَّمَا جَاءَ لِيُسلْم ، إن رَبِّي وعَدَنَي بأبي الدَّرْداءِ أن يُسْلِم**) [٥٨٦] .

- شهد غزوة أحد وأبلى بلاء حسناً ، حَتَّى قَالَ عنه الرسول e : (**نعم الفارس عويمر**) [٥٨٧] . وشهد مَا بَعدها من المشاهد مَعَ رسول الله e ، وآخى الرسول e بينه وبين سلمان الفارسي .

- وَكَانَ كثير الاجتهاد في العبادة ، فسئل عن ذَلِكَ فقال : (إن أصحابي سبقوني) ، لأنه لم يكن شهد غزوة بدر ، وَقَدْ زاره سلمان الفارسي t يوماً فشكت لَهُ زوجته قائلة : أخوك أبو الدرداء لَيْسَ لَهُ حاجة في الدُّنْيَا .

فقال لَهُ سلمان : إن لربك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كلَّ ذي

---

(٥٨٥) طبقات ابن سعد ٧/٣٩١ ، صفة الصفوة ١/٢٩٨ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/١٥ ، أُسد الغابة ٤/١٨ ، سير أعلام النبلاء ٢/٣٣٥ ، معرفة القراء الكبار ١/٣٨ ، تذكرة الحفاظ ١/٢٤ ، الإصابة ٣/٤٦ .

(٥٨٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٣٣٦ ، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/٣٤٠ .

(٥٨٧) أخرجه الحاكم ٣/٣٣٧ وابن سعد في الطبقات ٧/٣٩٢ ، وأورده الذهبي في السير ٢/٣٣٨ .

حقٍّ حقَّهُ .

فأتى النبي e فذكر ذَلِكَ لَهُ ، فقال الرسول e : **(صدق سلمان)**[٥٨٨].

- شارك في فتح قبرص مَعَ معاوية t سنة ٢٨هـ .

قَالَ جبير بن نُفير : لما فتحت قبرص نظرتُ إلى أبي الدرداء يبكي، فقلت : مَا يبكيك في يوم أعزَّ الله فيه الإسلام وأهله ؟

فضرب منكبي بيده ، وقال : مَا أهون الخلق عَلَى الله إذا تركوا أمره ، بينما هي أمة ظاهرة قاهرة لِلنَّاسِ لَهُمْ الملك ، إذ تركوا أمر الله فصاروا إلى مَا ترى [٥٨٩].

- توفي سنة اثنتين وثلاثين بدمشق في خلافة عثمان t .

فضائله t :

١ - كَانَ أبو الدرداء t كثير التفكر والتأمل في خلق الله U وآياته الباهرة ، وَكَانَ يقول : (تفكُّر ساعة خيرٌ من قيام ليلة) وَقَدْ سئلت أم الدرداء : (مَا كَانَ أفضل عمل أبي الدرداء ؟ قالت : التفكر والاعتبار) [٥٩٠].

٢ - كَمَا كَانَ من أفاضل الصحابة وفقهائهم :

- عن مسروق قَالَ : (وجدت علم الصحابة انتهى إلى ستة : عمر وعلي وأُبيٌّ وزيد وأبي الدرداء وابن مسعود) [٥٩١].

- قَالَ ابن إسحاق : (كَانَ الصحابة يقولون : أَتبَعُنَا للعلم والعمل أبو الدرداء) [٥٩٢].

---

(٥٨٨) جزء من حديث رواه البخاري - ١٨٦٧ كتاب الصوم ، باب من أقسم عَلَى أخيه ليفطر .

(٥٨٩) الكامل لابن الأثير - ٣/٩٦ .

(٥٩٠) رواهما الإمام أحمد في كتاب الزهد - ص/ ٢٠٢ .

(٥٩١) سير أعلام النبلاء ٢/٣٤٣ ، وتذكرة الحفاظ ١/٢٥ .

(٥٩٢) سير أعلام النبلاء ٢/٣٤١ .

جهوده في تعليم القرآن الكريم :

كَانَ أبو الدرداء t أحد الثلاثة الَّذِينَ أرسلهم عمر t إلى بلاد الشام لتعليم القرآن ، وهم : معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء ، كَمَا سبق بيانه في الدرس الماضي ، فقدموا حمص فكانوا بِهَا ثم استقر أبو الدرداء t في دمشق .

كَمَا تصدر للإقراء بدمشق ، وتولى القضاء في خلافة عثمان بن عفان t [٥٩٣] .

وَلَقَدْ وصفه الإمام الذهبي بقوله : (**حكيم هَذِهِ الأمة وسيد القراء بدمشق**) [٥٩٤] وبقوله : (**حفظ القرآن عن رسول الله e وَكَانَ عالم أهل الشام ومقرئ أهل دمشق وفقيههم وقاضيهم**)[٥٩٥] .

وَقَدْ قرأ عَلَيْهِ وأخذ عنه عدد كبير من الصحابة ومنهم :

أنس بن مالك ، وفضالة بن عبيد ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمرو ابن العاص ، وغيرهم من الصحابة .

وقرأ عَلَيْهِ من التابعين : أبو إدريس الخولاني ، ويزيد بن وهب ، وعلقمة بن قيس ، وزوجته أم الدرداء العالمة الفقيهة [٥٩٦]، وابنه بلال بن أبي الدرداء ، وسعيد بن المسيب ، وجبير بين نُفير ، وعطاء بن يسار ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وعدد آخر من كبار التابعين .

وَقَدْ كانت مجالسه t في تعليم القرآن حافلة مزدحمة بالدارسين .

- عن مسلم بن مشكم قَالَ : قَالَ لي أبو الدرداء :

اعْدُد مَنْ يقرأ عندي القرآن، قَالَ : فعددتهم ألفاً وستمائة ونيِّفاً ، فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشرة

---

(٥٩٣) المرجع السابق ٢ /٣٤٥ .

(٥٩٤) المرجع السابق ٢ /٣٣٥ .

(٥٩٥) تذكرة الحفاظ ١ / ٢٤ .

(٥٩٦) وهي أم الدرداء الصفري ، وأسمها هُجيمة ، وقيل : جُهيمة الأوصابية الدمشقيه تزوجها أبو الدرداء بَعْدَ وفاة النبي e ، وكانت وهي طفلة صغيرة تجلس في حِلق القراء تتعلم القرآن ، وأما زوجته الأولى فهي صحابية ، وأسمها خَيْرة بنت أبي حَدْرد ، وتسمى أم الدرداء الكبرى .
(ينظر سير أعلام النبلاء ٤ /٢٧٧ ، الإصابة ٤ /٢٨٨) .

عشرة ، فإذا صلى الصبح ، انفتل وقرأ جزءاً ، فيُحدقون بِهِ يسمعون ألفاظه ، وَكَانَ يقف في المحراب يرمقهم ببصره ، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه ، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذَلِكَ.

وفي رواية : (كَانَ لِكُلِّ عشرة منهم مقرئ، وَكَانَ أبو الدرداء يطوف عَلَيْهِم قائماً يستفتونه في حروف القرآن فإِذَا أحكم الرجل منهم تحوَّل إلى أبي الدرداء) [٥٩٧].

- وفي رواية : (كَانَ أبو الدرداء يصلي ثم يُقرئ ويقرأ ، حَتَّى إذا أراد القيام قَالَ لأصحابه : هَلْ من وليمة أو عقيقة نشهدها ؟ فإن قالوا نعم، وإلا قَالَ : اللهم إني أُشهدك أني صائم) .

فتأمل هَذِهِ اللفتة التربوية من هَذَا الصحابي الجليل t ، وحرصه عَلَى مشاركة تلاميذه في أفراحهم وزيارتهم في بيوتهم تألفاً لقلوبهم .

وَقَدْ وصف الإمام الذهبي حلقات الإقراء الَّتِي أقامها أبو الدرداء t في مسجد دمشق بأنها كانت تضم أكثر من ألف رجل ، ولكل عشرة منهم ملقِّن .

وَكَانَ أبو الدرداء يطوف عَلَيْهِم قائماً ، فإذا أحكَمَ الرجلُ التلاوةَ تحوَّل إلى أبي الدرداء ليعرض عَلَيْهِ القرآن الكريم [٥٩٨] .

وهكذا إزداد عدد تلاميذ أبي الدرداء وأتباعه ، وأحاط الناس بِهِ ينهلون من علمه ويتلقون عنه .

وَقَدْ نقل الإمام الذهبي عن الليث بن سعد أن أبا الدرداء إذا دخل المسجد يدخل معه من الأتباع مثل مَا يكون مَعَ السلطان وهم يسألونه عن العلم [٥٩٩] .

وَكَانَ t شديد الحرص عَلَى موعظة تلاميذه وتوجيههم وحثهم عَلَى طلب العلم ، ومن أقواله في ذَلِكَ:

- (يا أهل دمشق ، أَنْتُمْ الإخوان في الدين ، والجيران في الدار ، والأنصار عَلَى الأعداء ، مالي أرى علماءَكم يذهبون ، وجهالكم لا يتعلمون ! ألا إن قوماً بنوا شديداً ، وجمعوا كثيراً ، وأمَّلوا بعيداً ، فأصبح

---

(٥٩٧) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٤٦، معرفة القراء الكبار ١/ ٣٨ ، جمال القراء ٢/ ٤٥٤ .

(٥٩٨) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٥٣ .

(٥٩٩) تذكرة الحفاظ - ١/ ٢٥ .

بنيانهم قبوراً ، وأملهم غروراً ، وجمعهم بُوراً [٦٠٠] ، **ألا فتعلموا وعلِّموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ، ولا خير في الناس بعدهما)** [٦٠١] .

ولم تكن توجيهاته ومواعظه قاصرة عَلَى أهل دمشق ، وإنما كانت عامة لغيرها من بلاد المسلمين ، وَكَانَ لَهَا أثرها في نفوسهم .

فقد روى الإمام الدارمي : أن رجلاً جَاءَ إلى أبي الدرداء فقال لَهُ: إن إخواناً لَكَ من أهل الكوفة يُقْرِئونك السلام ، ويأمرونك أن توصيهم فقال : **(أقرهم السلام ، وأْمرهم أن يربطوا القرآن بخزائمهم**[٦٠٢] **، فإنه يحملهم عَلَى السهولة والقصد)** [٦٠٣] .

كَمَا جَاءَه أحد أبرز تلاميذ عبد الله بن مسعود t ، وَهُوَ علقمة رحمه الله ، فأرشده إلى لزوم مجالس ابن مسعود والصحابة الآخرين الَّذِينَ نزلوا في الكوفة :

روى البخاري عن علقمة قَالَ : (قدمت الشام فصليت ركعتين ثم قلت : اللهم يسِّر لي جليساً صالحاً ، فأتيت قوماً فجلست إليهم ، فإذا شيخ قد جَاءَ حَتَّى جلس إلى جنبي ، قلت : من هَذَا ؟ قَالَ : أبو الدرداء . فقلت : إني دعوت الله أن ييسِّر لي جليساً صالحاً ، فيسَّرك لي .

قَالَ : ممن أنت ؟

قلت : من أهل الكوفة .

قَالَ : أوليس عندكم ابن أم عبد ، صاحب النعلين والوسادة والمطهرة [٦٠٤]، وفيكم الَّذِي أجاره الله من الشيطان ـ يعني : عمار بن ياسر ـ ، وفيكم صاحب سرِّ رسول النبي e الَّذِي لا يعلمه أحد غيره ـ يعني :

---

(٦٠٠) بوراً : أي هلاكاً .

(٦٠١) جامع بيان العلم وفضله ١ / ٢١٣ .

(٦٠٢) خزائمهم : جمع خزامة ، وهي الحلقة الَّتِي تُجعل عَلَى أنف البعير ، والمراد : التشمير لهذا الأمر والعناية بتعليم القرآن والتمسك بِهِ .

(٦٠٣) رواه الدارمي في سننه - رقم/ ٣٣٣٠ وابن أبي شيبة في مصنفه ١٠ /٥٢٧ ، وأورده الإمام السخاوي في جمال القراء ١ /٢٢٢ .

(٦٠٤) ابن أم عبد : هُوَ عبد الله بن مسعود t ، والذي كَانَ يحمل نعلي رسول الله e ، والوسادة : هي المخدَّة ، والمطهرة : الإناء المعَدُّ للوضوء ، وَكَانَ ابن مسعود يتولى هَذِهِ الأمور وتهيئتها للرسول e .

حذيفة بن اليمان ـ)[٦٠٥] .

فانظر إِلى هَذَا الثناء العاطر من أبي الدرداء عَلَى هَؤُلاءِ الصحابة الَّذِينَ نزلوا الكوفة ، والحث عَلَى لزوم مجالسهم والتلقي عنهم .

وَقَدْ تحدث الإمام الذهبي رحمه الله عن قراء الصحابة في كتابه : (معرفة القراء الكبار) [٦٠٦] وقسمهم إِلى طبقتين ، وذكر في الطبقة الأولى سبعة ، وهم الَّذِينَ دارت عَلَيْهِم أسانيد قراءة الأئمة العشرة ، ومنهم أبو الدرداء t .

ومن أبرز القراء العشر عبد الله بن عامر الشامي المتوفى سنة (١١٨هـ) الَّذِي تلقى القرآن عن أبي الدرداء ، وَكَانَ عريفاً عَلَى إحدى حلقات مسجد دمشق ، فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر وقام مكانه وعمره ثلاث وعشرون سنة ، واتخذه أهل الشام إماماً ورجعوا إلى قراءته [٦٠٧] .

أقواله ووصاياه t :

١- عن أبي قلابة أن أبا الدرداء t مرَّ عَلَى رجلٍ قد أصاب ذنباً ، وكانوا يسبُّونه ، فقال : أرأيتم لَوْ وجدتموه في قليب [٦٠٨] ألم تكونوا مُستَخرجيهِ ؟

قالوا : بلى . قَالَ : **فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الَّذِي عافاكم .**

قالوا : أفلا تبغضه ؟

قَالَ : **إِنَّمَا أبغض عمله ، فإذا تركه فَهُوَ أخي** [٦٠٩] .

٢- وعن لقمان بن عامر قَالَ : كَانَ أبو الدرداء t يقول :(إِنَّمَا أخشى من رَبِّي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق ، فيقول لي: يا عويمر. فأقول: لبيك ربِّ .

---

(٦٠٥) رواه البخاري - رقم / ٣٥٣٢ .

(٦٠٦) معرفة القراء ١/ ٣٩ .

(٦٠٧) معرفة القراء ١/ ٣٨ ، جمال القراء ٢/ ٤٥٤ .

(٦٠٨) القليب : البئر .

(٦٠٩) رواه الطبراني - ٩/ ٨٥١٤ ، وأورده ابن الجوزي في صفة الصفوة - ١/ ٣٠٤ ، وابن الأثير في أُسد الغابة - ٤/ ١٩ .

فيقول : **مَا عملتَ فيما عَلِمتَ ؟**

فإن قلت : علمتُ . لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إِلاَّ أخذت بفريضتها : الآمرة هَلْ ائتمرت ؟ والزاجرة هَلْ ازدجرت ؟ وأعوذ بالله من علمٍ لا ينفع ، ونفسٍ لا تشبع ، ودعاءٍ لا يُسمع) [٦١٠] .

٣- ومن أقواله t :

(لَيْسَ الخير أن يكثُر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يعظُم حلمك ويكثُر علمُك ، وأن تباري الناس في عبادة الله U ، إن أحسنت حمدت الله ، وإن أسأت استغفرت الله) [٦١١] .

٤ - ومن أقواله أيضاً :

(الدُّنْيَا دار كدر ، ولن ينجو منها إِلاَّ أهل الحذر ، ولله فِيهَا علامات يسمعها الجاهلون ، ويعتبر بِهَا العالمون ، ومن علاماتها أنها حُفت بالشهوات ، فارتطم فِيهَا أهل الشبهات ، ثم أعقبها بالآفات ، فانتفع بذلك أهل العظات) [٦١٢] .

٥ - وعن محمد بن يزيد الرحبي قَالَ : قيل لأبي الدرداء :

مالك لا تُشعِر ؟ فَإِنَّهُ لَيْسَ رجلٌ لَهُ بيتٌ في الأنصار إِلاَّ وَقَدْ قَالَ شعراً .

قَالَ : وأنا قد قلت فاسمعوا :

يريد المرء أن يُعطى مُناهُ ... ويأبى الله إِلاَّ مَا أرادا

يقول المرء فائدتي ومالي ... وتقوى الله أفضل مَا استفادا [٦١٣]

---

(٦١٠) حلية الأولياء ١/٢١٣ ، جامع بيان العلم وفضله - ٢/٣ .

(٦١١) سير السلف الصالحين للأصبهاني - ٢/٥٥٦ .

(٦١٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب - ٣/١٨ .

(٦١٣) صفة الصفوة ١/٣٠٣ .

٦- وعن أم الدرداء أن أبا الدرداء t لما احتُضر جعل يقول : (من يعمل لمثل يومي هَذَا ؟ من يعمل لمثل ساعتي هَذِهِ ؟ من يعمل لمثل مضجعي هَذَا ؟) [٦١٤] .

رحم الله أبا الدرداء ، وزوجته العالمة الفقية أم الدرداء

وجزاهما عن المسلمين خير الجزاء .

(٦١٤) المرجع السابق ١/ ٣٠٥ .

أسئلة للدرس الثالث عشر

س١ - اذكر تفصيل قصة زيارة سلمان الفارسي لأبي الدرداء رضي الله عنهما ، وَالَّتِي ورد ذكرها موجزة فِي هَذَا الدرس ، وفيها قول سلمان t :
(إن لربك عليك حقاً ...)
واستنتج مَا فِيهَا من دروس وعبر .

س٢ - من تلاميذ أبي الدرداء زوجته أم الدرداء الَّتِي تلقت عنه القرآن والعلم ، فمن هي أم الدرداء ؟ تحدث عن سيرتها بإيجاز بالرجوع إلى كتب التراجم .
وما هي الدروس والعبر المستفادة من ذَلِكَ .

س٣ - كَانَ أبو الدرداء حريصاً عَلَى مشاركة تلاميذه في أفراحهم وزيارتهم في بيوتهم ... اذكر دليلاً عَلَى ذَلِكَ مِمَّا درست .
وبيّن أهمية ذَلِكَ في تقوية الصلة بين المعلم والمتعلم .

الدرس الرابع عشر

زيد بن ثابت t

لمحات من حياته t [٦١٥]:

- هُوَ زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي ، من بني النجار ، أبو سعيد ، وقيل : أبو ثابت ، قُتل أبوه يوم بُعاث ، وهي حرب بين الأوس والخزرج قبل الهجرة بخمس سنوات .

- ولما هاجر الرسول e جاءه زيد وعمره أحد عشر عاماً ، وَقَدْ حفظ سوراً من القرآن ، فقرأ أمام الرسول e فأعجبه ذَلِكَ .

- كَانَ صغيراً يوم بدر ويوم أُحد ، ولكن الرسول e بعثه يوم أُحد يتفقد سعد بن الربيع بين قتلى المسلمين ، فوصل إِلَيْهِ وَهُوَ في الرمق الأخير ، وأقرأه السلام من رسول الله e ، وأخبره سعد أَنَّهُ يجد ريح الجَنَّة .

- اشترك زيد في الغزوات بَعْدَ ذَلِكَ ، وَكَانَ ينقل التراب مَعَ المسلمين يوم الخندق ، فقال رسول الله e : **(إِنَّهُ نعم الغلام)** .

- سلَّمه الرسول e راية بني النجار في غزوة تبوك ، بَعْدَ أن كانت مَعَ عُمارة بن حزم ، فقال عمارة : يا رسول الله بلغك عني شيء ؟

قَالَ : **(لا ، ولكن القرآن مقدَّم ، وزيدٌ أكثر أخذاً للقرآن منك)** [٦١٦] .

- كَانَ أحد كتّاب الوحي ، يسمع القرآن من فم رسول الله e مباشرة ، وحفظ القرآن وأحكم الفرائض (أي : علم المواريث) .

---

(٦١٥) طبقات ابن سعد ٣٥٨/٢ ، صفة الصفوة ٣٤١/١ ، أُسد الغابة ١٢٦/٢ ، سير أعلام النبلاء ٤٢٦/٢ ، معرفة القراء الكبار ٣٥/١ ، تذكرة الحفاظ ٣٠/١ ، الإصابة ٥٤٣/١ .

وينظر كتاب : زيد بن ثابت كاتب الوحي وجامع القرآن - تأليف : صفوان عدنان داوودي ، ضمن سلسلة أعلام المسلمين .

(٦١٦) رواه الحاكم في المستدرك ٢٤١/٣ ، وأورده الإمام ابن حجر في الإصابة ٥٤٣/١ .

- أمره أبو بكر t أن يجمع القرآن الكريم ، كَمَا جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان t .

- استخلفه عمر t عَلَى المدينة ثلاث مرات ، مرتين في الحج ، ومرة في مسير عمر إلى الشام ، وَكَانَ عثمان يستخلفه أيضاً إذا حج .

- قال ثابت بن عُبيد : (ما رأيت رجلاً أفكهَ في بيته ولا أوقر في مجلسه من زيد) [٦١٧] .

- توفي وَهُوَ ابن أربع وخمسين سنة ، وصلّى عَلَيْهِ مروان بن الحكم وَذَلِكَ سنة خمس وأربعين للهجرة .

فضائله t :

١ - **من أبرز فضائله t أن النبي e اختصه بمهمة دقيقة** ، وهي أمرُهُ بتعلُّم اللغة السريانية ، ليقرأ لَهُ الكتب الَّتِي تصله ، فتعلَّمها في فترة وجيزة .

عن زيد بن ثابت قَالَ : قَالَ لي رسول الله e : (**أتُحسنُ السُّريانية ؟**) قلت : لا ، قَالَ : (**فتعلَّمْها فَإِنَّهُ تأتينا كُتب**) .

قَالَ : فتعلمتُها في سبعة عشر يوماً) [٦١٨] .

وفي رواية للترمذي : (أمرني رسول الله e أن أتعلم لَهُ كتاب يهود .

قَالَ : إني والله مَا آمن يهود عَلَى كتاب .

قَالَ : فما مرَّ بي نصف شهر حَتَّى تعلمته ، فلما تعلمته كَانَ إذا كتب إلى يهود كتبتُ إليهم ، وإذا كُتب إِلَيْهِ قرأتُ لَهُ كتابهم) .

٢ - **ومن فضائله t ثناء الرسول e على علمه بالفرائض** وأنه أعلم الأمة بذلك ، مع أنه شاب في مقتبل العمر .

عن أنس t قَالَ : قَالَ رسول الله e : (**أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدها في دين الله عمر وأصدقها حياء**

---

[٦١٧] الإصابة ١/٥٤٣ .

[٦١٨] رواه ابن حبان في صحيحه ١٦/٨٤ ، رقم /٧١٣٦ ، وأحمد ٥/١٨٢ ، والحاكم ٣/٤٢٢ ، وأبو داود رقم / ٣٦٤٥ ، والترمذي رقم /٢٧١٥ وقال :حديث حسن صحيح .

عثمان ، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت) [٦١٩] .

- وقد قَالَ عنه عمر بن الخطاب t : (من أراد أن يسأل الفرائض فليأت زيد بن ثابت) .

٣ - ومن فضائله مكانته بين الصحابة y ، وشهادة ابن عباس t وتواضعه له :

- عن الشعبي قال : ذهب زيد بن ثابت ليركب ، فأمسك ابن عباس بالرِكاب ، فقال : تنحَّ يا بن عم رسول الله e

فقال : **لا ، هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا** [٦٢٠] .

٤ - وعندما توفي زيد بن ثابت t قال أبو هريرة t : (مات حَبْر هَذِهِ الأمة ، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خَلَفاً) [٦٢١] .

وقال ابن عباس t : (هكذا ذهاب العِلم ، لَقَدْ ذهب اليوم علمٌ كثير) [٦٢٢] .

جمعه للقرآن الكريم :

روى البخاري عن عبيد بن السباق : أن زيد بن ثابت t قَالَ : أرسل إِلَيَّ أبو بكرٍ ، مقتل أهل اليمامة [٦٢٣] ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قَالَ أبو بكر t : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بِقُراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحِرَّ القتل بالقراءِ بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

قُلتُ لِعُمَر : كَيْفَ تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله e .

قَالَ عمر : هَذَا والله خيرٌ .

فلم يزل عمر يُراجعني حَتَّى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذَلِكَ الَّذِي رأى عُمَرُ .

---

(٦١٩) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٨٤ .

(٦٢٠) أخرجه ابن سعد ٢/ ٣٦٠ ، والحاكم ٣/٤٢٣ ، وصححه وأقره الذهبي ، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٤٥ .

وانظر : صفة الصفوة ١/ ٣٤٣ ، سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٧ ، الإصابة في تميز الصحابة ١/ ٥٤٣ .

(٦٢١) أُسد الغابة - ٢/ ١٢٧ .

(٦٢٢) صفة الصفوة ١/ ٣٤٣ .

(٦٢٣) انظر تفصيل ذلك ص/ ١٤٦ من هذا الكتاب .

قَالَ زيد : قَالَ أبو بكر : **إنك رجلٌ شاب عاقل لا نتَّهِمُك ، وَقَدْ كنت تكتب الوحي لرسول الله e ، فتتبع القرآن فاجمعه .**

فوالله لَوْ كلَّفوني نقل جبلٍ من الجبال مَا كَانَ أثقل عليَّ مِمَّا أمروني بِهِ من جمع القرآن .

قلت : كَيْفَ تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله e ؟

قَالَ : هُوَ والله خيرٌ . فلم يزل أبو بكر يراجعني حتَّى شرح الله صدري للَّذي شرح لَهُ صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فتتبَّعتُ القرآن أجمعه من العُسُبِ (٦٢٤) واللِّخَافِ (٦٢٥) وصدور الرجال ، حَتَّى وجدت آخر سورة التوبة مَعَ أبي خُزَيمةَ الأنصاري ، لم أجدها مَعَ أحدٍ غيره : { | { ~ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ } حَتَّى خاتمة براءة .

فكانت الصحف عند أبي بكر حَتَّى توفاه الله ، ثم عند عمر حياتَهُ ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها (٦٢٦) .

وهكذا وقع اختيار أبي بكر على زيد بن ثابت t لهذه المهمة العظيمة ، لما اجتمع فيه من مواهب ، واختصَّ به من مزايا ، لها أثر كبير في تحقيق هذا الأمر المهم ، لم تجتمع في غيره من الصحابة . فهو من حفَّاظ القرآن ، ومن كتَّاب الوحي لرسول الله e ، وممن شهدَ العرضة الأخيره للقرآن في ختام حياته e .

وهو إلى جانب ذلك كان معروفاً برجاحة العقل وشدَّة الورع وعظم الأمانة ، وكمال الخُلق واستقامة الدِّين . كل هذه الصفات وغيرها رجَّحت لدى أبي بكر t أنه أولى من يقوم بهذا العمل ، وأكد ذلك عنده أنه استشار فيه عمر t فوافقه على اختياره (٦٢٧) .

وأما جمعه للقران الكريم في مصحف واحد في عهد عثمان t فقد كَانَ سببه الخشية من اختلاف المسلمين في القراءة بَعْدَ انتشار الإسلام وكثرة الفتوحات ، وهذا مَا أشار بِهِ حذيفة بن اليمان عَلَى أمير

---

(٦٢٤) العُسُبِ : جمع عسيب ، وهو جريد النخل العريض .

(٦٢٥) اللخاف : جمع لَخفَة ، وهي حجارة بيضاء رقيقة .

(٦٢٦) رواه البخاري - رقم / ٤٤٠٢ ، ٤٧٠١ .

(٦٢٧) ينظر : الواضح في علوم القرآن - ص /٨٣ .

المؤمنين عثمان t .

روى البخاري عن أنس بن مالك : (أن حذيفة بن اليمان قدِم عَلَى عثمان ، وَكَانَ يُغازي أهل الشام في فتح إرمِينيَة وأذربيجان مَعَ أهل العراق [٦٢٨] ، فأفزَعَ حذيفة اختلافهم في القراءة [٦٢٩] .

فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هَذِهِ الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب ، اختلاف اليهود والنصارى .

فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردُّها إليك ، فأرسلت بِهَا حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف)[٦٣٠] .

وَقَدْ سبق الحديث عن الفرق بين جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر وجمعه في عهد عثمان رضي الله عنهما [٦٣١] وما قام بِهِ زيد t من جهود متواصلة في هَذَا المجال.

قال الإمام الذهبي رحمه الله : (ومن جلالة زيد أن الصدِّيق اعتمد عليه في كتابة القرآن العظيم في صحف ، وجمعه من أفواه الرجال ، ومن الأكتاف والرقاع واحتفظوا بتلك الصحف مدة .. إلى أن ندبَ عثمانُ زيدَ ابن ثابت ونفراً من قريش إلى جمع هذا المصحف العثماني، الذي به الآن في الأرض أزيَد من ألفي ألف نسخة ، ولم يبق بأيدي الأمة قرآن سواه ، ولله الحمد) [٦٣٢] .

تعلُّمه للقرآن الكريم وتفوقه العلمي :

مِمَّا يدل عَلَى اهتمام زيد t بتعلم القرآن الكريم منذ صغره أَنَّهُ كَانَ من السباقين لذلك، قبل قدوم الرسول e إلى المدينة ، وعمره آنذاك أحد عشر عاماً .

عن زيد بن ثابت t أَنَّهُ قَالَ :

---

(٦٢٨) أي : كَانَ عثمان يجهز جيشاً من أهل الشام والعراق لغزو إرمينية وأذربيجان .

(٦٢٩) أي : اختلاف أهل الشام وأهل العراق .

(٦٣٠) رواه البخاري - رقم / ٤٧٠٢ .

(٦٣١) ينظر ص / ١٩٠ من هَذَا الكتاب .

(٦٣٢) سير أعلام النبلاء - ٢/ ٤٤١ .

(أُتِيَ بي عند مقدم الرسول e المدينة ، فقالوا : (**يا رسول الله هَذَا غلام من بني النجار ، وَقَدْ قرأ مِمَّا أُنزل عليك سبع عشرة سورة ، فقرأت عَلَى رسول الله e فأعجبه ذَلِكَ**) [٦٣٣] .

وفي رواية : (فأستقرأني فقرأت سورة !) [٦٣٤] .

وفي مدة وجيزة كَانَ زيد t من السباقين إلى حفظ القرآن الكريم .

وَقَدْ كَانَ t مثالاً يُحتذى للشباب المسلم بهمته ونشاطه ، ودأبه عَلَى العلم والتعليم ، وإقباله عَلَى حفظ القرآن الكريم ، ونبوغه وذكائه ، حتى أصبح من أبرز كتَّاب الوحي للرسول e رغم صغر سنه .

أخرج الطبراني عن زيد بن ثابت t قال : (كان رسول الله e إذا نزل عليه الوحي بعث إليَّ فكتبته) [٦٣٥] .

وعن البراء قال : لَمَّا نَزَلَتْ : { ! " # $ % & ' ( ) * + , } .

قال النبي e : (**ادْعُ لِي زَيْداً ، وليَجِئ باللوح والدَّواةِ والكَتِفِ**). ثم قال: (اكتب: { ! " # }). وخلف ظَهرِ النبي e عمرو بن أم مكتوم الأعمى ، قال : يا رسول الله فما تأمرني ، فإني رجُلٌ ضرير البصرِ؟ فَنَزَلت مكانها : { ! " # $ % & ' ( ) * + , } [٦٣٦]) [٦٣٧]

ولاشك أن اختيار زيد لهذه المهمة يؤكد نبوغه وتفوقه عَلَى أقرانه وَهُوَ في مقتبل العمر ، ولهذا استطاع أن يتعلم لغة اليهود في مدة وجيزة ، بل إِنَّهُ تعلم لغات أخرى في أسابيع قلائل .

قَالَ الإمام ابن كثير رحمه الله : (كَانَ زيد بن ثابت من أشد الناس ذكاءً ، تعلَّم لسانَ يهود وكتابهم في خمسة عشر يوماً ، وتعلَّم الفارسية من رسول كسرى في ثمانية عشر يوماً ، وتعلَّم الحبشية والروميه والقبطيه من

---

(٦٣٣) رواه الإمام أحمد ٥/١٨٦ ، والحاكم وصححه ٣/٤٢١، وأبو داود /٣٦٤٥ والبخاري مختصراً في الأحكام .

(٦٣٤) فتح الباري ١٣/١٨٦ .

(٦٣٥) أخرجه الطبراني في الكبير - رقم /٤٨٨٢ ، وحسَّنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٧ .

(٦٣٦) سورة النساء : ٩٥ .

(٦٣٧) رواه البخاري - رقم /٤٧٠٤ .

خُدَّام الرسول e ، وأول مشاهدهِ غزوة الخندق وَهُوَ ابن خمس عشرة سنه) (٦٣٨) .

جهوده في تعليم القرآن الكريم :

أصبح زيد t في عهد الخلفاء الراشدين من أبرز علماء الصحابة وقرائهم ، وكان عمر t يوجِّه الصحابة إلى مختلف البلدان ويكلفهم بما تحتاج إليه الخلافة من مهام ، فإذا ذُكر له زيد بن ثابت يقول :

(لم يسقط عليَّ مكان زيد ـ أي : لم أغفل عنه ـ **ولكنَّ أهل البلد يحتاجون إلى زيد فيما يجدون عنده ، مما لايجدون عند غيره)** (٦٣٩) .

وعن سليمان بن يسار قال : **(ما كان عمر ولا عثمان يقدِّمان على زيد بن ثابت أحداً في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة)** (٦٤٠) .

وعن قبيصه بن ذُؤيب قال : **(كان زيد بن ثابت مُترِّساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض، في عهد عمر وعثمان وعلي في مُقامه بالمدينة)** (٦٤١) .

وكان منهج زيد t في التعليم الحرص على ما ينفع الناس في أمور دينهم ، والبُعد عما لا فائدة منه من الأمور النظرية التي لم تحدث في عالم الواقع .

قال الزهري رحمه الله : (بلغنا أن زيد بن ثابت كان يقول إذا سُئل عن الأمر : أكان هذا ؟ فإن قالوا : نعم ، حدَّث فيه بالذي يعلَم ، وإن قالوا : لم يكن قال : فَذَرُوه حتى يكون) (٦٤٢) .

وقد كان عثمان t يرسل إلى زيد من يأتيه لتعلم القرآن الكريم ، ومن أبرزهم التابعي الجليل أبو عبد الرحمن السلمي الَّذِي تلقى كثيراً من القرآن عن عثمان بن عفان t ، فقال له عثمان : (إنك إذن تشغلني عن النظر في أمور الناس ، **فامضِ إلى زيد بن ثابت فإنه أفرغ لهذا الأمر ، فاقرأ عليه ، فإن قراءتي وقراءته**

(٦٣٨) البداية والنهاية ٨/ ٢٩ .

(٦٣٩) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٠ .

(٦٤٠) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٥٩ .

(٦٤١) المرجع السابق ٢/ ٣٦٠ .

(٦٤٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٨ .

واحدة ليس بيني وبينه فيها خلاف) [٦٤٣] .

وقد ذكر الإمام الذهبي تلاميذ زيد بن ثابت t الَّذِينَ أخذوا عنه القرآن والحديث فقال : (قرأ عَلَيْهِ القرآن جماعة منهم : ابن عباس ، وأبو عبد الرحمن السُّلمي ، وحدَّث عنه : ابنه خارجه ، وأنس بن مالك ، وابن عمر ، وعطاء بن يَسار ، وبِشْر بن سعيد ... وخلقٌ سواهم)[٦٤٤].

وابنه خارجة بن زيد تتلمذ عَلَى يد والده حَتَّى صار إماماً في الفقه، وأصبح أحد الفقهاء الَّذِينَ انتهت إليهم الفتوى بالمدينة المنورة .

ومن أبرز تلاميذ زيد بن ثابت t ثلاثة من كبار التابعين ، وهم :

سعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وقبيصة بن ذؤيب رحمهم الله تعالى .

فقد أخرج ابن سعد عن الزُّهري قال :

(سمعت سليمان بن يسار يقول : كنا نجالس زيد بن ثابت أنا وسعيد بن المسيب وقبيصة بن ذويب ، ونجالس ابن عباس) [٦٤٥] .

وكان الإمام الزهري من تلاميذ سعيد بن المسيب ، حيث يقول : (كنتُ أجالس ثعلبه بن أبي مالك ، فقال لي يوماً : عليك بسعيد بن المسيب ، قال : **فجالستُه عشرَ سنين كيومٍ واحد)** [٦٤٦] .

وهكذا تتصل حلقات العلم جيلاً بعد جيل ، ويقبل التابعون على تعليم القرآن وأحكام الإسلام لتلاميذهم بعد أن تلقوه عن الصحابة الكرام ، وتزدان تِلْكَ المجالس بأنوار القرآن الكريم ، حَتَّى تغدو الساعات الطويلة في مجالستهم وكأنها دقائق ، والسنوات العشر وكأنها يوم واحد .

فما أعظم مجالس العلم والعلماء !!

---

(٦٤٣) حياة الصحابة ٣/ ١٩٣ ، نقلاً عن منتخب كنز العمال ٥ /١٨٤ .

(٦٤٤) تذكرة الحافظ ١ / ٣٠ .

(٦٤٥) طبقات ابن سعد ٢ / ٣٨٠ .

(٦٤٦) المرجع السابق ٢ /٣٨٣ .

أقواله ووصاياه t :

١ - من بدائع توجيهات زيد بن ثابت **t** أنه كان يحضُّ تلاميذه على قراءة القرآن الكريم بالتدبر ، ويكره سرعة القراءة ، لأنها تُفقد التدبر والخشوع .

فقد أخرج مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أنه قال :

(كنت أنا ومحمد بن يحيى جالسَيْن ، فدعا محمدٌ رجلاً ، فقال :

أخبرني بالذي سمعتَ من أبيك . فقال الرجل : أخبرني أبي أنه أتى زيد بن ثابت فقال له : كيف ترى قراءة القرآن في سبعٍ ؟

فقال زيد : حَسنٌ ، ولأَنْ أقرأه في نصف شهر أو عشرٍ أحبُّ إليَّ . وسَلْني لم ذلك ؟

قال : فإني سا ئلك ؟

قال زيد : **لكي أتدبره وأقف عليه** [٦٤٧] .

٢ - وعن عبد الله بن دينار قال : كتب زيد بن ثابت إلى أُبي بن كعب رضي الله عنهما : (أما بعد : فإن الله قد جعل اللسان ترجماناً للقلب ، وجعل القلب وعاءً وراعياً ينقاد له اللسان لما هداه له القلب ، فإذا كان القلب على وِفق اللسان جاء الكلام ، وائتلف القول واعتدل ، ولم يكن للِّسان عثرة ولا زلة .

فإذا ترك الرجل كلامه بلسانه وخالفه على ذلك قلبه جدَع بذلك أنفه ، وإذا وزن الرجل كلامه بفعله صدَّق ذلك مواقع حديثه .

هل وجدت بخيلاً إلا وهو يجود بالقول ويمنُّ بالفعل ؟ [٦٤٨] وذلك لأن لسانه بين يدي قلبه ، وهل تجد عند أحد شرفاً أو مروءة إذا لم يحفظ ما قال ثم يتَّبعه ، ويقول ما قال وهو يعلم أَنَّهُ حق عليه واجب حين يتكلم به) [٦٤٩] .

وهكذا كانت حياة زيد بن ثابت t حافلة بالعلم والتعليم ،

فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

---

(٦٤٧) تنوير الحوالك شرح موطا مالك ١ / ٢٠٥ .

(٦٤٨) أي : يكثر من القول ويتباهى به فإذا جاء الفعل والبذل بالمال كان شحيحاً بخيلاً .

(٦٤٩) حياة الصحابة ٣/٥١٩ ، نقلاً عن كنز العمال ٨/٢٢٤ .

أسئلة للدرس الرابع عشر

س١ - استشهد كثير من قراء القرآن الكريم يوم اليمامة فكان ذَلِكَ سبباً في جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق t .

اذكر موجزاً عن معركة اليمامة وأبرز من استشهد فِيهَا من الصحابة الكرام.

س٢ - اذكر ثلاثة من تلاميذ زيد بن ثابت t مَعَ تعريف موجز بكل منهم .

س٣ - كَانَ زيد بن ثابت t من كُتَّاب الوحي للرسول e .

اذكر خمسة آخرين من الصحابة من كُتَّاب الوحي ، مَعَ التعريف بهم .

الدرس الخامس عشر

عبد الله بن عباس t

لمحات من حياته t (٦٥٠):

- هُوَ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، أبو العباس ، ابن عم رسول الله e ، وأمه : أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية ، وخالته : ميمونة بنت الحارث زوجة النبي e .

- ولد ابن عباس قبل الهجرة بثلاث سنوات عندما كَانَ بنو هاشم محصورين بالشُعب مَعَ المسلمين ، ونشأ في مكة عَلَى الإسلام حَيْثُ أسلم والده وأمه ، وبقي العباس في مكة يكتم إسلامه .

- هاجر ابن عباس مَعَ أبيه قبيل فتح مكة فالتقيا بالرسول e بمنطقة الجحفة ، وَهُوَ قادم لفتح مكة ، فشهد الفتح وغزوة حنين ، وصحب النبي e ولازمه .

- كَانَ t أحد الفقهاء من الصحابة الَّذِينَ انتهت إليهم الفُتيا بَعْدَ رسول الله e ، وأصبح مرجعاً للصحابة في كثير من الأمور الفقهية ، واشتهر بالتفسير ، وَهُوَ أحد الستة من الصحابة المكثرين في رواية الحديث النبوي (٦٥١) حَتَّى بلغ مجموع مروياته ١٦٦٠ حديثاً .

- شارك في بعض غزوات أفريقيا مَعَ عبد الله بن أبي السرح سنة سبع وعشرين ، وروى عنه من أهل مصر خمسة عشر شخصاً ، وولاَّه علي بن أبي طالب t عَلَى البصرة سنة خمس وثلاثين .

- فقد ابن عباس بصره في أواخر عمره ، فصبر عَلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ يقول :

---

(٦٥٠) فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل ٨٤٤/١ ، طبقات ابن سعد ٣٦٥/٢، سير السلف الصالحين ٤٧٨/٢ ، صفة الصفوة ٣٦٧/١ ، معرفة القراء الكبار ٤٥/١ ، تذكرة الحفاظ ٤٠/١ ، سير أعلام النبلاء ٣٣٠/٣ ، الإصابة ٣٢٢/٢ ، جمال القراء ٢٥٨/١ ، شذرات الذهب ٧٥/١ .

وانظر كتاب : عبد الله بن عباس حَبْر الأمة وترجمان القرآن - للدكتور مصطفى الخن ، وكتاب : عبد الله بن عباس الإمام البحر عالم العصر - للشيخ عبد الحميد طهماز ، وكتاب : تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير - للدكتور عبد العزيز الحميدي .

(٦٥١) وهم : أبو هريرة ، وجابر بن عبدالله ، وعبدالله بن عمر ، وأنس بن مالك، وعائشة أم المؤمنين ، وابن عباس y .

إنْ يأخذ الله مِن عينيَّ نورَهُما ففي لساني وقلبي منهما نور [٦٥٢]

فضائله t :

١ - روى البخاري عن ابن عباس t قَالَ :

ضمّني النبي e إلى صدره ، وقال : (اللهم علِّمهُ الحكمة)

وفي رواية : (علِّمه الكتاب) [٦٥٣].

وفي رواية : (اللهم فقِّههُ في الدين وعلِّمهُ التأويل) [٦٥٤].

٢ - وأخرج البغوي عن ابن عمر t قَالَ :

كَانَ عمر t يدعو ابن عباس ويقرِّبه ، ويقول : إني رأيت رسول الله e دعاك يوماً فمسح عَلَى رأسك وقال : (اللهم فقهِّهُ في الدين وعلِّمه التأويل) [٦٥٥].

٣ - وعن الأعمش أَنَّهُ قَالَ : (كَانَ ابن عباس إذا رأيتَهُ قلتَ : أجملُ الناس . فإذا تكلَّم قلتَ : أفصح الناس . فإذا حدَّث قلتَ : أعلمُ الناس) [٦٥٦].

٤ - وقال عمرو بن حبشي : (سألت ابن عمر عن آية ، فقال : انطلق إلى ابن عباس فاسأله ، فَإِنَّهُ أعلم مَنْ بقي بِمَا أنزل الله تعالى عَلَى محمد e) [٦٥٧].

٥ - وعن عبد الله بن أبي مليكة قَالَ : (صحبتُ ابن عباس من مكة إلى المدينة ، فكان يصلي ركعتين ، فإذا نزل قام شطر الليل ، ويرتِّل القرآن حرفاً حرفاً ، ويكثر في ذَلِكَ من التسبيح والنحيب) [٦٥٨] أي : البكاء .

---

(٦٥٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٤٠ .

(٦٥٣) رواه البخاري - رقم / ٣٥٤٦ .

(٦٥٤) رواه الإمام أحمد ١/ ٢٢٦ .

(٦٥٥) فتح الباري ١/ ١٧٠ .

(٦٥٦) شذرات الذهب ١/ ٧٦ .

(٦٥٧) الإصابة ٢/ ٣٢٤ .

(٦٥٨) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣٦ .

وفي رواية : (ثم حكى قراءته : { V W X Y Z [ ] }[٦٥٩] قَالَ : ثم بكى حَتَّى سُمِع لَهُ نشيج)[٦٦٠].

وما أبدع قول حسان بن ثابت t في ثنائه على ابن عباس :

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه ... رأيتَ له في كل أحواله فضلاً

إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ ... بمنتظماتٍ لا ترى بينها فصلا

كفى وشفى ما في النفوس فلم يَدَعْ ... لذي إربة في القول جداً ولا هزلا[٦٦١]

حرصه عَلَى طلب العلم :

كَانَ ابن عباس t حريصاً عَلَى طلب العلم ، والتلقي عن النبي e منذ الصغر ، وإليك هَذِهِ القصة الَّتِي تصف مبيته في بيت الرسول e عند خالته ميمونه بنت الحارث رضي الله عنها :

روى البخاري عن ابن عباس t قَالَ : (بتُّ في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي e ، وَكَانَ النبي e عندها في ليلتها ، فصلى النبي e العشاء ثم جَاءَ إلى منزله ، فصلَّى أربع ركعات ثم نام ، ثم قام ، ثم قَالَ : (**نام الغُلَيِّمُ**[٦٦٢])، ثم قام فقمت عن يساره ، فجعلني عن يمينه ، فصلَّى)[٦٦٣].

وفي روايات أخرى أَنَّهُ لما بات عند خالته ميمونه اضطجع في عرض الوسادة ، واضطجع الرسول e وأهله في طولها ، فنام حَتَّى انتصف الليل أو قريباً منه ، ثم استيقظ الرسول e يمسح النوم عن وجهه ، ثم قرأ عشر آيات من خواتم سورة آل عمران ، ثم قام فتوضأ فأحسن الوضوء ، فصنع ابن عباس مثله ، ثم

(٦٥٩) سورة ق : ٢١ .

(٦٦٠) التذكار في افضل الأذكار - ص ٢٠٢ .

(٦٦١) الاستيعاب ٢ / ٣٤٦ .

(٦٦٢) الغُلَيّم : تصغير غلام .

(٦٦٣) رواه البخاري - رقم / ١١٧ .

قام يصلي ، فصلى معه ثلاث عشرة ركعة ، ثم اضطجع حَتَّى جاءه المؤذن ، فقام فصلى ركعتين ثم خرج فصلى الصبح [٦٦٤].

وهكذا أحيا ابن عباس الليل مَعَ النبي e يصلي إلى جانبه ، ويتعلم منه وَهُوَ شاب صغير في مقتبل العمر ، وحظي بهذه الفضيلة التي تميّز بِهَا عن غيره في معرفة أحوال النبي e في بيته ، مِمَّا لايطلع عَلَيْهِ الناس .

وَكَانَ يروي هَذِهِ القصة لأبنائه وتلاميذه ، ويصف لَهُمْ وضوء رسول الله e وصلاته ودعاءه ، حَتَّى تكاثرت روايتهم عنه ، وبلغت روايات هَذَا الخبر في صحيح مسلم فقط أكثر من خمس وعشرين رواية [٦٦٥].

كَمَا كَانَ حريصاً عَلَى تعلّم القرآن الكريم ، وتلقِّيهِ عن النبي e رغم صغر سنه ، حَتَّى حفظ عدداً كبيراً من سوره .

روى البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : (جمعت المُحكم في عهد رسول الله e .

فقلت لَهُ : وما المحكم ؟

قَالَ : المفصَّل) [٦٦٦] والمفصَّل : السور الَّتِي يكثر الفصل بينها ، وهي من سورة الحجرات إلى آخر القرآن .

وبعد وفاة النبي e حرص ابن عباس t عَلَى ملازمة علماء الصحابة والتلقي عنهم ، فقرأ القرآن عَلَى أُبي بن كعب t ، وتلقى الحديث النبوي عن عمر وعثمان وعلي وأبي ذر وغيرهم y .

وَكَانَ يذهب إليهم في مجالسهم ودورهم ليسألهم عن كتاب الله تعالى ، وما حفظوه من سنَّة رسول الله e

---

(٦٦٤) انظر الروايات في البخاري - رقم / ١٣٨ ، ١٨١ ، ٦٦٥ ، ٩٤٧ ، ومسلم - رقم / ٧٦٣ وما بعدها .

(٦٦٥) ينظر صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه .

(٦٦٦) رواه البخاري - رقم / ٤٧٤٩ .

– روى الإمام الدارمي عن عكرمة عن ابن عباس t قَالَ : (لما توفي رسول الله e قلت لرجل من الأنصار : يا فلان هَلُمَّ فلنسأل أصحاب النبي e فإنهم اليوم كثير . فقال : واعجباً لَكَ يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي e من ترى ؟ فترك ذَلِكَ ، وأقبلتُ عَلَى المسألة ، فإن كَانَ ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه ، وَهُوَ قائل[٦٦٧] فاتوسَّد ردائي عَلَى بابه ، فتسفي الريح عَلَى وجهي التراب ، فيخرج فيراني

فيقول : يابن عم رسول الله مَا جَاءَ بك ؟ ألا أرسلتَ إليَّ فآتيك !

فأقول : أنا أحقُّ أن آتيك .

فأسأله عن الحديث ، فبقي الرجل حَتَّى رآني وَقَدْ اجتمع الناس عليَّ ، **فقال** : **كَانَ هَذَا الفتى أعقل مني**) [٦٦٨].

– وروى ابن سعد عن أبي معبد قَالَ :

سمعت ابن عباس t يقول :

(كنتُ آتي بابَ أُبي بن كعب وَهُوَ نائم، فأقيلُ عَلَى بابه، ولو علم بمكاني لأحبَّ أن يُوقَظَ لي ، لمكاني من رسول الله e ، ولكني أكره أن أُملَّهُ) [٦٦٩].

أي : لَوْ علم أُبي بن كعب بأني أنتظر عند بابه لأحب أن يوقظه أحد لقرابتي من رسول الله e .

– وَقَدْ قَالَ المغيرة : قيل لابن عباس : أنىَّ أصبتَ هَذَا العلم ؟

قَالَ : (بلسانٍ سَؤُولٍ وقلبٍ عَقول) [٦٧٠].

– وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قَالَ : كَانَ عمر t يأذن لأهل بدر ، ويأذن لي معهم .

فقال بعضهم : أتاذن لهذا الفتى ومِنْ أبنائنا مَنْ هُوَ مثله ؟

---

(٦٦٧) قائل : أي نائم وقت القيلولة .

(٦٦٨) سنن الدارمي - رقم / ٥٧٠ ، ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح كَمَا قَالَ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ٢٨٠، ورواه الحاكم في المستدرك ١ /١٠٦.

(٦٦٩) طبقات ابن سعد ٢ / ٣٧١ .

(٧٠) شذرات الذهب ١ /٧٦ .

فقال : فَإِنَّهُ ممّن قد علمتم .

فأذن لَهُمْ يوماً وأذن لي معهم ، فسألهم عن هَذِهِ السورة : {A B C D E F G H I J K L M} فقالوا : أمر الله U نبيَّه إذا فتح الله عَلَيْهِ أن يستغفر ، وأن يتوب إليه . فقال لي : مَا تقول يابن عباس ؟

فقلت : لَيْسَ كَذَلِكَ ، ولكنه أخبر نبيه e بحضور أَجلهِ ، فقال : {A B C D E} أي : فتحُ مكة .

{G H I J K L M} أي : فعند ذَلِكَ علامةُ موتك .

{O P Q R T U V} .

فقال لَهُمْ عمر : كَيْفَ تلوموني عَلَيْهِ بَعْدَ مَا ترونَه [٦٧١] ؟

---

(٦٧١) صفة الصفوة ١/ ٣٦٨ .

مجالس ابن عباس t في تعليم القرآن :

مَا أبدع تِلْكَ المجالس المباركة، وما أجمل أقوال تلاميذه وهم يحدثون عنها، وإليك نماذج من هَذِهِ الأقوال :

- قَالَ عطاء: (مَا رأيت مجلساً أكرم من مجلس ابن عباس، أصحاب القرآن عنده يسألونه، وأصحاب العربية عنده يسألونه، وأصحاب الشعر عنده يسألونه، وكلهم يصدرُ عن رأيٍ واسعٍ)[٦٧٢] .

- وعن مجاهد قَالَ : (مَا رُؤيَ مجلسٌ مثل مجلس ابن عباس ، وَلَقَدْ مات يومَ مات وإنه لحَبْر هَذِهِ الأمة)[٦٧٣] .

- وقال أيضاً : (ختمتُ القرآن عَلَى ابن عباس تسع عشرة ختمة)[٦٧٤] .

- **وَلَقَدْ كَانَ t حريصاً عَلَى الاتقان والترتيل مع التدبر** ، ويوصي تلاميذه قائلاً : (لأن أقرأ سورة أرتِّلها أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن كُلَّهُ)[٦٧٥] .

- وعن أبي جمرة أَنَّهُ قَالَ : قلت لابن عباس : إني رجل سريع القراءة ، وربما قرأتُ القرآن في ليلةٍ مَرَّة أو مرتين .

فقال ابن عباس : (لأن أقرأ سورة واحدة أعجبُ إليَّ من أن أفعلَ ذَلِكَ الَّذِي تفعل ، فإن كنت فاعلاً ولابد ، فاقرأ قراءة تُسمع أذنيك ، ويعِيَها قلبُكَ)[٦٧٦] .

- **وَكَانَ يوصي جلساءه بتعلُّمِ القرآن الكريم وتعليمه لأهليهم** وخاصة سورة الملك .

عن عكرمة عن ابن عباس t أَنَّهُ قَالَ لرجل : (ألا أُتحفك بحديث تفرح بِهِ ؟ قَالَ : بلى .

قَالَ : (اقرأ { ! " # $ } وعلِّمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك ، فَإِنَّهَا

---

(٦٧٢) المجالسة وجواهر العلم للدينوري - ٤ / ٦٤ .

(٦٧٣) المجالسة ٤ / ٦٢ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣ / ٥٣٥ .

(٦٧٤) جمال القراء للسخاوي - ٢ / ٤٤١ .

(٦٧٥) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي - ص ٧٠ .

(٦٧٦) زاد المعاد لابن القيم ١ / ٣٣٩ .

المنجية والمجادِلة ، تجادلُ أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها) [٦٧٧] .

وَكَانَ t يحثُّ جلساءَه عَلَى طلب العلم ، ويقول لَهُمْ :

(تدارسُ العلم ساعةً من الليل خيرٌ من إحيائها) [٦٧٨] .

- **وَقَدْ كَانَ t ـ وَهُوَ أمير عَلَى البصرة ـ حريصاً عَلَى تعليم القرآن الكريم** ، وَكَانَ يغشى الناس في مجالسهم، وخاصة في شهر رمضان ليفقِّههم ويعلِّمهم [٦٧٩] .

- وهذا سعيد بن جبير رحمه الله ، وَهُوَ من أبرز تلاميذ عبد الله بن عباس t يستمع إِلَى وصف أستاذه كَيْفَ كَانَ النبي e يعاني من الشدة عند نزول القرآن الكريم :

روى البخاري عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس t قَالَ : (كَانَ النبي e يُعالجُ من التَّنْزِيل شدَّةً ، وَكَانَ يُحرِّكُ شفتيهِ ـ فقال لي ابن عباس : أُحركُهُمَا لَكَ كَمَا كَانَ رسول الله e يُحرِّكُهُمَا . فحرَّك شفتيهِ ـ فأنزل الله U : { لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ } قَالَ : جَمْعُه في صدرك ثم تَقرؤُهُ ، { فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ } [٦٨٠] قَالَ : فاستمع لَهُ وَأنصِتْ ، ثم إنَّ علينا أن تقرأهُ .

قَالَ : فكان رسول الله e إذا أتاهُ جِبْرِيلُ u اسْتَمعَ ، فإِذَا انطلق جبريل قرَأَهُ النبي e كَمَا أَقْرَأَهُ) [٦٨١]

كَمَا كَانَ يشرح لتلاميذه كثيراً من أسباب نزول آيات القرآن ؛ ومن ذَلِكَ مثلاً مارواه البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما : في قوله تعالى : { h i j k l m} [٦٨٢] .

قال : نزلت ورسول الله e مُختفٍ بمكَّةَ ، فكانَ إذا صلَّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإِذَا سمعهُ المُشركون سبُّوا القرآن ومن أنزله ومَنْ جَاءَ بِهِ ، فقال الله لنبيه e : { h i j } أي : بقراءتك ، فيسمع المشركون فيسبُّوا القرآن ، { k l m} عند أصحابك فلا تُسمعهم، { n o p q }

(٦٧٧) تفسير ابن كثير - ٤ / ٤٢٢ .

(٦٧٨) رواه الدارمي - رقم /٢٦٤ .

(٦٧٩) الإصابة - ٢/٣٢٥ .

(٦٨٠) سورة القيامة : ١٦ - ١٧ .

(٦٨١) رواه البخاري - رقم /٧٠٨٦ .

(٦٨٢) سورة الإسراء : ١١٠ .

أسمِعْهم ولا تجهرْ حَتَّى يأخذوا عنك القرآن) (٦٨٣) .

وهكذا برع ابن عباس t في تعليم القرآن الكريم ، فكان بحقٍّ حَبْر الأمة وترجمان القرآن .

وَقَدْ أخرج أبو نعيم في الحلية عن شقيق قَالَ : (خطَبَنا ابن عباس وَهُوَ عَلَى الموسم ، فافتتح سورة البقرة، فجعل يقرأُ ويفسِّر ، فجعلتُ أقول : **مَا رأيتُ ولا سمعتُ كلامَ رجلٍ مثله ، لَوْ سمعَتْه فارس والروم لأسلمت)** حَتَّى قَالَ رجل : إني لأشتهي أن أقبِّلَ رأسه ، مِن حلاوةِ كلامه (٦٨٤) .

وعن سعيد بن جبير أَنَّهُ قَالَ : (كنت أسمع الحديث من ابن عباس فلو يأذن لي لقبَّلتُ رأسه) (٦٨٥) .

وَقَدْ تحدث الإمام ابن كثير عن مكانة تلاميذ ابن العباس في التفسير وخاصة مجاهد ،

فقال : (كان مجاهد آية في التفسير ، وَقَدْ قَالَ : عرضتُ المصحف عَلَى ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمته ، أُوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها) .

وعن ابن أبي مليكة قَالَ : (رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه ، فيقول لَهُ ابن عباس : اكتب ، حتى سأله عن التفسير كُلِّهُ ، ولهذا كَانَ سفيان الثوري يقول : إِذَا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك بِهِ) (٦٨٦) .

وَقَدْ كَانَ ابن عباس t يحذر أن يقول في التفسير مالا يعلم :

عن ابن أبي مليكة قَالَ :سأل رجل ابن عباس عن يومٍ كان مقداره ألف سنة ؟

فقال لَهُ ابن عباس : فما (يومٌ كَانَ مقداره خمسين ألف سنة) ؟

فقال الرجل : إنما سألتك لتحدثني .

فقال ابن عباس : هما يومان ذكرهما الله في كتابه ، الله أعلم بهما . فَكرِهَ أن يقول في كتاب الله مالا يعلم)

---

(٦٨٣) رواه البخاري - رقم / ٧٠٥٢ ، ٧٠٨٧ .

(٦٨٤) حلية الأولياء - ١/ ٣٢٤ ، الإصابة ٢/ ٣٢٥ .

(٦٨٥) الإصابة - ٢/ ٣٢٥ .

(٦٨٦) مقدمة تفسير ابن كثير ١/ ٥ .

.[٦٨٧]

ولم تكن صلة ابن عباس t بتلاميذه قاصرة عَلَى مجالس التعليم ، وَإِنَّمَا كَانَ حريصاً عَلَى تفقد أحوالهم ، وإرشادهم في مختلف أمور حياتهم :

روى البخاري عن سعيد بن جبير رحمه الله قَالَ :

(قَالَ لي ابن عباس : هَلْ تزوجت ؟ قلت : لا .

قَالَ : فتزوَّج فإن خير هَذِهِ الأمة أكثرُها نساءً)[٦٨٨] .

تزاحم طلاب العلم عَلَى باب ابن عباس t :

أخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي صالح قَالَ : (لَقَدْ رأيت من ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **مجلساً لَوْ أن جميع قريش فخرت بِهِ لكان لَهَا فخراً** ، لَقَدْ رأيت الناس اجتمعوا حَتَّى ضاق بهم الطريق ، فما كَانَ أحد يقدر أن يجيء ولايذهب ، قَالَ : فدخلت عَلَيْهِ فأخبرته بمكانهم عَلَى بابه ، فقال لي : ضع لي وَضوءاً . فتوضأ وجلس وقال : أخرج وقل لَهُمْ : **من كَانَ يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل .**

قَالَ : فخرجت فآذنتُهم فدخلوا حَتَّى ملئوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إِلاَّ أخبرهم بِهِ ، وزادهم مثل ماسألوا عنه أو أكثر ، ثم قَالَ : إخوانكم . فخرجوا .

ثم قَالَ : اخرج فقل : **من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل .**

فخرجت فآذنتهم ، فدخلوا حَتَّى ملئوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إِلاَّ أخبرهم بِهِ ، وزادهم مثل مَا سألوا عنه أو أكثر ، ثم قَالَ : إخوانكم . فخرجوا .

ثم قَالَ : اخرج فقل : **من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل .**

فخرجت فقلت لَهُمْ ، قَالَ : فدخلوا حَتَّى ملئوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إِلاَّ أخبرهم بِهِ وزادهم مثله ، ثم قَالَ إخوانكم ، فخرجوا .

---

(٦٨٧) مقدمة تفسير ابن كثير ١/ ٦ .

(٦٨٨) رواه البخاري - رقم / ٤٧٨٢ .

ثم قَالَ : اخرج فقل **من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل .**

فخرجت فآذنتهم ، فدخلوا حَتَّى ملئوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إِلاَّ أخبرهم بِهِ وزادهم مثله ، ثم قَالَ : إخوانكم . فخرجوا .

فقال : اخرج فقل : **من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل.**

فدخلوا حَتَّى ملئوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إِلاَّ أخبرهم بِهِ وزادهم مثله . قَالَ أبو صالح : **فلو أن قريشاً كُلَّهَا فخرت بذلك لكان فخراً ، فما رأيت مثل هَذَا لأحد من الناس)** [٦٨٩] .

غيرته عَلَى كتاب الله U :

كَانَ لابن عباس نظرة دقيقة في أحوال الناس ، وخشية من تسارعهم في قراءة القرآن دون تعلُّم وتَدبُّر ، فيظن أحدهم أَنَّهُ أصبح عالماً يؤخذ بقوله ، فيقع الاختلاف وسوء الفهم لكتاب الله U ، والخوض في آياته بغير علم ولا بصيرة ، **وتأمل معي هَذِهِ الرواية :**

عن الأصم عن ابن عباس قَالَ : قدم عَلَى عمر رجل فجعل عمر يسأله عن الناس ، فقال : يا أمير المؤمنين قد قرأ منهم القرآن كذا وكذا . فقال ابن عباس : والله مَا أحب أن يتسارعوا يومهم هَذَا في القرآن هَذِهِ المسارعة ، قَالَ : فزبرني عمر[٦٩٠] ثم قَالَ : مَهْ !

قَالَ : فانطلقت إِلَى أهلي مكتئباً حزيناً ، فقلت : قد كنت نزلت من هَذَا الرجل منزلة فلا أراني إِلاَّ وَقَدْ سقطت من نفسه ، فرجعت إِلَى منزلي فاضطجعت عَلَى فراشي حَتَّى عادني نسوة أهلي وما بي وجع ، وما هُوَ إِلاَّ الَّذِي تقبَّلني به عمر . قَالَ : فبينما أنا عَلَى ذَلِكَ أتاني رجل فقال : أجب أمير المؤمنين ، فخرجت فإِذَا هُوَ قائم ينتظرني ، فأخذ بيدي ثم خلا بي ، فقال : مَا الَّذِي كرهتَ مِمَّا قَالَ الرجل آنفاً ؟.

فقلت : يا أمير المؤمنين إن كنت أسأتُ فإني أستغفر الله وأتوب إِلَيْهِ وأنزلُ حَيْثُ أحببت .

قَالَ : لتحدثني بالذي كرهتَ مِمَّا قَالَ الرجل .

---

(٦٨٩) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ / ٣٢٠ ، والحاكم ٣/٥٣٨ .

(٦٩٠) أي : انتهرني وزجرني .

فقلت : يا أمير المؤمنين متى مَا تسارعوا هَذِهِ المسارعة يحيفوا[٦٩١] **، ومتى مَا يحيفوا يختصموا ، ومتى مَا يختصموا يختلفوا ، ومتى مَا يختلفوا يقتتلوا .**

فقال عمر: لله أبوك ، لَقَدْ كنتُ أُكاتمها الناسَ حَتَّى جئتَ بِهَا)[٦٩٢] .

وفي رواية : (قَالَ ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، إِنَّا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيما نزل ، وإنه يكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن لا يعرفون فيمَ نزل ، فيكون لِكُلِّ قوم فيه رأي ، فإِذَا كَانَ لِكُلِّ قوم فيه رأيٌ اختلفوا ، فإِذَا اختلفوا اقتتلوا)[٦٩٣] .

وهكذا يظهر غَيرة ابن عباس t عَلَى كتاب الله U ، وخوفه من اكتفاء الناس بتلاوته وحفظ آياته ، دون تدبر وفهم ودراية ، مِمَّا يؤدي إلى القول بغير علم ، وكثرة الاختلاف والفتنة .

أقواله ووصاياه t :

١ - من أبرز وصاياه لتلاميذه t تحذيره لَهُمْ من الأخذ عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى الَّذِينَ حرَّفوا كتبهم .

فقد روى البخاري عن عكرمة عن ابن عباس t قَالَ :

(كَيْفَ تسألون أهل الكتاب عن كتبهم وعندكم كتاب الله ، أقرب الكتب عهداً بالله ؟)[٦٩٤] .

وفي رواية: (كَيْفَ تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الَّذِي أنزل الله عَلَى نبيكم e أحدثُ الأخبار بالله ، وَقَدْ حدثكم الله أنَّ أهل الكتاب قد بدَّلوا من كُتب الله وغيَّروا ، فكتبوا بأيديهم ، وقالوا : هُوَ من عند الله ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً . أَوَلا ينهاكم مَاجاءكم من العلم عن مَسْأَلتهم ؟ فلا والله ، مَا رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الَّذِي أُنزل عَلَيْكُم)[٦٩٥] .

---

(٦٩١) يحيفوا : من الحَيْف ، وَهُوَ الجور والظلم والبعد عن الحق .

(٦٩٢) مصنف عبد الرزاق - كتاب الجامع - باب الخصومة في القرآن .

(٦٩٣) حياة الصحابة ٣/ ٢١٨ ، نقلاً عن كنز العمال ١ /٢٢٨ .

(٦٩٤) رواه البخاري - رقم / ٧٠٨٤ .

(٦٩٥) رواه البخاري - رقم / ٧٠٨٥ .

٢- ومن أبلغ وصاياه t موعظته في التحذير من الوقوع في المعاصي ، حَيْثُ كَانَ يقول : (يا صاحب الذنب ، لا تأمننَّ من سوء عاقبته ، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا علمته ؛ فإن قِلَّة حيائك ممّن عَلَى اليمين وعلى الشمال وأنت عَلَى الذنب أعظم من الذنب الَّذِي عملته ، وضحكك وأنت لا تدري مَا الله صانعٌ بك أعظم من الذنب ، وفرحك بالذنب إذا ظفرت بِهِ أعظم من الذنب ، وحزنك عَلَى الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت بِهِ)[٦٩٦] .

وفاته t :

- توفي ابن عباس t بالطائف سنة ٦٨ هـ وعمره إحدى وسبعون سنة ، وصلَّى عَلَيْهِ محمد ابن الحنفيَّة[٦٩٧] .

وقال : (مات والله اليومَ حَبرُ هَذِهِ الأمة)[٦٩٨] .

وعن سعيد بن جبير قَالَ : (مات ابن عباس بالطائف فشهدنا جنازته ، فجاء طائر أبيض لم يُرَ عَلَى خِلقته حَتَّى دخل في نعشه ، ثم لم يُرَ خارجاً منه ، فلما دفن تُليت هَذِهِ الآية عَلَى شفير القبر لم يُدرَ من تلاها : { 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ })[٦٩٩] .

رحم الله حَبْر الأمة وترجمان القرآن ،

وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

---

(٦٩٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية - ١/٣٢٤ .

(٦٩٧) هُوَ محمد بن علي بن أبي طالب t ، وأمه الحنفية خولة بنت جعفر، يُعدُّ من الطبقة الأولى من التابعين - توفي سنة ٨١هـ - ودفن بالبقيع .

(ينظر : صفة الصفوة ١/٤٣٥ ، شذرات الذهب ١/٨٩) .

(٦٩٨) الإصابة ٢/٣٢٦ .

(٦٩٩) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، كما قَالَ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٨٨ ، وأورده ابن حجر في الإصابة ٢/٣٢٦ .

أسئلة للدرس الخامس عشر

س١ - وُلد ابن عباس t أثناء حصار المسلمين بالشِّعب .

اذكر موجزاً عن هَذَا الحصار بالرجوع إلى كتب السيرة النبوية .

س٢ - اذكر أسماء ثلاثة من أبرز تلاميذ ابن عباس t من خلال مَا قرأت في هَذَا الدرس ، مع تعريف موجز بواحد منهم .

س٣ - تحدَّث بإيجاز عن سيرة والد ابن عباس t وَهُوَ العباس بن عبد المطلب عم رسول الله e .

الدرس السادس عشر

صحابة آخرون (١)

أولاً : أبو عبيدة بن الجراح t

لمحات من حياته t (٧٠٠) :

هُوَ الصحابي الجليل عامر بن عبد الله بن الجرَّاح القرشي ، مشهور بكنيته : " أبو عبيدة " أسلم قبل دخول النبي e دار الأرقم ، فَهُوَ أحد السابقين إلى الإسلام ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، هاجر الهجرتين إلى الحبشة ، وشهد بدراً وما بعدها ، وَهُوَ الَّذِي انتزع الحلقتين من وجه الرسول e في غزوة أحد حَتَّى سقطت ثناياه .

وفي غزوة ذات السلاسل أرسله النبي e مدداً لعمرو بن العاص ومعه أبو بكر وعمر وكثير من الصحابة y ، وجعله أميراً عَلَيْهِم .

كَمَا أرسله أمير المؤمنين عمر t لتولي قيادة جيوش المسلمين عَلَى أرض الشام .

فضائله t :

أشهر الأحاديث في فضائل أبي عبيدة t :

مَا رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك t عن النبي e قَالَ : **(إن لِكُلِّ أمة أميناً ، وأمين هَذِهِ الأمة أبو عبيدة بن الجراح)** (٧٠١) .

وروى الترمذي عن عبد الله بن شقيق قَالَ :

قلت لعائشة : أيُّ أصحاب النبي e كَانَ أحبَّ إلى الرسول e ؟

قالت : أبو بكر . قلت : ثم من ؟

قالت : عمر . قلت : ثم من ؟

(٧٠٠) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/٣ ، سير أعلام النبلاء ١/٥ ، الرياض النضرة ٣٤٤/٢ ، الإصابه ٢٤٣/٢ .

(٧٠١) رواه البخاري - رقم /٤١٢١ ، ومسلم - رقم / ٢٤١٩ .

قالت : أبو عبيدة بن الجراح . قلت : ثم من ؟ فسكتت) (٧٠٢) .

المعلم الأمين :

من مآثره t أن النبي e اختاره ليكون معلِّماً لأهل اليمن ونجران وأميراً عَلَيْهِم .

روى مسلم عن أنس t أن أهل اليمن قدموا عَلَى رسول الله e فقالوا : (ابعث معنا رجلاً يعلِّمنا السنة والإسلام . قَالَ : فأخذ بيد أبي عبيدة فقال : (**هَذَا أمين هَذِهِ الأمة**) (٧٠٣) .

وفي رواية للحاكم أنهم قالوا : (**ابعث معنا رجلاً يعلِّمنا القرآن**) (٧٠٤) .

وعن حذيفة بن اليمان t قَالَ : جَاءَ أهل نجران إلى رسول الله e فقالوا : يا رسول الله ، ابعث إلينا رجلاً أميناً . فقال : (**لأبعثنَّ إليكم رجلاً أميناً حقَّ أمين ، حقَّ أمين**) .

فاستشرف لَهَا الناس ، قَالَ : فبعث أبا عبيدة بن الجراح) (٧٠٥) .

ومعنى استشرف لَهَا الناس أي : تطلَّعوا إلى أن يختار النبي e واحداً منهم ، حرصاً عَلَى هَذِهِ الأوصاف والمآثر ، بأن يكون كلٌّ منهم هُوَ الأمين الموعود ، لا حرصاً عَلَى الولاية (٧٠٦) .

والأمين هُوَ الثقة المْرضي ، ومع أن الأمانة صفة مشتركة للصحابة y ، لكن النبي e خصَّ بعضهم بصفات غلبت عَلَيْهِم ، وكانوا أخصَّ بِهَا .

ولا شك أن تأكيد النبي e عَلَى من اختص بهذه الصفة وتحقق بِهَا حَتَّى وصفه بقوله : (**حقَّ أمين**) واختياره لمهمة الإماره وتعليم القرآن **إشارة جلية إلى أن هَذِهِ المهمة بالغة الخطورة** ، والمكلَّف بِهَا سيكون مستأمناً عَلَى حياة الناس ودينهم ، فعليه أن يكون حقَّ أمين ، متحققاً بهذه الصفة بأعلى مراتبها يؤدي الأمانة في التعليم ، كَمَا تلقاها وتعلَّمها من الرسول المربي e .

وإليك هَذِهِ الرواية : عن أبي ثعلبة t قَالَ : لقيت رسول الله e فقلت : يا رسول الله ، ادفعني إلى

---

(٧٠٢) رواه الترمذي رقم / ٣٦٥٨ في المناقب ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٧٠٣) رواه مسلم - رقم / ٢٤١٩ .

(٧٠٤) رواه الحاكم في المستدرك ٣/٢٦٧ .

(٧٠٥) رواه البخاري - رقم / ٣٥٣٥ ، ومسلم - رقم / ٢٤٢٠ واللفظ لَهُ .

(٧٠٦) شرح النووي عَلَى صحيح مسلم - ١٥/١٩٢ .

رجل حسن التعليم . فدفعني إلى أبي عبيدة بن الجراح ، ثم قَالَ : (**دفعتك إلى رجل يُحسن تعليمك وأدبك**)[٧٠٧] .

فالتعليم والأدب صفتان متلازمتان ، ولا خير فيمن يُحسن التعليم ولا يُحسن التأديب والتربية ، كَمَا هُوَ حال بعض المعلمين اليوم الَّذِينَ جعلوا التعليم حرفة ووظيفة، وليست مهمة ورسالة ، فخانوا الأمانة وخانوا الأمة .

وفاته t :

توفي أبو عبيدة t في مرض الطاعون بالشام سنة ثماني عشرة ، وعمره ثمانية وخمسون عاماً ، وَقَدْ وقف معاذ بن جبل t خطيباً بالناس يومئذ فكان مِمَّا قَالَ : (إِنَّكُمْ فُجعتم برجل ، مَا أزعم والله أني رأيت من عباد الله قطُّ أبرَّ صدراً ولا أنصح للعامة منه ، فترحَّموا عَلَيْهِ)[٧٠٨] .

ثانياً : سالم مولى أبي حذيفة t

لمحات من حياته t [٧٠٩]:

- هُوَ سالم بن معقل ، مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وَكَانَ مولى امرأة من الأنصار وهي زوجة أبي حذيفة فأعتقته ، فتبناه أبو حذيفة t .

- يُعدُّ سالم من المهاجرين نسبة لأبي حذيفة ، كَمَا يُعدُّ من الأنصار نسبة لمولاته الأنصارية زوجة أبي حذيفة .

- كَانَ سالم t من السابقين إلى الإسلام ، ومن فضلاء الصحابة وكبارهم ، وَقَدْ آخى النبي e بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح ، وشهد بدراً والمشاهد كُلَّهَا مَعَ رسول الله e .

- ومن الأمور التي اختص بِهَا سالم t أن رسول الله e أَذِن لامرأة أبي حذيفة أن ترضعه وَهُوَ كبير

---

(٧٠٧) حياة الصحابة ٣/١٩٩ ، نقلاً عن كنز العمال ٧/٩٥ .

(٧٠٨) الإصابة ٢/٢٤٥ .

(٧٠٩) سير السلف الصالحين ٢/٤٣٦ ، طبقات ابن سعد ٣/٨٥ ، صفة الصفوة ١/١٧٥ ، الاستيعاب ٢/٦٨ ، أُسد الغابة ٢/١٥٥ ، سير أعلام النبلاء ١/١٦٧ ، الإصابة ٢/٦ ، البداية والنهاية ٣/١٧٤ .

لكي يتمكن من الدخول عليها .

فقد روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت :

(جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي e فقالت : يا رسول الله إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم . فقال النبي e : **(أرضعيه !)**

قالت : وَكَيْفَ أرضعه وَهُوَ رجل كبير ؟

فتبسم رسول الله e وقال : **(قد علمتُ أَنَّهُ رجل كبير)** .

وفي رواية أنها قالت : (إن سالماً قد بلغ مَا يبلغ الرجال ، وعقل مَا عقلوا ، وإنه يدخل علينا ، وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذَلِكَ شيئاً) .

فقال لَهَا النبي e : **(أرضعيه تحرمي عَلَيْهِ ، ويذهب الَّذِي في نفس أبي حذيفة)** [٧١٠] .

مكانته في تعليم القرآن الكريم :

١ - روى البخاري عن عبد الله بن عمرو t قَالَ : سمعت رسول الله e يقول : **(استقرئوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأُبي بن كعب)**[٧١١] .

وهَذِهِ شهادة جليلة من الرسول e لسالم t ، ومكانة كبيرة حظي بِهَا بين قراء الصحابة y .

٢ - وعن ابن عمر t أَنَّهُ قَالَ : (لما قدم المهاجرون الأولون العصبة ـ موقع بقباء ـ قبل مقدم رسول الله e **كَانَ يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة وَكَانَ أكثرهم قرآناً)** [٧١٢] .

ولاشك أن تقديم سالم t للإمامة يشهد بمكانته في تعلُّم القرآن الكريم ، فقد كَانَ يؤم المهاجرين في قباء ، وفيهم عمر t وأبو عبيدة ابن الجراح ، قبل أن يقدم الرسول e إلى المدينة ، وَكَانَ يؤمهم إذا سافر

---

(٧١٠) رواه مسلم - رقم / ١٤٥٣ ، وَقَدْ روى مسلم عن أم سلمة زوج النبي e أنها كانت تقول : (أبى سائر أزواج النبي e أن يُدخلن عليهن أحداً بتلك الرضاعة ، وقلن لعائشة : والله مَا نرى هَذَا إِلاَّ رخصة أرخصها رسول الله e لسالمٍ خاصة) مسلم رقم/ ١٤٥٤ .

(٧١١) رواه البخاري - رقم / ٣٥٤٨ ، ٣٥٩٧ .

(٧١٢) رواه البخاري - رقم / ٦٦٠ .

معهم لأنه كَانَ أكثرهم قرآناً [٧١٣].

٣- كَمَا كَانَ t حَسَن الصوت في تلاوة القرآن الكريم :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : استبطأني رسول الله e ذات ليلة ، فقال : مَا حبسكِ ؟ قلت : إنَّ في المسجد لأحسنَ مَنْ سمعتُ صوتاً بالقرآن ، فأخذ رداءه وخرج يسمع ، فإِذَا هُوَ سالم مولى أبي حذيفة .

فقال : **(الحمد لله الَّذِي جعل من أمتي مثلك)** [٧١٤].

فما أبدع هَذَا الثناء العاطر من الرسول e ، وما أجمل هَذِهِ المنقبة العظيمة لسالم t !

وفاته t :

شارك سالم t في معركة اليمامة لحرب المرتدين، وَكَانَ يحمل لواء المهاجرين ، فقيل لَهُ : تخشى من نفسك شيئاً فنولِّي اللواء غيرك ؟

فقال : **(بئس حامل القرآن أنا إذاً)** .

وفي رواية : **(بئس حامل القرآن أنا إن أُتيتم من قِبَلي)** .

وأبلى t في هَذِهِ المعركة بلاء كبيراً ، وحفر لنفسه حفرة وقام فِيهَا وَهُوَ يحمل اللواء ، فقُطعت يمينه ، فأخذ اللواء بيساره ، فقُطعت يساره فاعتنق اللواء ، وَهُوَ يقرأ قوله تعالى : { H G F E D C I J K M N O P Q R S }[٧١٥].

فلما صُرع قَالَ لأصحابه : مَا فعل أبو حذيفة ؟ قالوا : قُتل ، قَالَ : فأضجِعوني بجنبه [٧١٦] ، ثم استشهد t ، وَذَلِكَ سنة اثنتي عشرة ، في خلافة أبي بكر الصديق t .

فتأمَّل هَذَا الوفاء وهَذِهِ المحبة الصادقة من سالم لمولاه أبي حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، وما أحرانا أن نقف

---

[٧١٣] الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٦٨ ، البداية والنهاية ٣/ ١٧٤ .

[٧١٤] رواه الإمام أحمد ٦/ ١٦٥ ، والحاكم ٣/ ٢٢٦ وصححه ووافقه الذهبي ، وأورده الإمام الذهبي في السير ١/ ١٦٨ وقال : إسناده جيد . كَمَا أورده الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢/ ٧ ، وقال : رجاله ثقات .

[٧١٥] سورة آل عمران : ١٤٤ .

[٧١٦] صفة الصفوة ١/ ١٧٥ ، أُسد الغابة ٢/ ١٥٦ ، الإصابة ٢/ ٨ .

ملياً عند قول سالم t : (بئس حامل القرآن أنا إن أُتيتم من قبلي) ليدرك حامل القرآن أَنَّهُ عَلَى ثغرة من ثُغر الإسلام ، فِي تمسكه بِهَذَا الدين ، ودعوته إِلَيْهِ وتضحيته من أجله .

ثالثاً : عبادة بن الصامت t

لمحات من حياته t [٧١٧] :

- هُوَ عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي ، أبو الوليد ، أسلم في ريعان شبابه ، وشهد بيعة العقبة الأولى والثانية ، وشهد بدراً والمشاهد كُلَّهَا مَعَ الرسول e .

- شارك عبادة t في غزو الروم وفتح اللاذقية وجبلة ، وشهد فتح مصر سنة (٢٠هـ) ، وَكَانَ قائد فتح الإسكندرية سنة (٢٥هـ) [٧١٨].

- زوجته أم حرام بنت ملحان ، خالة أنس بن مالك t ، وهي التي حدَّثت أن النبي e دخل عليها فأطعمته ، ثم نام ثم استيقظ وَهُوَ يضحك ، فقالت : مَا يُضحِكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي ؟

قَالَ : **(ناسٌ من أمتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج[٧١٩] البحر مثل الملوك عَلَى الأسِرَّة) .**

فقالت : ادعُ الله أن يجعلني منهم ، فدعا لَهَا .

فلما كانت خلافة عثمان بن عفان t خرجت مَعَ زوجها عبادة بن الصامت في إحدى الغزوات في جيش معاوية t ، فركب البحر إلى قبرص ، فلما نزلت وأرادت ركوب دابتها سقطت فماتت [٧٢٠] ودفنت في قبرص فهي رضي الله عنها أول مجاهدة في البحر وَذَلِكَ سنة ٢٧هـ .

جهوده في تعليم القرآن الكريم :

كَانَ عبادة بن الصامت t من الصحابة الَّذِينَ جمعوا القرآن وحفظوه في عهد النبي e وَهُوَ أحد كُتَّاب الوحي ، وكَانَ يعلِّم القرآن لأهل الصفة ، ولمن قدم مهاجراً إلى المدينة .

---

(٧١٧) طبقات ابن سعد ٣/٥٤٦ ، أُسد الغابة ٣/٥٦ ، سير أعلام النبلاء ٢/٥ ، الإصابة ٢/٢٦٠ .

(٧١٨) الكامل لابن الأثير ٢/٥٦٤ .

(٧١٩) ثبج البحر : أي وسطه .

(٧٢٠) انظر روايات الحديث في البخاري رقم/ ٢٦٣٦، ٢٦٤٦، ٢٧٢٢، ومسلم رقم/ ١٩١٢ .

وَقَدْ ذكر شُرَّاح الحديث أن أم حرام من محارم النبي e لأن أختها أم سُليم كانت خالته من الرضاعة (ينظر شرح مسلم النووي ١٣/٥٧) .

وَقَدْ تحدَّث عن ذَلِكَ قائلاً : (كَانَ الرسول e يُشغل ، فإِذَا قدم الرجل مهاجراً عَلَى رسول الله e دفعه إلى رجل مِنَّا يعلِّمه القرآن) [٧٢١] .

- ولما فتح المسلمون الشام أرسله عمر بن الخطاب t ، وأرسل معه معاذ بن جبل وأبا الدرداء ليعلموا الناس القرآن بالشام ، ويفقهوهم في الدين ، فأقام عبادة بحمص ، ثم انتقل إلى فلسطين ، وَكَانَ أول من تولى القضاء بفلسطين .

وَقَدْ حصل خلاف بينه وبين معاوية t ، فرجع عبادة إلى المدينة ، فقال لَهُ عمر : مَا أقدمك ؟ فأخبره . فقال : (**ارجع إلى مكانك ، فقبَّح الله أرضاً لستَ فِيهَا أنت ولا أمثالك**) .

وكتب إلى معاوية : (لا إمرة لَكَ عَلَيْهِ) [٧٢٢] .

وهَذِهِ إشارة جلية إلى مكانة معلمي القرآن الكريم ورفعة شأنهم وأثرهم في حماية البلدان وحفظها وإحلال البركة فِيهَا .

ولهذا كَانَ معاوية t يُثني عَلَى عُبادة ويقول : (**اقتبسوا منه فَهُوَ أفقه مني**) [٧٢٣] .

كَمَا كانت لعبادة t جهود مباركة في رواية الحديث النبوي ، حَيْثُ روى عن رسول الله e مائة وثمانين حديثاً ، وروى عنه عدد من الصحابة منهم أنس وجابر وأبو أُمامة y ، ومن التابعين أبناؤه : الوليد وعبيدالله وداود ، وخلائق غيرهم [٧٢٤] .

وفاته t :

- توفي عبادة t سنة أربع وثلاثين بمدينة الرملة ، وقيل : بالبيت المقدس ، وعمره اثنتان وسبعون سنة .

وَقَدْ أوصى أبناءه عند وفاته قائلاً لَهُمْ : (إذا خرجت نفسي فتوضؤوا ، وأحسنوا الوضوء ، ثم ليدخل

---

(٧٢١) رواه الحاكم ٣/٣٥٦ وصححه ووافقه الذهبي .

(٧٢٢) أُسد الغابة ٣/٥٦ .

(٧٢٣) الإصابة ٢/٢٦٠ .

(٧٢٤) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/٢٥٧ .

كلُّ إنسان منكم مسجداً فيصلي ، ثم يستغفر لعُبادة ولنفسه ، فإن الله تبارك وتعالى قَالَ : { وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ } ، ثم أسرعوا بي إلى حفرتي) [٧٢٥] .

رحم الله أبا الوليد ، ورضي عنه وأرضاه ،

وجزاه عن المسلمين خير الجزاء .

(٧٢٥) مختصر تاريخ دمشق ١١ / ٣١٠ .

رابعاً : أبو سعيد الخدري t

لمحات من حياته t [٧٢٦] :

نختم درسنا هَذَا بالحديث عن صحابي جليل ، وبيان جهوده في تعليم القرآن الكريم ، وَهُوَ أبو سعيد الخدري t ، واسمه سعد بن مالك بن سنان ، الأنصاري الخزرجي ، شهد والده مالك غزوة أُحد واستشهد فِيهَا ، ولم يتمكن أبو سعيد من المشاركة في هَذِهِ الغزوة لصغر سنه ، فقد كَانَ عمره ثلاث عشرة سنة ، ولكنه شارك في الغزوات الأخرى ، ولزم صحبة النبي e ، وعُرف t بعفَّة النفس ، حَتَّى كَانَ يربط الحجر عَلَى بطنه من الجوع .

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري t أَنَّهُ قَالَ :

(أصبحتُ وَلَيْسَ عندنا طعام ، وَقَدْ ربطتُ حجراً من الجوع ، فقالت لي امرأتي : ائتِ النبي فاسأله ، فقد أتاه فلان ، فسأله فأعطاه .

فقلتُ : لا ، حَتَّى لا أجد شيئاً .

فطلبتُ فلم نجد شيئاً ، فأتيتُ النبي e وَهُوَ يخطب ، فأدركتُ قوله : **(ومن يستغنِ يغنهِ الله ، ومن يستعفف يعفَّه الله)** .

قلتُ : مَا يريدً غيري ، فرجعتُ فما سألتُ أحداً بعده ، وما زال الله يرزقنا حَتَّى مَا أعلم أهلَ بيتٍ من الأنصار أكثر أموالاً منَّا) [٧٢٧] .

جهوده في تعليم القرآن الكريم :

تحدث الإمام الذهبي عن الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري وجهوده ومنزلته ، ووصفه بأنه الإمام المجاهد مفتي المدينة ، حدَّث عن النبي e فأكثر وأطاب ، وحدث عن أبي بكر وعمر وطائفة من

---

(٧٢٦) أُسد الغابة ٢/٢١٣ ، صفة الصفوة ١/٣٤٨ ، سير أعلام النبلاء ٣/١٦٨، تذكرة الحفاظ ١/٤٤ ، الإصابة ٢/٣٢ .

وانظر كتاب : أبو سعيد الخدري صاحب رسول الله ومفتي المدينة في زمانه

تأليف : محمد أبو صعيليك - من سلسلة أعلام المسلمين .

(٧٢٧) مسند الإمام أحمد ٣/٤٤ ، صفة الصفوة ١/ ٣٤٨ .

الصحابة، وَكَانَ أحد الفقهاء المجتهدين [٧٢٨] ، وَقَدْ كَانَ t ملتزماً بمنهج التدرج في تعليم القرآن ، مراعاةً لحالة الدارسين، وحرصاً عَلَى الإتقان والفهم والتدبر .

عن أبي نضرة أَنَّهُ قَالَ : (كَانَ أبو سعيد يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة ، وخمساً بالعشي) [٧٢٩] .

كَمَا كانت له عناية خاصة بالتفسير ورواية الحديث النبوي ، وَقَدْ بلغت مروياته في الصحيحين مائة وأحد عشر حديثاً ، ومروياته في كتب السنَّة الأخرى تزيد عَلَى ألف حديث [٧٣٠] .

وَقَدْ روى عنه من الصحابة كل من ابن عباس ، وابن عمر ، وزوجته زينب بنت كعب وغيرهم ، وأعداد كبيرة من التابعين ، ومنهم ابنه عبد الرحمن ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء بن رباح ، ومحمد بن سيرين .

ترحيبه بطلاب العلم ووصيته لَـهُمْ :

أخرج الترمذي عن أبي هارون قَالَ : كنا نأتي أبا سعيد t فيقول : مرحباً بوصية رسول الله e ، إن النبي e قَالَ : (**إن الناس لَكُمْ تبَع ، فاستوصوا بهم خيراً**) [٧٣١] .

وفي رواية : (**سيأتيكم قوم من أطراف الأرضين يسألونكم عن الدين ، فإِذَا جاؤوكم فأوسعوا لهم ، واستوصوا بهم خيراً ، وعلِّموهم**) [٧٣٢] .

ولهذا كَانَ أبو سعيد t إذا أتاه طلاب العلم يرحب بهم ويوسِّع لَهُمْ في المجلس ، ويقول للحَدَثِ [٧٣٣] : (**إذا أنت لم تفهم الشيء استفهمنيه [٧٣٤] ، فإنك أنْ تقوم وَقَدْ فهمتَه أحب إليَّ من أن تقوم ولم تفهمه**) [٧٣٥] .

---

(٧٢٨) سير أعلام النبلاء ٣/١٦٨ .

(٧٢٩) مختصر تاريخ دمشق ٩/٢٧٧ .

(٧٣٠) سير أعلام النبلاء ٣/١٧١ - تذكرة الحافظ ١/٤٥ .

(٧٣١) رواه الترمذي - رقم/ ٢٦٥٠ والحاكم ١/٨٨ وصححه ووافقه الذهبي .

(٧٣٢) أخرجه ابن جرير وابن عساكر (حياة الصحابة ٣/٢٠٢) .

(٧٣٣) أي : الشاب الصغير .

(٧٣٤) أي : اطلب مني أن أشرحه لَكَ حَتَّى تفهمه .

.[٧٣٥]

فتأمل الفرق الشاسع بين هَذِهِ الحفاوة والاهتمام في التعليم وما ابتُلي بِهِ المسلمون اليوم من أدعياء التعليم ، الَّذِينَ يعاملون طلابهم بالقسوة والغلظة والإهمال وعدم المبالاة .

ومن أبدع وصايا أبي سعيد t قوله لأحد تلاميذه :

(عليك بتقوى الله فَإِنَّهُ رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد فَإِنَّهُ رهبانية الإسلام ، وعليك بِذِكْرِ الله وتلاوة القرآن فَإِنَّهُ روحُكَ في أهل السماء وذِكركَ في أهل الأرض ، وعليك بالصمت إِلاَّ في حقٍّ ، فإنك تَغلب الشيطان) [٧٣٦].

وفاته t :

توفي أبو سعيد الخدري t في بداية سنة أربع وسبعين وعمره ستٌّ وثمانون سنة ، وحزن لموته أهل المدينة وازدحموا حَتَّى ضاق بهم البقيع .

فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

---

(٧٣٥) حياة الصحابة ٣/٢٠٣ نقلاً عن كنز العمال ٥/٢٤٣ .

(٧٣٦) سير أعلام النبلاء ٣/١٧٠ .

أسئلة للدرس السادس عشر

س١ - وصف رسول الله e أبا عبيدة t بالقوة والأمانة في التعليم ، اذكر دليلاً من القرآن يؤكد أهمية هاتين الصفتين معاً في اختيار الناس لعظائم الأمور .

س٢ - ماهي الفوائد التربوية الَّتِي تستخلصها من ثناء الرسول عَلَى سالم t وقوله : (الحمد لله الَّذِي جعل من أمتي مثلك) ؟

س٣- الترحيب بطلاب العلم والاهتمام بهم أمر مهم ، ومنهج نبوي التزم بِهِ الصحابة y .. اشرح ذَلِكَ بشيء من التفصيل .

الدرس السابع عشر

صحابة آخرون (٢)

أولاً : أنس بن مالك t [٧٣٧]

- هُوَ أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي ، من بني النجار ، أبو حمزة ، خادم رسول الله e ، وأحد المكثرين من الرواية عنه .

- أمه هي أم سُلَيم بنت ملحان رضي الله عنها وخالته أم حرام هي خالة الرسول e من الرضاعة ، وزوجة عبادة بن الصامت t وعمه أنس بن النضر t أحد شهداء غزوة أحد .

- بقي والده مالك بن النضر عَلَى الشرك وخرج إلى الشام فَهَلك هناك ، فتزوجت أم سُليم بعده أبا طلحة .

- كَانَ عمره عشر سنين عندما قدم الرسول e إلى المدينة ، وأتت بِهِ أمه (أم سُليم) إلى النبي e فقالت : هَذَا أنس غلامٌ يخدمك .

- وعن أنس t قَالَ : قالت أم سُليم : يا رسول الله ادع الله لأنس ، فقال : **(اللهم أكثِرْ ماله وولده وبارك لَهُ فيما أعطيته)** [٧٣٨] قَالَ أنس : فلقد دفنت من صلبي وولد ولدي مائة وخمسة وعشرين ، وإن أرضي لتثمرُ في السنة مرتين .

- **وهكذا عاش أنس بن مالك عشر سنين ملازماً للرسول e في سفره وإقامته ، وهو يخدمه ويتعلم منه ، ويتلقى عنه ، وينعم بجواره** ، حَتَّى غدا بحراً من بحور العلم ، ومثالاً يُحتذى بِهِ للاقتداء بالنبي e وَقَدْ قَالَ أبو هريرة t : (مَا رأيتُ أحداً أشبه صلاةً برسول الله e من ابن أم سُليم) يعني : أنس بن مالك t

---

(٧٣٧) طبقات ابن سعد ٧/ ١٧ ، أُسد الغابة ١/ ١٥١ ، تذكرة الحفاظ ١/ ٤٤ ، الإصابة ١/ ٨٤ وانظر كتاب : أنس بن مالك الخادم الأمين والمحب العظيم . للشيخ عبد الحميد طهماز ، ضمن سلسلة أعلام المسلمين .

(٧٣٨) رواه البخاري - رقم / ٦٠١٧ ، ومسلم - رقم / ٦٦٠ ، ٢٤٨٠ .

- وَكَانَ t كثير الرواية لأحاديث الرسول e، ومن أبرز رواياته التي ينبغي الوقوف عندها وتدبرها ماروواه الإمام مسلم عن أنس بن مالك t أن أعرابياً قَالَ لرسول الله e : متى الساعة ؟

قَالَ لَهُ الرسول e : **(وما أعددت لَهَا ؟)**

قَالَ : حبٌّ الله ورسوله .

قَالَ : **(أنت مَعَ من أحببت)** .

قال أنس : فما فرحنا بَعْدَ الإسلام فرحاً أشد من قول النبي e : **(أنت مَعَ من أحببت)** .

وقال أيضاً : (فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم ، وإن لم أعمل بأعمالهم) [٧٣٩] .

فتأمل كَيْفَ ينقل أنس t هَذَا الحديث لتلاميذه وَهُوَ يصف لَهُمْ مشاعر الفرحة التي ملأت قلبه وَهُوَ شاب صغير بتلك البشارة النبوية لأهل المحبة الصادقة .

- أرسله الخليفة أبو بكر الصديق t إلى البحرين بَعْدَ أن استشار عمرَ t فأجابه قائلاً : **(ابعثه فَإِنَّهُ لبيبٌ كاتب)** .

- قَالَ عنه الإمام الذهبي : (لَهُ صحبةٌ طويلة ، وحديث كثير ، وملازمة للنبي e منذ هاجر إلى أن مات ، ثم أخذ عن أبي بكر وعمر وعثمان وأُبي وطائفة) [٧٤٠] .

- وَقَدْ كانت لأنس t جهود كبيرة في تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية ، وَكَانَ يحث طلابه عَلَى طلب العلم وحضور مجالسه :

روى الترمذي عن ثابت البناني رحمه الله ، أن أنس بن مالك t قَالَ لَهُ : **(خذ عني فإنك لن تأخذ عن أحدٍ أوثق مني ، أخذتُه عن رسول الله e ، وأخذه رسول الله عن جبريل ، وأخذه جبريل عن الله U)** [٧٤١] .

---

(٧٣٩) رواه مسلم- رقم / ٢٦٣٩ .

(٧٤٠) تذكرة الحفاظ ١ /٤٤ .

(٧٤١) رواه الترمذي - رقم / ٣٨٣٠ .

وَكَانَ يقول لتلاميذه : **(والله لأنتم أحبُّ إلي من عِدَّتكم [٧٤٢] من ولد أنس ، إِلاَّ أن يكونوا في الخير مثلكم)** [٧٤٣] .

ومن وصاياه لأبنائه قوله t : (يا بَنِيَّ قيدوا العلم بالكتابة) [٧٤٤]، وكان t إِذَا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لَهُمْ [٧٤٥] .

- كانت إقامته بَعْدَ النبي e بالمدينة ، وشارك في قتال المرتدين مَعَ أخيه البراء بن مالك، وشارك في الفتوحات في بلاد فارس ، وَكَانَ يدرِّب أولاده عَلَى الرماية ويتنافس معهم فيسبقهم رغم كبر سنه .

- سكن البصرة ، ومات بِهَا وَهُوَ آخر الصحابة موتاً بالبصرة ، وَذَلِكَ سنة إحدى وتسعين هجرية ، وعمره أكثر من مائة سنة .

---

(٧٤٢) أي : مثل عددكم .

(٧٤٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٢ .

(٧٤٤) المرجع نفسه .

(٧٤٥) رواه الطبراني ورجاله ثقات كَمَا قَالَ الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٧٥ .

ثانياً : أبو هريرة t [٧٤٦]

- هُوَ عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، كَانَ اسمه في الجاهلية عبد شمس ، فسمَّاه النبي e عبد الرحمن ، وكنَّاه أبا هريرة .

- قدم مهاجراً عند فتح خيبر سنة سبع للهجرة ، ولزم صحبة النبي e حَتَّى أصبح أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية لَهُ .

- كَانَ يدعو أمه إِلى الإسلام فتأبى ، فجاء إِلى النبي e قائلاً : (ادع الله أن يهدي أم أبي هريرة) ، فرجع إِليها فرآها قد أسلمت ، فعاد فرحاً إِلى النبي e وَهُوَ يبشره ويقول : (ادع الله أن يحبِّبني أنا وأمي إِلى عباده المؤمنين ويحبِّبهم إِلينا) ، فقال e : **(اللهم حبِّبْ عُبيدك هَذَا وأمه إِلى عبادك المؤمنين وحبِّبْ إِليهم المؤمنين) .**

يقول أبو هريرة t : (فما خُلق مؤمنٌ يسمع بي ولا يراني إِلاَّ أحبني) [٧٤٧].

- وَقَدْ أكرمه الله U بذاكرة قوية وهمة عالية في التلقي عن الرسول e حَتَّى كَانَ أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي ، وَذَلِكَ ببركة دعاء النبي e وتفرغه الكامل لطلب العلم .

وَلَقَدْ شهد لَهُ النبي e بحرصه عَلَى الحديث ، كما روى البخاري عن أبي هريرة t أَنَّهُ قَالَ : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟

فقال رسول الله e : **(لَقَدْ ظننتُ [٧٤٨] يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هَذَا الحديث أحدٌ أَوَّلُ منك ، لما رأيتُ من حرصك عَلَى الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قَالَ : لا إله إِلاَّ الله خالصاً من قلبه أو نفسه)** [٧٤٩].

- **وَقَدْ أوضح أبو هريرة t سبب إكثاره من رواية الحديث عن رسول الله e** ، حَيْثُ كَانَ ملازماً

---

(٧٤٦) طبقات ابن سعد ٤ / ٣٢٥ ، سير أعلام النبلاء ٢ /٥٧٨ ، معرفة القراء الكبار ١ / ٤٠ ، تذكرة الحفاظ ١ /٣٢ .

(٧٤٧) انظر تفصيل الرواية في صحيح مسلم - رقم / ٢٤٩١ .

(٧٤٨) ظننت : أي علمتُ .

(٧٤٩) رواه البخاري - رقم /٩٩ .

للنبي e وخدمته ، لايشغله أي عمل آخر ، فكان يشهد إذا غاب غيره من الصحابة ، ويحفظ إذا نسوا ، وَلَقَدْ قَالَ الرسول e يوماً : (**من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئاً سمعه مني**) ، يقول أبو هريرة : (فبسطتُ ثوبي حَتَّى قضى حديثه ، ثم ضممته إليَّ ، فما نسيت شيئاً سمعته منه) (٧٥٠) .

وفي هَذَا معجزة ظاهرة للنبي e ومنقبة عظيمة لأبي هريرة t .

- وهكذا أصبح أبو هريرة t إماماً في العلم والتعليم، ومصدراً لتلقى القرآن الكريم والسنة النبوية وبيان أفعال الرسول e .

- روى الإمام مالك عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة ، قرأ لَهُمْ : { , - . } فسجد فِيهَا ، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله e سجد فِيهَا (٧٥١) .

وَكَانَ يحث أصحابه وتلاميذه عَلَى تعلُّم القران الكريم وتلاوته ، ويقول لَهُمْ : (إنَّ البيت ليتَّسعُ عَلَى أهله وتحضره الملائكة ، وتهجره الشياطين ، ويكثر خيره ، أن يُقرأ فيه القرآن ، وإنَّ البيت ليضيق عَلَى أهله ، وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين ، ويَقِلُّ خيره ، أن لا يُقرأ فيه القرآن)(٧٥٢) .

- قَالَ عنه الإمام الذهبي : (**قرأ القرآن عَلَى أبي بن كعب ، وقرأ عَلَيْهِ غير واحد ، وروى عنه نحو ثمان مائة نفس ... وَكَانَ إماماً مفتياً فقيهاً صالحاً حسن الأخلاق متواضعاً محبباً إلى الأمة**) (٧٥٣) .

وقال أيضاً : (كَانَ من أوعية العلم الكبار أئمة الفتوى مَعَ الجلالة والعبادة والتواضع) (٧٥٤) .

- توفي t سنة ثمان وخمسين ، بَعْدَ أن عاش أكثر من خمسين سنة، وَذَلِكَ سنة (٥٩هـ) .

عن نافع قَالَ : (كنت مَعَ ابن عمر في جنازة أبي هريرة ، وَهُوَ يمشي أمامها ، ويكثر الترحُّم عَلَيْهِ ، ويقول : كَانَ ممن يحفظ حديث رسول الله e عَلَى المسلمين) (٧٥٥) .

(٧٥٠) رواه مسلم - رقم / ٢٤٩٢ .

(٧٥١) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ١ / ٢١٠ .

(٧٥٢) رواه الدارمي في سننه - رقم / ٣٣٠٩ .

(٧٥٣) معرفة القراء ١ / ٤٠ .

(٧٥٤) تذكرة الحفاظ ١ /٣٣ .

(٧٥٥) طبقات ابن سعد ٤ / ٣٤٠ .

وهكذا كانت حياته t حافلة بالعلم والتعليم والحرص عَلَى تعليم كتاب الله U وسنة نبيه e ، والتفاني في خدمة هَذَا الدين ، حَتَّى روى عن النبي e أكثر من خمسة آلاف حديث ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء .

ثالثاً : عبد الله بن عمر t [٧٥٦]

- هو الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ولد في السنة الثالثة من البعثة ، وأسلم وهو صغير ، ثم هاجر مع أبيه ، وعمره إحدى عشرة سنة ، ولم يتمكن من المشاركة في غزوة أُحد لصغر سنه ، فقد عَرَضه النبي e يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يُجِزْهُ ، وعَرَضه يوم غزوة الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فأجازه [٧٥٧] .

- أمه زينب بنت مظعون (أخت عثمان بن مظعون t)، وأخته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها .

- **هو أحد العبادلة الأربعة** ، وهم :

عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص ، والذين عاشوا طويلاً بعد وفاة النبي e حتى احتيج إلى علمهم وتلقى الناس عنهم [٧٥٨] .

- **كان منذ شبابه حريصاً على الإكثار من العبادة وخاصة قيام الليل** ، فقد روى البخاري عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ : (كان الرجل في حياة النبي e إذا رأى رؤيا قصَّها على النبي e ، فتمنيتُ أن أرى رؤيا أقصها على النبي e وكنت غلاماً شاباً عَزَباً ، وكنت أنام في المسجد على عهد النبي e ، فرأيتُ في المنام كأن مَلَكين أخذاني فذهبا بي إلى النار ، فإذا هي مطوية [٧٥٩]كطي البئر ، وإذا لها قرنان كقرني البئر ، وإذا فيهما ناسٌ قد عرفتُهم ، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار ، أعوذ بالله من النار . فلقيهما ملك آخر ، فقال لي : لن تُراع [٧٦٠] . فقصصتها على حفصة ، فقصَّتها حفصة عَلَى النبي e فقال :

(نِعم الرجل عبد الله ، لو كان يصلي بالليل) .

---

(٧٥٦) طبقات ابن سعد ٤/ ١٤٢، سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٠٣، الإصابة ٢/ ٣٣٨ ، شذرات الذهب ١/ ٨١ ، وانظر كتاب : عبد الله بن عمر الصحابي المؤتسي برسول الله e - تأليف : محي الدين مستو – ضمن سلسلة أعلام المسلمين .

(٧٥٧) رواه البخاري – رقم/ ٣٨٧١ ، ومسلم – رقم / ١٨٦٨ .

(٧٥٨) هكذا سماهم الإمام أحمد بن حنبل وسائر المحدثين، وأما عبد الله بن مسعود فقد تقدمت وفاته ، وهناك قرابة مائتين وعشرين من الصحابة اسمهم عبد الله (ينظر : تهذيب الأسماء واللغات للنووي - ١/ ٢٦٧) .

(٧٥٩) مطوية : أي مبنية .

(٧٦٠) أي : لا روع عليك بعد ذلك ولا خوف ولا ضرر (فتح الباري ٣/ ٧) .

قال سالم : (فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قليلا) [٧٦١] .

وفي رواية : عن حفصة رضي الله عنها أن النبي e قال لها : (**إن عبد الله رجلٌ صالح**) [٧٦٢] .

وقد بين الإمام ابن حجر رحمه الله أن النبي e فسَّر رؤيا عبد الله بن عمر تفسيراً حسناً لأنه عُرض على النار ثم عُوفي منها ، وقيل له : لا روع عليك ، وَذَلِكَ لصلاحه ، غير أنه لم يكن يقوم من الليل ، فحصَل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يُتقى به النار ، فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذَلِكَ [٧٦٣] .

فما أحوج المسلمين اليوم إلى الإكثار من قيام الليل ابتغاء مرضاة الله U والتقرب إليه ، وما أحوج الشباب إلى الاقتداء بعبد الله بن عمر الذي كان ملتزماً منذ ريعان شبابه بهذه الوصية النبوية .

وقد وصفه ابن العماد الحنبلي بقوله : (السيد الجليل الفقيه العابد الزاهد ... كان من زُهَّاد الصحابة ، وأكثرهم اتباعاً للسنن) [٧٦٤] .

- **ومما يدل على نبوغه وذكائه منذ صغره** ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : (كنا عند رسول الله e فقال : (أخبروني بشجرة تشبه المسلم ، لا يتحاتُّ ورقها [٧٦٥] ، تؤتي أكلها كل حين [٧٦٦]) .

قال ابن عمر : فوقع في نفسي أنها النخلة ، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان ، فكرهتُ أن أتكلم ، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله e : (**هي النخلة**) .

فلما قمنا قلت لعمر : يا أبتاه ، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة ،

فقال : ما منعك أن تكلَّم ؟ قلت: لم أركم تَكلَّمون فكرهتُ أن أتكلم أو أقول شيئاً .

---

(٧٦١) رواه البخاري – رقم / ٣٥٣٠ .

(٧٦٢) رواه البخاري – رقم / ٣٥٣١ .

(٧٦٣) فتح الباري ٧/٣ .

(٧٦٤) شذرات الذهب ٨١/١ .

(٧٦٥) يتحاتُّ : يتساقط ويتناثر .

(٧٦٦) أي : لا ينقطع ثمرها ولا يتأخر عن وقته .

قال عمر : **لأن تكون قُلتها ، أحب إليّ من كذا وكذا** [٧٦٧]) [٧٦٨] .

جهوده في التعلم والتعليم :

* كان ابن عمر t كثير الملازمة لمجالس النبي e حتى حفظ القرآن الكريم منذ ريعان شبابه وتلقى العلم الغزير عن النبي e وأصحابه الكرام، وقد أكد ذَلِكَ الحافظ ابن حجر فقال:

(هو من المكثرين عن النبي e ، وروى أيضاً عن أبي بكر وعمر وعثمان ، وأبي ذر ومعاذ وعائشة ، وغيرهم ، **وروى عنه من الصحابة:** جابر وابن عباس وغيرهما ، وبنوه : سالم ، وعبد الله ، وحمزة ، وبلال ، وزيد ، وعبد الله ، وابن أخيه : حفص بن عامر .

ومن كبار التابعين: سعيد بن المسيب، وأسلم مولى عمر، وعلقمة بن وقاص، وأبو عبد الرحمن النهدي، ومسروق ، وجبير بن نفير ، ومجاهد ، وابن سيرين ، وغيرهم) [٧٦٩] .

* ولهذا قال الإمام مالك رحمه الله : (**كان إمام الناس عندنا بعد عمر زيد بن ثابت ، وكان إمام الناس عندنا بعد زيد ابن عمر**) [٧٧٠].

* ولقد كانت له t محبة خاصة في قلوب تلاميذه ، حتى قال تلميذه مجاهد رحمه الله : (كنت مع ابن عمر فجعل الناس يسلِّمون عليه حتى انتهى إلى دابته ، فقال لي ابن عمر : **يا مجاهد إن الناس يحبونني حباً لو كنتُ أُعطيهم الوَرِق** [٧٧١] **ما زدتُ**) [٧٧٢] .

فالفرق شاسع بين محبة المصالح والمنافع لمن يعطيك من ماله ، والمحبة الصادقة للعلماء ورثة الأنبياء ، الذين يحبهم ويستغفر لهم أهل الأرض والسماء ، حتى الحيتان في جوف الماء .

* **ومن نماذج مجالسه في تعليم القرآن الكريم** ما رواه البخاري عن نافع قَالَ : (كان ابن عمر رضي الله

---

(٧٦٧) أي : من كنوز الدنيا .

(٧٦٨) رواه البخاري – رقم / ٤٤٢١ ، ومسلم – رقم / ٢٨١١ .

(٧٦٩) الإصابة ٢/ ٣٣٩ .

(٧٧٠) المصدر السابق ٢/ ٣٤٠ .

(٧٧١) الوَرِق : (بفتح الواو وكسر الراء) وهي الفضة .

(٧٧٢) طبقات ابن سعد ٤/ ١٦٨ .

عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه ، فأخذت عليه يوماً ، فقرأ سورة البقرة ، حتى انتهى إلى مكانٍ [٧٧٣] قال : تدري فيما أُنزلت ؟ قلت : لا ، قال : أُنزلت في كذا وكذا ، ثم مضى) [٧٧٤] .

فانظر كيف كان t حريصاً على توضيح المعاني لتلاميذه ليكون تعلُّم الآيات وحفظها مع الفهم والتدبر .

* **ومن مآثر ابن عمر t كثرة اجتهاده في العبادة وبخاصة تلاوة القرآن الكريم** ، فقد قيل لتلميذه نافع : ما كان يصنع ابن عمر في منزله ؟

قال : **(لا تطيقونه ، الوضوء لكل صلاة ، والمصحف بينهما)** [٧٧٥] .

كما كان كثير البكاء عند سماع آيات القرآن الكريم ، فقد روى ابن سعد عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه أنه قرأ : { W X Y Z [\ ] ... } حتى ختم الآية ، فجعل ابن عمر يبكي حتى لثقت [٧٧٦] لحيته وجيبه من دموعه) [٧٧٧] .

وعن نافع أنه قال : (كان ابن عمر إذا قرأ هذه الآية : { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ } يبكي حتى يغلبه البكاء) [٧٧٨] .

- **وقد كان t سريع الاستجابة لأمر الله U** والتطبيق العملي لما يتلو من آيات القرآن الكريم :

أخرج البزار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (حضرتني هَذِهِ الآية { ! " # $ % & ' } فذكرتُ ما أعطاني الله U ، فلم أجد شيئاً أحبَّ إليِّ من جارية لي ، فقلت : هي حرةٌ لوجه الله)

---

(٧٧٣) وهو قوله تعالى : { نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ ´ µ ¶ ¸ شِئْتُمْ } كما ورد في رواية أخرى .

(٧٧٤) رواه البخاري – رقم / ٤٢٥٣ .

(٧٧٥) طبقات ابن سعد ٤ / ١٧٠ .

(٧٧٦) لثقت : أي ابتلَّت بالدموع ، واللَّثق : البللُ .

(٧٧٧) طبقات ابن سعد ٤ / ١٦٢ .

(٧٧٨) الإصابة ٢ / ٣٤١ .

. [٧٧٩]

ومن أبرز أقواله ووصاياه t :

- ما رواه الدارمي عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ : **(لا يكون الرجل عالماً حَتَّى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه ، ولا يبتغي بعلمه ثمناً)** [٧٨٠] .

- وروى الترمذي عن سالم بن عبد الله بن عمر أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كَانَ يقول للرجل إذا أراد سفراً : اُدنُ مني حَتَّى أُودِّعك ، كما كَانَ رسول الله e يودعنا ، فيقول : **(أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك)** [٧٨١] .

أي : أرجو أن يحفظ الله عليك دينك ، ويحفظ مَا أَؤْتُمِنتَ عليه من الأهل والأموال ، ويختم لَكَ بصالح الأعمال ، وَذَلِكَ لأن السفر مظنة المشقة ، فربما كَانَ سبباً في إهمال بعض أمور الدين [٧٨٢] .

* **وَقَدْ كَانَ t شديد الحذر في الفتوى** ، وفي ذَلِكَ يقول عقبة بن مسلم : (سُئِلَ ابن عمر عن شيء ، فقال : لا أدري . ثم قَالَ : أتريدون أن تجعلوا ظهورنا جسوراً في جهنم ، تقولون : أفتانا بِهَذَا ابن عمر) [٧٨٣] .

* **ومن صور المحبة المتبادلة بين الصحابة y** حرص كثير منهم عَلَى تسمية أبنائهم بأسماء إخوانهم الصحابة الآخرين :

عن سعيد بن المسيب قَالَ : (قَالَ لي عبد الله بن عمر : هَلْ تدري لِمَ سميتُ ابني سالماً ؟ قلت : لا . قَالَ: **باسم سالم مولى أبي حذيفة)** [٧٨٤] .

وَقَدْ كَانَ سالم من أبرز علماء المدينة وقرائهم ، وَكَانَ والده عبد الله يحبه كثيراً ، حَتَّى قَالَ t :

---

(٧٧٩) مجمع الزوائد للهيثمي ٦/٣٢٦ .

(٧٨٠) رواه الدارمي - رقم / ٢٩٠ .

(٧٨١) رواه الترمذي - رقم / ٣٤٣٩ وقال : حديث حسن صحيح . والحاكم ٢/٩٧ وصححه ووافقه الذهبي .

(٧٨٢) الأذكار للنووي - ص / ٢٩٩ .

(٧٨٣) الإصابة ٢/٣٤٠ .

(٧٨٤) طبقات ابن سعد ٤/١٥٩ .

يلومونني في سالمٍ وألومهم وجلدةُ بين العين والأنف سالمُ[٧٨٥]

إشارة إلى أَنَّهُ بمنزلة عينيه في كثرة محبته لَهُ ، لما تحلى بِهِ من العلم والعبادة والتقوى .

وفي ذَلِكَ يقول سعيد بن المسيب رحمه الله : **(كَانَ أشبه ولد عمرَ بعمر عبد الله ، وأشبهَ ولدِ عبد الله بعبد الله سالم)**[٧٨٦] .

- توفي ابن عمر t بمكة بَعْدَ الحج سنة ثلاث وسبعين ، وعمره أربع وثمانون سنة ، بَعْدَ حياة حافلة بالعلم والتعليم ، والتضحية لنشر هَذَا الدين ، فجزاه الله خير الجزاء ورضي عنه وأرضاه .

(٧٨٥) المعارف لابن قتيبة - ص/ ٨٠ .

(٧٨٦) طبقات ابن سعد ٤/ ١٤٥ .

أسئلة للدرس السابع عشر

س١ - عرِّف بإيجاز الصحابية الجليلة أم أنس بن مالك ، وهي أم سُليم ، واذكر مشهداً بارزاً في حياتها رضي الله عنها .

س٢ - اذكر ثلاثة أحاديث نبوية رواها أبو هريرة t في فضائل القرآن الكريم والحث عَلَى تلاوته .

س٣- ما هي أوجه الشبه بين المسلم والنخلة .. بيّن ذَلِكَ بالتفصيل بالرجوع إلى شرح هَذَا الحديث .

الدرس الثامن عشر

صحابة آخرون (٣)

أولاً : عبد الله بن عمرو بن العاص t [٧٨٧]

- هُوَ الصحابي ابن الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي رضي الله عنهما ، كَانَ بينه وبين أبيه في العمر اثنتا عشرة سنة ، أسلم عبد الله قبل أبيه ، وهاجر بَعْدَ سنة سبع ، وَكَانَ كثير العلم مجتهداً في العبادة ، ملازماً لمجلس النبي e .

- شهد مَعَ أبيه فتح الشام ، وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك .

- روى عنه سعيد بن المسيب وعروة ومسروق ، وخلائق من كبار التابعين .

شغفهُ بتلاوة القرآن الكريم :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قَالَ :

(كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة، فقال لي النبي e : **(ألم أُخبَرْ أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة ؟)** .

فقلت : بلى ، يا نبي الله ! ولم أُرد بذلك إلاَّ الخير .

قال : **(فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام)** .

قلت : يا نبي الله ! إني أُطيق أفضل من ذَلِكَ .

قَالَ : **(فإن لزوجك عليك حقاً ، ولزَوْرِك عليك حقاً ، ولجِسدِك عليك حقاً ، فصم صوم داود نبي الله e فَإِنَّهُ كَانَ أعبد الناس)** .

قلت : يا نبي الله ! وما صوم داود ؟

---

(٧٨٧) طبقات ابن سعد ٤ /٢٦١ ، أُسد الغابة ٣/٢٤٥ ، تهذيب الأسماء واللغات ١ /٢٨١ ، صفة الصفوة ١ /٣١٤ ، غاية النهاية في طبقات القراء ١ /٤٣٩ ، سير أعلام النبلاء ٣/٧٩ .

قَالَ : **(كَانَ يصوم يوماً ويفطر يوماً)**

قَالَ : **(واقرأ القرآن في كل شهر)**

قلت : يا نبي الله ! إني أطيق أفضل من ذَلِكَ .

قَالَ : **(فاقرأه في كل عشرين)**

قلت : يا نبي الله ! إني أطيق أفضل من ذَلِكَ

قَالَ : **(فاقرأه في كل سبع ، ولا تزد عَلَى ذَلِكَ ، فإن لزوجك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ، ولجسدك عليك حقاً)** .

وقال لي النبي e : **(إنك لا تدري لعلك يطولُ بك عُمْرٌ)** .

قَالَ : فَصرتُ إلى الَّذِي قَالَ لي النبي e ، فلما كَبِرتُ وَدِدْتُ أني كُنْتُ قبلت رُخصةَ نبي الله e)[٧٨٨] .

وفي رواية لمسلم : (أن الرسول e ذُكر لَهُ صومي فدخل عليَّ ، فألقيتُ لَهُ وسادةً من أَدَم ، حشوها ليف ، فجلس عَلَى الأرض ، وصارت الوسادة بيني وبينه ، فقال لي : أما يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام ؟..)[٧٨٩].

وفي رواية لابن ماجه : (**جمعت القرآن فقرأته كُلَّهُ في ليلة** ، فقال لي النبي e : **(إني أخشى أن يطول عليك الزمان وأن تملَّ فاقرأه في شهر)** . فقلت : يا رسول الله ، دعني أستمتع من قوتي وشبابي .

قَالَ : **(فاقرأه في عشر)**

قلت : دعني أستمتع من قوتي وشبابي .

قَال : **(اقرأه في سبع)**

قلت : دعني استمتع من قوتي وشبابي ، **فأبى**)[٧٩٠] .

وفي رواية للبخاري : (فكان يقرأ عَلَى بعض أهله السُّبع من القرآن بالنهار ، والذي يقرؤه يعرضه من

---

(٧٨٨) رواه البخاري - رقم / ٤٧٦٥ ، ومسلم - رقم / ١١٥٩ واللفظ لَهُ .

(٧٨٩) رواه مسلم - رقم / ١١٥٩ (١٩١) .

(٧٩٠) رواه ابن ماجه - رقم / ١٣٤٦ .

النهار ، ليكون أخف عَلَيْهِ بالليل ، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى وصام أياماً مثلهن ، كراهية أن يترك شيئاً فارقه النبي e عَلَيْهِ) (٧٩١) .

فانظر كَيْفَ كَانَ عبد الله بن عمرو t يجاهد نفسه عند كبر سنه ، حَتَّى لا يغير عادته في العبادات التي التزم بِهَا في شبابه ، وخاصة تلاوة القرآن الكريم والتهجد بِهِ ، فكان يقرأ عَلَى أهله يومياً سُبع القرآن (أي : أكثر من أربعة أجزاء) لمراجعة حفظها ، ثم يتهجد بِهَا في الليل .

وَقَدْ قَالَ خيثمة رحمه الله : (دخلت عَلَى عبد الله بن عمرو ، وإنسان قد أخذ عَلَيْهِ المصحف ، وَهُوَ يقرأ، فقلت : مَا هَذَا ؟ قَالَ : أقرأ جزئي الَّذِي أقوم بِهِ الليل) (٧٩٢) .

وَقَدْ وردت روايات كثيرة في بيان شغف عبد الله بن عمرو t بتلاوة القرآن الكريم ، **وطلبه الإذن من النبي e ليقرأ أكبر قدر ممكن من القرآن يومياً ، حَتَّى يستمتع بقوته وشبابه ، وهذا أكبر دليل عَلَى مَا كَانَ t يجده من لذةٍ وأُنس بتلاوة القرآن ، وما يحظى بِهِ من تذوقٍ لحلاوته ، فأين هَذَا مِمَّا حلَّ بشباب المسلمين اليوم من انشغال عن تعلم القرآن ، وإقبال عَلَى الملهيات والمغريات !!**

وَلَقَدْ كَانَ الرسول المربي الحكيم e حريصاً عَلَى التخفيف عن عبد الله بن عمرو ، لكيلا يُلزم نفسه بِمَا لا يمكن الاستمرار عَلَيْهِ عند كِبر سنِّهِ ، فالقليل الدائم خيرٌ من الكثير المنقطع .

وفي ذَلِكَ يقول الإمام الذهبي : (مَا فَقِه ولا تدبَّر من تلا في أقلَّ من ذَلِكَ ، ولو تلا ورتَّل في أسبوعٍ ولازم ذَلِكَ لكان عملاً فاضلاً ، فالدين يُسر ، **فو الله إن ترتيل سُبع القرآن** في تهجد قيام الليل مَعَ المحافظة عَلَى النوافل الراتبة .. ومع النظر في العلم النافع والاشتغال بِهِ مخلصاً لله ، مَعَ الأمر بالمعروف ، وإرشاد الجاهل وتفهيمه .. **لشغلٌ عظيم جسيم** .. وهذا السيد العابد الصاحب كَانَ يقول لما شاخ : ليتني قبلتُ رخصة رسول الله e .. ومازال الرسول e معلماً للأمة أفضل الأعمال .. وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قَلَّ) (٧٩٣) .

---

(٧٩١) رواه البخاري - رقم / ٤٧٦٥ .

(٧٩٢) فضائل القرآن للفريابي - ص / ٢٢٩ .

(٧٩٣) سير أعلام النبلاء ٣ / ٨٥ .

وَلَقَدْ كَانَ المربي الحكيم e خبيراً بأحوال النفوس ، مدركاً أن الاستغراق في نافلة معينة قد يؤدي إلى الانقطاع عنها وتركها بَعْدَ مدة **وتأكيد ذَلِكَ** مَا رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ لي رسول الله e : **(يا عبد الله ، لا تكن مثل فلان ، كَانَ يقوم من الليل فترك قيام الليل)** [٧٩٤] .

وَقَدْ أوضح الإمام ابن حجر ارتباط هَذَا الحديث بقصة مراجعة النبي لعبد الله بن عمرو t في قيام الليل وصيام النهار ، فقال : (الحاصل منهما الترغيب في ملازمة العبادة ، والطريق الموصل الى ذَلِكَ الاقتصاد فِيهَا ؛ لأن التشديد فِيهَا قد يؤدي إلى تركها، وَهُوَ مذموم) [٧٩٥] .

جهوده في العلم والتعليم :

كَانَ عبد الله بن عمرو t كثير العلم ملازماً لمجلس النبي e حريصاً عَلَى التلقي عنه . قَالَ الإمام الذهبي رحمه الله في الثناء عَلَيْهِ : **(لَهُ مناقب وفضائل ، ومقام راسخ في العلم والعمل ، حمل عن النبي e علماً جماً)**[٧٩٦].

- وقال أيضاً : (كَانَ صواماً قواماً تالياً لكتاب الله طالباً للعلم ، كتب عن النبي e علماً كثيراً ، وَكَانَ يعترف لَهُ أبو هريرة بالإكثار من العلم ، وقال : فَإِنَّهُ يكتب عن النبي e وكنت لا أكتب ، **حمل عنه المصريون علماً كثيراً)** [٧٩٧] .

- وَقَدْ بلغت مروياته عن النبي e سبعمائة حديث ، ومنها مَا رواه البخاري أن النبي e قَالَ : **(بلِّغوا عني ولو آية)** [٧٩٨] .

- ومن الصور المشرقة للمحبة المتبادلة بين قراء الصحابة y مَا رواه ابن حبان عن مسروق رحمه الله أَنَّهُ قَالَ : **(ذكروا عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو ، فقال : ذاك رجل لا أزال أحبه)** [٧٩٩] .

---

(٧٩٤) رواه البخاري - رقم ١١٠١ .

(٧٩٥) فتح الباري - ٣ / ٤٦ .

(٧٩٦) سير أعلام النبلاء ٣ / ٨٠ .

(٧٩٧) تذكرة الحفاظ ١ / ٤٢ .

(٧٩٨) رواه البخاري - رقم / ٣٢٧٤ .

(٧٩٩) رواه ابن حبان - رقم / ٧١٢٨ .

- **ومن بدائع أقواله ووصاياه لحفاظ القرآن الكريم قوله t :**

(من جمع القرآن فقد حمل أمراً عظيماً ، وَقَدْ استدرجت النبوة بين جنبيه ، إِلاَّ أَنَّهُ لا يُوحى إِلَيْهِ ، ولاينبغي لحامل القرآن أن يَجِدَّ فيمن يَجِدَّ [(٨٠٠)] ، ولا أن يجهل فيمن يجهل ، وفي جوفه كلام الله U) [(٨٠١)].

- وَقَدْ استأذن النبي e في أن يكتب عنه الحديث فأذن لَهُ ، وكانت لَهُ صحيفة تسمى الصادقة ، يكتب فِيهَا مَا يسمع من الرسول e .

- **أقام عبد الله بن عمرو t بمصر** بَعْدَ معركة صفين سنة ٣٧ هـ ، وتلقى أهلها القرآن الكريم عنه ، وتوفي t فيها سنة خمسٍ وستين ، وَهُوَ ابن اثنتين وسبعين سنة ، وقيل توفي بالشام [(٨٠٢)] ، **رضي الله عنه ، وجزاه عن المسلمين خير الجزاء .**

---

(٨٠٠) أي : لا تعتريه شدة الطيش والغضب كَمَا تعتري غيره . وينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١ / ٩٩ .

(٨٠١) رواه الحاكم في المستدرك ١ / ٥٥٢ وصححه ووافقه الذهبي ، والآجري في كتابه : أخلاق أهل القرآن - ص /٥٦ ، وابن المبارك في كتاب الزهد - ص /٢٧٥ ، وأورده السخاوي في جمال القراء - ١/ ٣٤١ .

(٨٠٢) صفة الصفوة ١/ ٣١٦ .

ثانياً : عمرو بن حزم t [٨٠٣]

- هُوَ عمرو بن حزم الخزرجي الأنصاري من بني النجار ، يكنى أبا الضحاك ، أراد أن يشارك في غزوة أحد فردَّه الرسول e لصغر سنه وَكَانَ عمره ثلاث عشرة سنة ، وشهد غزوة الخندق .

وأرسله النبي e إلى أهل نجران وَهُوَ ابن سبع عشرة سنة ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن ، وَذَلِكَ سنة عشر للهجرة ، بَعْدَ أن بعث إليهم خالد بن الوليد فأسلموا .

- وَقَدْ زوَّده الرسول e بكتاب حين أرسله جَاءَ فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم : { Z [\ ] ^ _ } ، عهداً من رسول الله e لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن أَمَرهُ بتقوى الله في أمْرِهِ كلِّهِ ... وأن يبشِّر الناس بالخير ويأمرهم بِهِ ، ويعلِّم الناس القرآن ويفقههم فيه ، وينهى الناس فلا يمس أحدٌ القرآن إِلاَّ وَهُوَ طاهر ، يخبرُ الناس بالذي لَهُمْ والذي عَلَيْهِم ، ويلينُ لَهُمْ في الحق ، ويشتدُّ عَلَيْهِم في الظلم ، فإن الله كرِهَ الظلم ونهى عنه ، وقال : { أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ } ، ويبشِّر الناس بالجنة وبعملها ، وينذرُ الناس النارَ وعملها ، ويستألف الناس حَتَّى يفقهوا في الدين ، ... وأنه من أسلم مِنْ يهودي أو نصراني إسلاماً خالصاً من نفسه فدانَ دين الإسلام فَإِنَّهُ من المؤمنين ، لَهُ مَا لَهُمْ وعليه مَا عَلَيْهِم ...) [٨٠٤] .

وهكذا أصبح عمرو بن حزم أميراً عَلَى نجران ومعلِّماً لأهلها ، وعمره سبعة عشر عاماً ، ورُزق في نجران بمولود، فأمره النبي e أن يسميه محمداً ، وأن يكنيه أبا عبد الملك ، وتربَّى محمد عَلَى يد والده فكان فقيهاًومحدثاً ، روى الحديث عن أبيه ، و عن أجلاء الصحابة y .

- توفي عمرو بن حزم t بالمدينة سنة إحدى وخمسين ، في خلافة عمر بن الخطاب t ، وكان من أحفاده الإمام أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أحد كبار العلماء ، والذي كَانَ اليد اليمنى للخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، في القضاء والإمارة والإمامة العلمية ، حَيْثُ أمره بتدوين الحديث النبوي ،

---

(٨٠٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/ ٥١٠ ، الإصابة ٢/ ٥٢٥ .

وانظر : أبطال الإسلام في موكب النبوة الخالد، للشيخ محمد فاروق البطل - ٣/ ١١٦٦ .

(٨٠٤) تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك للسيوطي - ١/ ٢٠٤ ، الإصابة ٣/ ٤٧٦ .

وكتب اليه قائلاً : (انظر ما كان من حديث رسول الله e فاكتبه ، فإني خفتُ دروسَ[٨٠٥] العلم وذهاب العلماء ، ولا تقبلْ إلاحديث النبي e ، ولتفشوا العلم ، **ولتجلسوا حَتَّى يُعلَّم من لا يعْلَم ، فإن العلم لا يهلك حَتَّى يكون سراً**)[٨٠٦] .

وهكذا تناقل الأبناء والأحفاد هَذَا العلم الشريف عن آبائهم وشيوخهم من الصحابة y ، ونقلوه إلى الأجيال حَتَّى عمَّ نور القرآن الكريم مختلف أصقاع الأرض .

ثالثاً : سلمان الفارسي t [٨٠٧]

- هُوَ سلمان ، أبو عبد الله الفارسي ، سابق الفرس إلى الإسلام أصله من أصبهان ، وقيل : من رامهرمز ، سافر يطلب الدين مَعَ قوم فغدروا بِهِ ، فباعوه إلى رجل يهودي من بني قريظة ، فقدم بِهِ المدينة ، وبقي رقيقاً حَتَّى افتدى نفسه ، وأعانه الرسول e فأصبح حراً .

- **أسلم عند مقدم النبي e إلى المدينة** ، وفاتته غزوة بدر وأحد بسبب كونه رقيقاً ، فلما أُعتِق شهد غزوة الخندق وبقية المشاهد مَعَ الرسول e .

- **آخى النبي e بينه وبين أبي الدرداء t** وَقَدْ سبق قصة زيارته لأبي الدرداء ، وقوله لَهُ : (إن لربك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ..) فقال الرسول e : (**صدق سلمان**)[٨٠٨] .

وفي رواية : (**سلمان أفقه منك**)[٨٠٩] .

- **كَانَ أميراً عَلَى المدائن ، وكَانَ أثناء إقامته فِيهَا لا تشغله الإمارة عن تعليم القرآن الكريم وإرشاد الناس** ، فقد روى الإمام الأصبهاني أن الناس بالمدائن كانوا إذا علموا بوجود سلمان t بالمسجد يتوافدون إِلَيْهِ ، وَقَدْ أتوه مَرَّة فاجتمعوا نحواً من ألفٍ ، فجعل يقول : **اجلسوا اجلسوا ، فلما جلسوا فتح سورة**

---

(٨٠٥) دروس العلم : أي ذهابه ومحو أثره .

(٨٠٦) فتح الباري ١/ ١٩٤ .

(٨٠٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٣١٨ ، صفة الصفوة ١/ ٢٤٧ ، سير أعلام النبلاء ١/ ٥٠٥ ، الإصابة ٢/ ٦٠ .

(٨٠٨) رواه البخاري - رقم/ ١٨٦٧ ، وانظر تفصيلها ص (٢٩٩) من هَذَا الكتاب .

(٨٠٩) الإصابة ٢/ ٦١ .

يوسف يقرؤها [810] .

- عن منصور بن الحسن قَالَ : (دخلنا عَلَى سلمان حين حضره الموت فعرفنا بِهِ بعض الجزَع ، فقالوا : مَا يجزعك يا أبا عبد الله وَقَدْ كَانَ لَكَ سابقة في الخير ؟ شهدتَ مَعَ الرسول e مغازي حسنة وفتوحاً عظاماً .

فقال : **مَا أبكي أسفاً عَلَى الدُّنْيَا ولا رغبة فِيهَا** ، ولكن يحزنني أن محمداً e عهد إلينا عهداً حين فارقنا فقال : (**ليكفِ المؤمن كزاد الراكب**) . فهذا الَّذِي أحزنني) .

قال منصور : فنظرنا قيمة مَا ترك سلمان بضعة وعشرين درهماً [811] .

وهكذا كَانَ سلمان t وَجِلاً من المسؤولية والحساب رغم أَنَّهُ لم يترك بَعْدَ موته إِلاَّ دراهم معدودة ، ولكن المؤمن الصادق يجتمع في قلبه الخوف والرجاء ولا تغرُّه الأماني .

رابعاً : عبد الله بن الزبير t [812]

- هُوَ عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما، **أمه** أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها ، **وأبوه** أحد العشرة المشهود لَهُمْ بالجَنَّة وحواري النبي e ، **وجدتهُ لأَبِيهِ** صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله e ورضي عنها ، **وعمة أبيه** خديجة بنت خويلد أم المؤمنين ، **وخالته** عائشة أم المؤمنين .

- وَهُوَ أول مولود وُلد للمهاجرين في المدينة بَعْدَ الهجرة ، وفرح المسلمون بولادته فرحاً شديداً ، لأن اليهود كانوا يقولون قد سحرناهم فلا يولد لَهُمْ ، فأكذبهم الله تعالى ، فحنَّكه رسول الله e بتمرة ، فكان ريق رسول الله e أول شيء نزل في جوفه ، وسمَّاه عبد الله ، وكنَّاه أبا بكر بكنية جده أبي بكر الصديق t .

- كَانَ صوَّاماً ، قواماً ، طويل الصلاة ، وَصولاً للرحم ، وَقَدْ وصفه عبد الله بن عباس t بقوله : (**هُوَ عفيف في الإسلام ، قارئ للقرآن**) [813] .

---

(810) حلية الأولياء ١/٢٠٣ .

(811) رواه الطبراني - رقم / ٦١٨٢، والإمام أحمد في كتاب الزهد - رقم/١٥٥، وأورده ابن الجوزي في صفة الصفوة ١/٢٦١ .

(812) صفة الصفوة ١/٣٧٧ ، تهذيب الأسماء واللغات ١/٢٦٦، غاية النهاية ١/٤١٩ ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٦٣ .

(813) رواه البخاري - رقم / ٤٣٨٨ .

وعن مجاهد قَالَ :

(كَانَ ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع)(٨١٤) .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : **(كَانَ ابن الزبير قوّام الليل وصوّام النهار ، وَكَانَ يسمى حَمام المسجد)**(٨١٥) .

- وهكذا كَانَ ابن الزبير t عنه شغوفاً بالإكثار من تلاوة القرآن الكريم والتهجد بِهِ في الليل ، كَمَا كَانَ t من أبرز علماء الصحابة المشتهرين بالتفسير (٨١٦) .

- روى عن النبي e ثلاثمائة وثلاثين حديثاً ، وروى عنه أخوه عروة بن الزبير ، وابن أبي مليكة ، وثابت البناني ، وعطاء ، وخلائق آخرون (٨١٧) .

- قَالَ عنه الإمام الذهبي: **(يُعدُّ من صغار الصحابة، وإن كَانَ كبيراً في العلم والشرف والجهاد والعبادة)** (٨١٨) .

- **وغزا** عبد الله بن الزبير t في غزوة أفريقية مَعَ عبد الله بن سعد بن أبي السرح ، فأتاهم ملك أفريقية في مائة وعشرين ألفاً ، وَكَانَ المسلمون عشرين ألفاً ، فسُقط في أيديهم ، فنظر ابن الزبير مَلِكهم قد خرج من عسكره، فقصده فقتله ، ثم كَانَ الفتح عَلَى يديه.

- لما مات يزيد بن معاوية سنة أربع وستين بويع لعبد الله بن الزبير بالخلافة ، وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ، وجدَّد عمارة الكعبة ، وبقي في الخلافة إلى أن حصره الحجَّاج بن يوسف بمكة أول ليلة ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين ، ولم يزل يحاصره إلى أن قتله في السابعة عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين .

---

(٨١٤) صفة الصفوة ١ /٣٧٨ .

(٨١٥) المرجع السابق ١ /٣٧٩ .

(٨١٦) الإتقان في علوم القرآن - ٢/ ٥٢٩ .

(٨١٧) تهذيب الأسماء واللغات - ١ / ٢٦٧ .

(٨١٨) سير أعلام النبلاء - ٣/ ٣٦٤ .

خامساً : عبد الله بن السائب t [819]

- هُوَ عبد الله بن السائب صيفي بن عابد المخزومي ، من أهل مكة ، يُعدُّ من صغار الصحابة ، وَكَانَ جدّه أبو السائب شريكاً للنبي e قبل النبوة ، ثم جاءه بَعْدَ ذَلِكَ ليبايعه فقال : يا رسول الله أتعرفني ؟ قَالَ : نعم ، ألم تكن شريكاً لي فوجدتك خير شريك)[820] .

- تلقى ابن السائب t القرآن الكريم عَلَى أُبيّ بن كعب t ، وأصبح بَعْدَ ذَلِكَ قارئ أهل مكة ، وقرأ عَلَيْهِ مجاهد بن جبر وعبد الله ابن كثير ، وحدَّث عنه ابن عطاء وغيره .

- قَالَ مجاهد رحمه الله : **(كنا نفخر عَلَى الناس بقارينا عبدالله بن السائب وبفقيهنا ابن عباس)** [821] .

- توفي t سنة سبعين في فترة إمارة عبد الله بن الزبير t ، وصلى عَلَيْهِ ابن عباس t .

- قَالَ ابن أبي مليكة : (رأيت ابن عباس قام عَلَى قبر عبد الله بن السائب فدعا لَهُ ثم انصرف)[822] .

- **خَلَفه في الإقراء تلميذه مجاهد** الَّذِي توفي سنة ثلاث ومائة ، وبَعْدَ وفاة مجاهد أجمع أهل مكة عَلَى عبد الله بن كثير ، الَّذِي أصبح إمام الناس في القراءة بمكة ، حَتَّى توفي بِهَا سنة مائة وعشرين ، وَكَانَ إذا أراد إقراء القرآن وعظ أصحابه ثم أقرأهم ، لتكون قراءتهم للقرآن بالتدبر والخشوع [823] .

---

(819) معرفة القراء الكبار ١/ ٤٢ ، جمال القراء ٢/ ٤٤٨ ، الإصابة ٢/ ٣٠٦ .

(820) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، كما قَالَ الهيثمي في مجمع الزوائد - ٩/ ٤١٢ .

(821) معرفة القراء ١/ ٤٣ .

(822) معرفة القراء ١/ ٤٣ .

(823) جمال القراء ٢/ ٤٤٨ .

سادساً : قيس بن السكن (أبو زيد) t [824]

- اشتهر بلقبه (أبو زيد) ، وأما اسمه فالراجح أنه قيس بن السكن الأنصاري . وقيل : ثابت بن قيس.

قَالَ الإمام ابن حجر : (ثابت بن قيس بن زيد الخزرجي ، أبو زيد ... وَلَيْسَ هُوَ الَّذِي جمع القرآن ، ذاك اسمه قيس بن السكن) [825].

قَالَ عنه الإمام الذهبي : (**هُوَ من كبار الصحابة ، وممن حفظ القرآن كُلّهُ زمن النبي e**) [826] .

- وَهُوَ أحد الصحابة الَّذِينَ وردت الروايات بأنهم أول من حفظ القرآن الكريم ، فقد روى البخاري ومسلم عن قتادة عن أنس بن مالك t أَنَّهُ قَالَ :

(جمع القرآن عَلَى عهد النبي e أربعة كلهم من الأنصار : أُبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد ، وزيد بن ثابت .

قلت لأنس : ومن أبو زيد ؟ قَالَ : أحد عمومتي) [827] .

- نزل البصرة ثم قدم المدينة ، فمات فِيهَا في خلافة عمر بن الخطاب ، فوقف عمر عَلَى قبره ، فقال : (**رحمك الله أبا زيد ، لَقَدْ دُفن اليوم أعظم أهل الأرض أمانةً**)[828] .

ونشير في الختام لبعض الصحابة الآخرين الَّذِينَ كانت لَهُمْ جهود في تعليم القرآن الكريم ، ومنهم :

١ - عبد الله بن أم مكتوم :

الَّذِي كَانَ معلماً للقرآن الكريم مَعَ مصعب t لأهل المدينة ، فقد روى البخاري عن البراء بن عازب t قَالَ : (أول من قَدِم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، وكانا يُقرِئان الناس) [829].

([824]) طبقات ابن سعد ٧/٢٧ ، سير أعلام النبلاء ١/٣٣٥ ، الإصابة ٣/٢٤٠، غاية النهاية ٢/٢٧ .

([825]) الإصابة ١/١٩٧ .

([826]) سير أعلام النبلاء ١/٣٣٥ .

([827]) رواه البخاري - رقم/ ٣٥٩٩، ومسلم - رقم / ٢٤٦٥ .

([828]) طبقات ابن سعد ٧/٢٧ .

(٨٢٩) رواه البخاري - رقم / ٣٧١٠ .

٢ - واثلة بن الأسقع الليثي :

وَهُوَ من أهل الصُّفَّة الَّذِينَ تفرغوا لتعلم القرآن الكريم ، والتلقي عن النبي e ، وَقَدْ ذكره الإمام ابن الجزري في طبقات القراء ، فقال : (أخذ القراءة عن النبي e ، قرأ عَلَيْهِ يحيى بن الحارث ، وأخذ عنه إبراهيم بن أبي عبلة ، وروى عنه مكحول ويونس بن ميسرة) [٨٣٠] .

شهد واثلة فتح دمشق وحمص ، ودخل البصرة ، ثم استوطن في بيت جبرين (قرب بيت المقدس) وتوفي بدمشق سنة خمس وثمانين ، وَهُوَ ابن ثمان وتسعين سنة [٨٣١] .

٣ - تميم بن أوس الداري :

كان من أقرأ الناس وأنداهم صوتاً ، وممن جمع القرآن على عهد رسول الله e ، وكان مع أبيّ بن كعب يصليان بالناس صلاة التراويح في عهد عمر بن الخطاب [٨٣٢] .

وقد أورد الإمام الذهبي عن ابن سيرين أنه قال : (جمع القرآن على عهد رسول الله : أُبيّ ، وعثمان ، وزيد ، وتميم الداري) [٨٣٣] .

وقد نظم علي بن محمد الخزرجي شعراً يذكر فيه أبرز من حفظ القرآن الكريم من الصحابة فقال :

وجامع القرآن في عصر النبي ... زيدٌ ، أبو زيد ، معاذٌ ، وأُبي
عثمان منهم ، وتميم الداري ... عبادةُ بن الصامت الأنصاري [٨٣٤]

(٨٣٠) غاية النهاية في طبقات القراء - ٢ / ٣٥٨ .

(٨٣١) الإصابة ٦ / ٣١٠ .

(٨٣٢) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٠ .

(٨٣٣) سير أعلام النبلاء ٢ / ٤٤٥ .

(٨٣٤) علماء الصحابة – د. أحمد خليل جمعة – ص / ٩٠٧ .

٤ - فَضَالة بن عُبيد :

أحد علماء الصحابة الذين حفظوا القرآن الكريم ، وكان يُقرئ الناس في الشام .

قال عنه الإمام الذهبي: (قد عُدَّ فضالة بن عبيد في كبار القراء)[٨٣٥] .

توفي بدمشق سنة ثلاث وخمسين، وكان آخر من مات من الصحابة ممن بايع بيعة الرضوان.

٥ - مُجَمِّع بن جارية:

قَالَ عنه الإمام ابن الجزري : (هُوَ أحد الَّذِينَ جمعوا القرآن عَلَى عهد الرسول e وَكَانَ غلاماً حَدَثاً .. توفي بالمدينة في خلافة معاوية t)[٨٣٦] .

٦ - سفيان بن وهب الخولاني :

الَّذِي وفد عَلَى النبي e وشهد فتح مصر وتولى إمرة إفريقيه في زمن عبد العزيز بن مروان ، ليصبح فِيهَا داعياً للإسلام ومعلماً للقرآن ، وروى عن عمر والزبير وغيرهما ونقل عنه عددٌ من التابعين ، وتوفي سنة ٨٢ هـ[٨٣٧] .

* **وأما من اشتُهر من نساء الصحابة بتعليم القرآن** فهنَّ كثيرات ، ومن أبرزهن : عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وأم رقية الأنصارية رضي الله عنهن .

* ولنختم بقول ابن الجزري رحمه الله :

(لما خص الله تعالى حفظ القرآن بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه وتلقوه عن النبي e حرفاً حرفاً لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا إثباتاً ولا حذفاً ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهمٌ وكان منهم من حفظه كله ومنهم من حفظ أكثره ومنهم من حفظ بعضه كل ذلك في زمن النبي e ، وقد ذكر الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام في أول كتابه في القراءات من

(٨٣٥) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٤٥ .

(٨٣٦) غاية النهاية ٢ / ٤٢ – وأنظر ترجمته في : أسد الغابة ٤/ ٢٩٢ .

(٨٣٧) الإصابة ٢ / ٥٦ .

نقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة وغيرهم . فذكر من الصحابة أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلياً ، وطلحة ، وسعداً ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وسالماً ، وأبا هريرة ،وابن عمر ، وابن عباس ، وعمرو بن العاص ، وابنه عبد الله ، ومعاوية ، وابن الزبير ، وعبد الله بن السائب ، وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ؛ وهؤلاء كلهم من المهاجرين . وذكر من الأنصار أبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأبا الدرداء ، وزيد بن ثابت ، وأبا زيد ، ومجمع بن جارية ، وأنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين) (٨٣٨) .

(٨٣٨) النشر في القراءات العشر ١ / ٦.

أسئلة للدرس الثامن عشر

س١ - تحدث بإيجاز عن سيرة الصحابي الجليل عمرو بن العاص والد عبد الله بن عمرو .

س٢ – كان فضالة بن عُبيد آخر من مات من الصحابة الذين بايعوا بيعة الرضوان، فما هي هذه البيعة ؟ وما هي الآيات القرآنية التي أشادت بها.

س٣- استلم التابعون راية تعليم القرآن الكريم من الصحابة y
فمن هم أبرز التابعين المشتهرين بتعليم القرآن الكريم ؟
اذكر أسماء عشرة منهم مَعَ بيان موطنه وتاريخ وفاته .

E

لا شك أن من أصعب الأمور إحصاء أسماء الصحابة الَّذِينَ كانت لَهُمْ جهود في تعليم القرآن الكريم ، فقد انطلق الآلاف من أجلاَّء الصحابة فاتحين في مختلف البلدان ، وكانت الرسالة الأولى التي يحملونها لِلنَّاسِ الدعوةُ للإسلام وتعليم القرآن ، وإنقاذ العباد من ظلمات الجاهلية إلى نور الايمان ، حَتَّى بلغ هَذَا الدين مشارق الأرض ومغاربها ، وأصبح تعليم القرآن الكريم ودراسته وحفظه الشُغل الشاغل لِلنَّاسِ ، حتى إِنَّهُ في خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله كانوا يلتقون ، **فيقول الرجل للرجل : مَا وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن؟ ومتى تختم ؟** (٨٣٩) .

وقد ذكر الإمام ابن الجزري رحمه الله أئمة التابعين الذين تلقوا القرآن الكريم عن الصحابة y فقال : (قرأ كل أهل مصر وتلقوا عن الصحابة ... فممن كان **بالمدينة** : ابن المسيب ، وعروة ، وسالم ، وعمر بن عبد العزيز ، وسليمان وعطاء ابنا يسار ، ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القاريء ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وابن شهاب الزهري ، ومسلم بن جندب ، وزيد بن أسلم . **وبمكة** : عبيد بن عمير ، وعطاء ، وطاووس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن أبي ملكية . **وبالكوفة** : علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة وعمرو بن شرحيل ، والحارث بن قيس ، والربيع بن خيثم ، وعمرو بن ميمون ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وزر ابن حبيش ، وعبيد بن فضيلة ، وأبو زرعة ابن عمرو بن جرير ، وسعيد ابن جبير ، وإبراهيم النخعي ، والشعبي . **وبالبصرة** : عامر بن عبد قيس ، وأبو العالية ، وأبو رجاء ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، ومعاذ ، وجابر بن زيد ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة . **وبالشام** : المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان في القراءة ، وخليد بن سعد صاحب أبي الدرداء . ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صار في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم) (٨٤٠) .

---

(٨٣٩) القراءات القرآنية في بلاد الشام - ص / ١٥ .

(٨٤٠) النشر في القراءات العشر ١ / ٨ .

وهكذا استلم التابعون تلاميذ الصحابة راية تعليم القرآن الكريم بِكُلِّ همة وإخلاص ، وفي ذَلِكَ يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

(ألقى الصحابة الكرام إلى التابعين مَا تلقَّوْه من مشكاة النبوة خالصاً صافياً ، وَكَانَ سندهم عن نبيهم e ، عن جبريل ، عن رب العالمين سنداً صحيحاً عالياً) (٨٤١) .

❖ ❖ ❖

نسأل المولى U أن يوفقنا للاقتداء بهم ، وأن يرزقنا محبتهم ، ويحشرنا معهم تحت لواء سيد المرسلين e ، فقد اشتد شوقنا للِّقَاء بهم ، بَعْدَ أن استروحت نفوسنا بسماع أخبارهم ، ومطالعة سيرتهم ، وجهودهم وتضحياتهم ، وسيبقى هَذَا الجيل القرآني الفريد مفخرة لِكُلِّ مسلم ، ونبراساً لِكُلِّ مسترشد.

والحمد رب العالمين

B

(٨٤١) إعلام الموقعين ١/ ٦.